مارسيل إيميه

حكايات

مكتبة ٥٠٨

كُتبت هذه الحكايات
للأطفال من 4 إلى 75 سنة

القط الشقي

المركز الثقافي العربي

مكتبة | 508

مارسيل إيميه

حكايات القط الشقي

الجزء الأول - الحكايات الحمر

الكتاب

حكايات القط الشقي
الحكايات الحمر

تأليف

مارسيل إيميه

الطبعة

الأولى، 2019

عدد الصفحات: 224

القياس: 14 × 21

الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9953-68-920-3

جميع الحقوق محفوظة
© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651
فاكس: 305726 522 212+
Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 750507 01 ـ 352826 01
فاكس: 343701 1 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

العنوان الأصلي للكتاب:

Marcel Aymé
Les contes rouges
du chat perché

Avec les illustrations
intérieures de
Philippe Dumas

© Éditions Gallimard,
1963 pour le texte
et 1979 pour les illustrations

© Éditions Gallimard
Jeunesse, 2007 pour
la présente édition

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٠١٩ ١٠ ١١

مارسيل إيميه

حكايات القط الشقي

الجزء الأول

الحكايات الحمر

مكتبة | 508

رسوم فيليب دوما

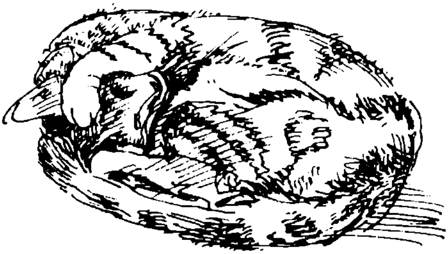

المركز الثقافي العربي

المحتويات

الصفحة

قائمة القط 7

البقرات 41

الكلب 71

علبتا التلوين 105

الثوران 135

المسألة 165

الطاووس 199

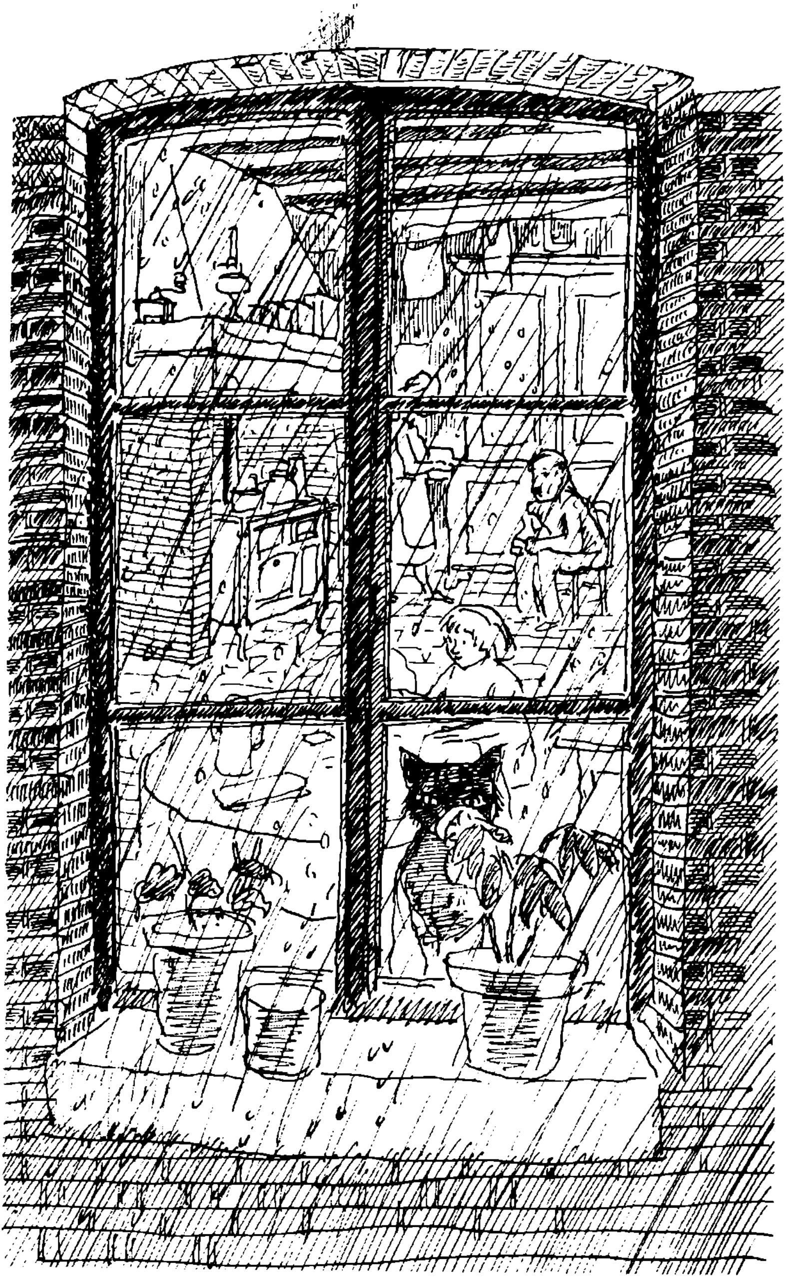

قائمة القط

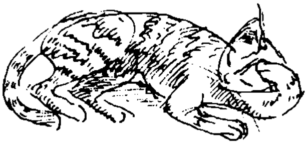

مكتبة
t.me/t_pdf

حين عاد الأبوان من الحقول مساءً، وجدا القطَّ على حافة البئر مستغرقاً في تنظيف نفسه، فقالا:

- ها هو القط يمرِّر قائمته فوق أذنه. ستُمطر السماء غداً أيضاً.

وفعلاً، تساقط المطر طيلة النهار في اليوم التالي. ولم يفكِّرا في الذهاب إلى الحقول، وإنما شعرا بالغيظ لأنهما اضطرّا للبقاء في البيت، فتعكر مزاجهما وشحّ صبرهما مع ابنتيهما. وفيما استغرقت دلفين، الكبرى، ومارينيت، الصهباء، في اللعب بألعاب شتى مثل لعبة الحمام يطير، والحصى الخمس، والكلمة المفقودة، والدمية والغميضة، راح الأبوان يتبرّمان قائلين:

- إنهما تلعبان وتلهوان دوماً مع أنهما أصبحتا كبيرتين. وستظلان تلعبان بعد أن تبلغا سن العاشرة مع أن الأنفع لهما أن تهتما بأعمال الخياطة أو بكتابة رسالة إلى خالهما ألفريد.

ولم يكادا ينتهيان من أمر الصغيرتين حتى راحا يتهجمان على القط الجاثم على حافة النافذة يراقب المطر.

- إنهما تشبهان هذا القط المسترخي أيضاً طوال النهار، مع أن الفئران تسرح وتمرح في أرجاء البيت. لكن السيّد يفضل الحصول على طعامه جاهزاً دون أن يفعل شيئاً، فهذا أسهل له.

وأجابهما القط:

- أنتما تبحثان دوماً عن مبرِّر لتوجيه اللوم. النهار مخصَّص للنوم والاسترخاء. وحين أركض في العلية طوال الليل أطارد الفئران لا تأتيان خلفي للثناء عليّ.

- أوه لا بأس. أنت محق دوماً.

عند الغروب، كان المطر لا يزال يهطل، وبينما انشغل الأبوان في الحظيرة، راحت الصغيرتان تلعبان حول طاولة المائدة. فقال القط لهما:

- أوقفا هذه اللعبة. ما سيحدث هو أنكما ستكسران شيئاً آخر أيضاً. وسيصرخ أبواكما غضباً.

أجابته دلفين:

- لو أصغينا إليك، لما لعبنا في أيّ لعبة.

وأيّدتها مارينيت:

- هذا صحيح. برأي ألفونس (وهو الاسم الذي أطلقته الصغيرتان على القط) يجب أن نقضي الوقت كله في النوم.

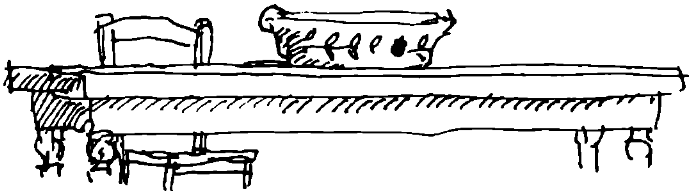

لـم يُلِـحّ ألفونس، واسـتأنفت الصغيرتـان ركضَهُما. وفي وسـط طاولـة المائـدة، ثمة صحن من الخـزف لم يزل في المنـزل منذ مئة عـام يحـرصُ عليه الأبـوان حِرْصـاً شـديداً. وبينمـا دلفيـن وماريـنيت تراكضان، علِقتْ قدم إحداهن بالطاولة، فرفعتاها دون أن تفكران، وإذا بالصحن الخزفي ينزلق بتؤدة ويسقط على الأرض ويتناثر قطعاً صغيـرة. لم يكلّف القـط الجاثم على حافة النافذة نفسـه حتى عناء الالتفـات، بينما توقفـت الصغيرتان عن التفكير فـي الجري من فرط ارتباكهما.

- ها هو صحن الخزف قد تحطم يا ألفونس، فماذا سنفعل؟

- اجمعـا الحطـام وارميـاه فـي حفـرة. ربما لـن يلاحـظ أبواكما شيئاً. لكن لا، فات الأوان. ها هما يعودان.

ولمّـا رأى الأبوان حطـام الصحن الخزفي، غَضبا غضباً شـديداً وراحا يقفزان كالبراغيث في أرجاء المطبخ ويصرخان:

- يا لكما من شقيتين! صحن تملكه الأسْرةُ منذ مئة عام! وأنتما حطّمتمـاه! مَسِـخَتان مثلكمـا لا يمكنهمـا أن تتصرّفـا علـى نحـوٍ آخر. لكنكما ستنالان عقابكما. أنتما ممنوعتان من اللعب وستتناولان الخبز الحاف فقط!

بـدت العقوبـة للأبويـن خفيفـة، فاسـتغرقا وقتـاً فـي التفكير، واسـتطردا وهمـا يرمقـان الصغيرتيـن بنظـرات مصحوبة بابتسـامات قاسية:

- لا، ليس الخبز الحاف. بل غداً، إذا توقف هطول المطر... غداً... ها! ها! ها! غداً، ستذهبان لزيارة العمّة ميلينا!

شحب لون دلفين ومارينيت وضمَّتا أيديهما والتمست أعينهما الرأفة بهما.

- لن تشفع لكما أيّ صلاة! حين يتوقف هطول المطر، ستذهبان إلى بيت العمة ميلينا وتحملان إليها قطرميزاً من المربى.

كانت العمة ميلينا امرأة هرمة وشريرة جداً، فمها خالٍ من الأسنان وعلى ذقنها شعر كثّ. وعندما كانت الصغيرتان تذهبان لزيارتها في قريتها، لم تكن تتهاون في تقبيلهما، وهو أمر منفِّر بسبب لحيتها، وكانت تغتنم أيّ فرصة لتقرصهما وتشدّ شعرهما. وكانت تستمتع في إرغامهما على أكل خبزٍ وجبن سبق أن تركته يتعفن في انتظار زيارتهما. والأدهى أن العمّة ميلينا كانت تجد أنّ ابنتي أخيها الصغيرتين تشبهانها إلى حدٍّ كبير وتؤكد أنَّهما ستصبحان نسخة طبق الأصل عنها قبل نهاية العام، وكان مجرّد التفكير في هذا الأمر يُثير ذعرهما.

تنهَّد القط وقال:

- طفلتان مسكينتان. تُعاقَبان بقسوة مفرطة من أجل صحن قديم مصدوع أصلاً.

- وما شأنكَ أنت حتى تحشر أنفك في هذا الأمر؟ لعلّك ساعدتهما على كسر الصحن ما دمتَ تدافع عنهما؟

تدخّلت الصغيرتان وقالتا:

- أوه، لا، لم يبرح ألفونس مكانه على حافة النافذة.

- اصمتا! آه! جميعكم متشابهون. تساندون بعضكم بعضاً. ولا أحد يشي بالآخر. قطٌّ يقضي أيامه في النوم...

قال القط:

- ما دمتما تُسيئان الظنّ على هذا النحو، فالأجدر بي أن أنصرف. افتحي لي النافذة يا مارينيت.

فتحـت مارينيت النافذة وقفـز القط إلى الفنـاء. كان المطر قد توقف عن الهطول منذ برهة وأخذت ريح خفيفة تكنس الغيوم...

لاحظ الأبوان وقد اعتدلَ مزاجهما:

- السـماءُ تصفـو. سـيكون الطقس رائعاً فـي الغـد لتذهبا إلى بيت العمة ميلينا. أنتما محظوظتان. كفاكما بكاءً. فالبكاء لن يُعيد لنا الصحن. هيا، الأجدر بكما أن تذهبا وتُحْضِرا حطباً من المخزن.

وجـدت الصغيرتـان القـط جاثمـاً علـى كومـة الحطـب فـي المسـتودع، وراحت دلفيـن تنظر إليه من خـلال دموعها وهو ينظّف نفسه. فنادته بابتسامة مَرِحَة أدهشت أختها:

- ألفونس.

- ما وراءكِ يا صغيرتي؟

- خطرت ببالي فكرة. إن شئتَ، لن نذهب غداً إلى منزل العمة ميلينا.

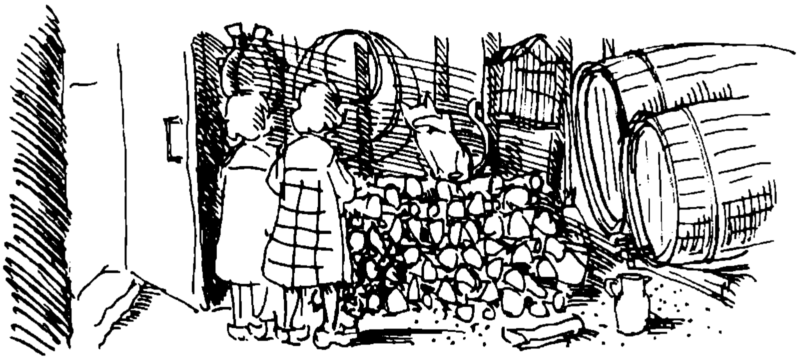

- لا أطلب شيئاً أكثر من ذلك، ولكنني مهما قلتُ للأبوين، لن يغيِّر في الأمر شيئاً لسوء الحظ.

- ما أحاول قوله هو أنك لن تحتاج إلى الأبوين. ألا تعرف ما قالاه؟ قالا إننا سنذهب إلى بيت العمّة ميلينا إن لم تُمطر.

- إذاً؟

- حسنٌ! يكفيكَ أن تمرِّر قائمتك خلف أذنك، فتُمطر السماء غداً ولا نذهب إلى بيت العمّة ميلينا.

قال القط مندهشاً:

- فعلاً، هذا صحيح. لم أفكِّر في ذلك. حسنٌ، هذه فكرة جيدة.

وفي الحال راح يمرِّر قائمته خَلْفَ أُذُنه. مرّرها أكثر من خمسين مرّة.

- تستطيعان أن تناما بهناء هذه الليلة. ستُمْطِرُ السماءُ غداً بغزارة ولن يستطيع أحد الخروج.

وفي أثناء العشاء، تحدَّث الأبوان كثيراً عن العمة ميلينا. وحضّرا قطرميز المربى الذي سيُرسلانه إليها.

وجاهدت الصغيرتان للاحتفاظ بجدّيتهما، فتظاهرت مارينيت مراراً أنها تغصّ حين تتلاقى نظراتها بنظرات أختها حتى تُخْفي ضحكتها. ولمّا جاءت لحظة الإيواء إلى الفراش، نظر الأبوان من النافذة وقالا:

– بالنسـبة إلى الليلة جميلة، هي فعـلاً ليلة رائعة. وربما لم نرَ من قبل نجوماً بهذا العدد في السـماء. سـيكون الطقـس ملائماً غداً للسير على الطرقات.

لكـنّ الطقـس اكفهـر فـي اليـوم التالـي، وراح المطـر ينهمـر منـذ الصبـاح الباكر، وطفـق الأبوان يقـولان: «إنه مجـرد رذاذ مطر، ولا يمكن أن يدوم». فألبسـا البنتين ثياب يومِ الأحد، وعقدا شريطاً وردياً في شـعرهما. بَيدَ أنّ المطر اسـتمرّ في الهطـول طيلة الصباح والعصر حتى حلّ المساء. واضطرّت الصغيرتان أن تخلعا ثياب يوم الأحـد وأن تفكّا الشـريطين الورديـن. ومع ذلك، ظلَّ مـزاج الأبوين منشرحاً.

- إنـه مجرّد تأجيل للموعد. سـتذهبان غداً لرؤيـة العمّة ميلينا.

بدأ الطقس يصحو. إننا في منتصف شـهر أيار، وسـيكون مُدهشاً لو أمطرت السماء ثلاثة أيام متتالية.

في ذلك المسـاء، مرَّر القط أيضاً قائمته خلف أذنه وهو ينظّف نفسـه، وكان النهـار التالـي ماطـراً. وكما حـدث في الأمـس، لم يكن ممكنـاً طـرح موضوع إرسـال الصغيرتين إلـى بيت العمـة ميلينا. بدأ مـزاجُ الأبويـن يتعكّـر. وأُضيـف إلـى انزعاجهمـا مـن تأخّـر معاقبـة الصغيرتين بسـبب الطقس السـيئ عجزُهما عن الذهـاب للعمل في الحقـول. وراحـا يثـوران علـى ابنتيهمـا لأتفه سـببٍ ويصرخـان أنّهما لا تتقنان إلّا كسـر الصحون. ويضيفان: «زيارة العمّة ميلينا ستُصلِحُ حالكما. في أول يوم يصحو فيه الطقس، ستهرعان إليها من الصباح الباكـر». وحيـن اسـتحال غضبهمـا إلـى سـخط، انقضّـا علـى القـط، أحدهما بضربة مكنسـة، والآخر بضربة قبقاب، وهما ينعتانه بعدم النفع والكسل. فقال القط:

- أوه! أوه! أنتمـا أخبَـث ممّـا كنـت أظـن. ضربتمانـي مـن دون سبب، ولكن أقسم أنكما ستندمان.

لولا هذا الحادث الذي ارتكبه الأبوان، لتعبَ القط بسـرعة من التسـبّب في هطول المطر، لأنَّه كان يحبّ تسـلق الأشجار، والركض في الحقول والغابات، وكان يرى أنّ حكمه على نفسه بعدم الخروج حتـى يُجنِّـبَ صديقتيـه هَـمَّ زيارة العمّـة ميلينا هـو مُبالغـة لا مبرِّر لهـا. ولكنه احتفـظ من ضربـات القبقـاب وضربات المكنسـة بذكرى

مؤلمة جعلت الصغيرتين غير مضطرتين للتوسّل إليه حتى يمرِّر قائمته خلف أذنه. وأصبح الأمر منذ اليوم قضية شخصية بالنسبة له. وعلى مدار الأيام الثمانية التالية، هطل المطر دونما انقطاع من الصباح حتى المساء. أمّا الأبوان اللذان اضطرّا للبقاء في البيت ورؤية محاصيلهما تتعفّن في الحقول، فلم يعُد غضبهما يهدأ. نسيا الصحن الخزفي وزيارة العمّة ميلينا، ولكنهما راحا يرمقان، شيئاً فشيئاً، القط بنظرات ازدراء، وأخذا يتهامسان في كلّ لحظة بأحاديث مُسهَبَة لا أحد يعرف سرّها.

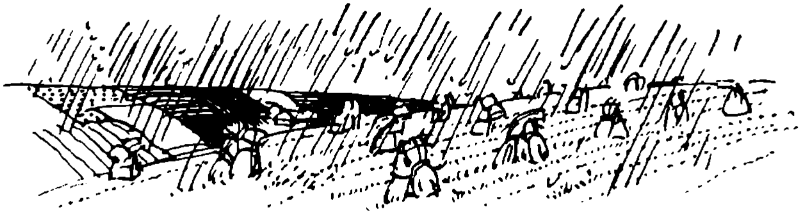

في ساعة مبكرة من صبيحة اليوم الثامن من أيام المطر، راح الأبوان يستعدان للذهاب إلى المحطة، رغم الطقس السيئ، لإرسال أكياس البطاطا إلى المدينة. وحين نهضت دلفين ومارينيت وَجَدَتاهما في المطبخ منهمكين في خياطة أحد الأكياس. على طاولة المائدة، كان يوجد حجر كبير يزنُ أكثر من كيلوغرام. ولمّا سألت الصغيرتان ماذا يفعلان، أجابا بشيء من الحرج أنَّهما يُعِدَّان هذا الكيس ليُلحقاه بأكياس البطاطا المرسَلَة. عندئذٍ، دخل القط إلى المطبخ وحيّاهم بأدب. فقال له الأبوان:

- ألفونس، هنالك طاسة من الحليب الطازج تنتظرك قرب الفرن.

قال القط مندهشاً بعض الشيء من هذه البادرة الطيبة التي لم يعُد معتاداً عليها:

- أشكركما أيها الأبوان. أنتما لطيفان فعلاً.

وحين بدأ يشرب من طاسة الحليب الطازج، أمسكه الأبوان، وأدخلا رأسه في الكيس أولاً، وبعد أن أدخلا الحجر الكبير الذي يزن أكثر من كيلوغرام، ربَطا فوهة الكيس بخيطٍ متين.

صرخ القط وهو يتخبّط داخل الكيس:

- ما خطبكما أيها الأبوان؟ هل فقدتما صوابكما؟

قال الأبوان:

- خطبنا هو أننا لم نعُد نريد قطّاً يمرِّر قائمته خَلْف أذنه كلّ مساء. كفانا مطراً. وما دمت تحب الماء إلى هذا الحد يا بني،

فستحصل على قدر ما تشاء منه. ستنظّف نفسك بعد خمس دقائق في قاع النهر.

أخذت دلفين ومارينيت تصرخان أنهما لن تسمحا بإلقاء ألفونس في النهر. وراح الأبوان يصرخان بدورهما أنه لا يمكن لشيء أن يمنعهما من إغراق حيوان قذرٍ يجعل المطر ينهمر. بينما ألفونس يموء ويتخبّط في سجنه كالمجنون. وطفقت مارينيت تقبِّلهُ من فوق

قماشِ الكيس ودلفين تتوسل راكعةً أن يرأفا بمصير قطهما. والأبوان يجيبان بصوت الغيلان: «لا، لا، لا رحمة للقطط الشريرة!» وفجأة تبيّنا أنّ الساعة تجاوزت الثامنة وأنهما قد يتأخّرا في الوصول إلى المحطة. وعلى عجلٍ، شبَكَا معطفيهما المطريين ووضعا القبعتين على رأسيهما وقالا للصغيرتين قبل أن يغادرا المطبخ:

- لم يعُد لدينا وقت للذهاب إلى النهر الآن. سنذهب بعد الظهر عند عودتنا. ومن الآن حتى ذلك الحين، إياكما أن تفتحا الكيس. إن لم نجد ألفونس هنا ظهراً، ستذهبان فوراً إلى بيت العمّة ميلينا لمدة ستة أشهر وربما مدى الحياة.

ولـم يكَد الأبـوان يبلُغان الطريـق حتى فكّت دلفيـن ومارينيت عقدة خيط الكيس.

أخرَجَ القط رأسه من الفتحة وقال لهما:

- أيتهـا الصغيرتـان، أيقنتُ دوماً أنكما شـهمتان. لكنني سـأكون أسـوأ قط لو قبِلت، في سـبيل نجاتي، أن أراكما تمضيان سـتة أشهر وربمـا أكثـر فـي بيـت العمـة ميلينـا. إذا كان هذا هـو الثّمـن، فإنني أفضِّلُ أن أُرْمَى في النهر.

- ليسَـت العمة ميلينا خبيثة إلى هذا الحدّ وسـتنقضي الأشـهر الستة بسرعة.

لكنَّ القطَّ رفض الإصغاء إليهما، وحتى يؤكد أنّ قراره هو قرار حاسـم، أعاد رأسـه إلى الكيـس. وبينما ظلّـت دلفين تحـاول إقناعه،

خَرَجَتْ مارينيت إلى الفناء وطلبت النصحَ من ذكرِ البطِّ الذي يسبح تحت المطر وسط بركة ماء. كان ذكر البط حكيماً وجدياً. وحتى يتعمّق في التفكير، خبّأ رأسه تحت جناحه. وخلص إلى القول:

- بعد أن فكرتُ ملياً، لم أجد وسيلةً لإقناع ألفونس بالخروج من كيسه. أنا أعرفه، وأعرف عناده. وإذا أخرجتماه بالقوة، فلن يمنعه شيء من تسليم نفسه للأبوين عند عودتهما. ناهيكما عن أنّ معه كلّ الحق. أنا أيضاً، ما كنتُ لأحيا مرتاح الضمير لو أجبرتكما بسبب خطأ ارتكَبته أن تُطيعا أوامر العمّة ميلينا.

- ونحن أيضاً؟ إذا غرق ألفونس في النهر، ألن يعذّبنا ضميرنا؟

فأجاب ذكر البط:

- طبعاً. لذلك يجب أن نجد حلاً لتسوية الأمر برمّته. لكنني بحثتُ من دون جدوى، ولم أجد فعلاً حلاً.

وخطر ببال مارينيت أن تستشير حيوانات المزرعة، وتجنّباً لإضاعة الوقت، قرَّرت إدخالها إلى المطبخ. جاء الحصان والكلب والثيران والبقرات والخنزير والدواجن وجلسوا في الأماكن التي حدّدتها لهم الصغيرتان. وحين وجدَ القط نفسه وسط حلقة مغلقة،

وافـق علـى إخـراج رأسـه من الكيـس، ووقـف ذكر البـط بقربـه وبدأ يشـرح الوضع للحيوانات. ولما انتهى، أخذ الجميع يفكرون صامتين. فسأل ذكر البط:

- هل لدى أحد منكم فكرة؟

مكتبة
t.me/t_pdf

أجاب الخنزير:

- أنـا. وفكرتـي هـي أنني سـأتحدّث إلـى الأبوين حيـن يعودان ظهراً. وسـأجعلهما يخجلان لأنّ مثل هذه الأفكار الشـريرة راودتهما. وسأشـرح لهما أنّ حيـاة الحيوانات مقدّسـة وأنهما سـيرتكبان جريمة فظيعة إن أقدَما على إلقاء ألفونس في النهر. وبالتأكيد سيتفهّمانني.

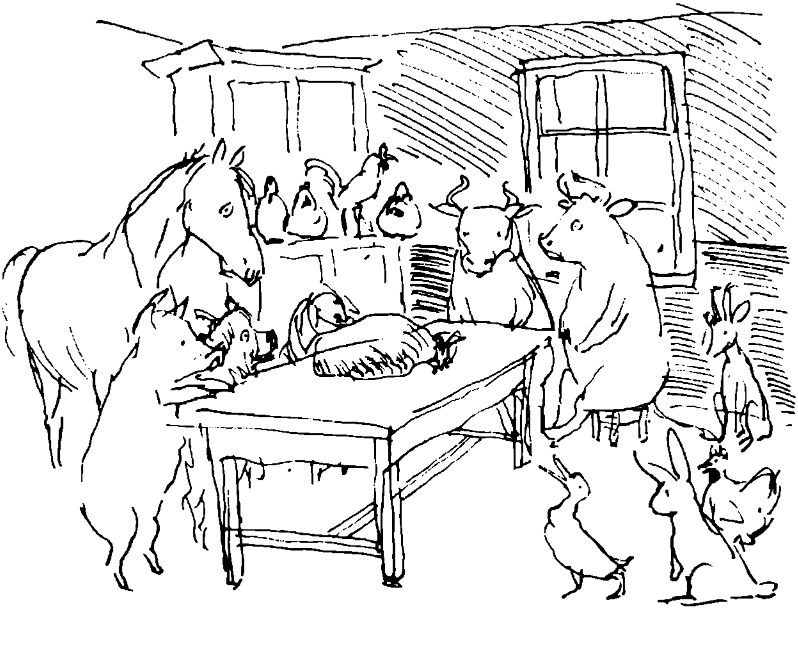

هـزّ ذكر البط رأسـه بتعاطف، لكنـه لم يبدُ مقتنعـاً. ففي ذهن الأبوين، الخنزير مخصَّص للطبخ ولا يُعتدّ بآرائه.

- وهل لدى أحد آخر فكرة؟

قال الكلب:

- أنـا. ليـس أمامكـم إلّا أن تفوّضونـي بالتصـرف. حيـن يحمـل الأبـوان الكيـس، سـأعضّهما من ربـلات سـيقانهما حتى يُطلقا سـراح القط.

لاقـت الفكـرة استحسـاناً، لكـن دلفيـن وماريـنيـت، رغـم استحسـانهما للفكـرة، لا تحبّـذان أن تتعـرض ربلات سـيقان أبويهما للعضّ.

وعلَّقت إحدى البقرات:

- يُضـاف إلى ذلك أنّ الكلب مُطيع إلى حـدّ الخنوع ولن يجرؤ على مهاجمة الأبوين.

فتنهَّد الكلب وقال:

- هذا صحيح. أنا مطيع إلى حدّ الخنوع.

تدخَّل ثور أبيض وقال:

- عنـدي حلّ أبسـط. مـا على ألفونـس إلّا أن يخرج مـن الكيس وسنضع مكانه حطبة.

اسـتقبل الجميع كلمـات الثور بهمهمـات استحسـان. لكن القطّ هز رأسه:

- هذا مستحيل. سيلاحظ الأبوان أنّ شيئاً لا يتحرك في الكيس، وأنه لا شيء يتكلم أو يتنفّس فيه، وسرعان ما سيكتشفان الحقيقة.

اضطرّ الجميع إلى الإقرار أن ألفونس محقّ. وشعرَت الحيوانات بشيء من خيبة الأمل. وخلال الصمت الذي أعقبَ ذلك، بادرَ الحصان إلى الكلام. كان حصاناً هرماً تساقط شعره، يرتعش وهو واقف على قوائمه، ولم يعُد الأبوان يستخدمانه، وحتى تداولا في أمر بيعه لجزار خيول. فقال:

- صارت أيامي في الحياة معدودة. وما دامت نهايتي وشيكة، فالأجدر أن تنتهي في سبيل شيء نافع. لم يزل ألفونس يافعاً وينتظره مستقبل جميل. لذلك من الطبيعي أن أحلّ مكانه في الكيس.

أظهر الجميع تأثّرهم من اقتراح الحصان. ودفع الانفعال ألفونس إلى الخروج من الكيس وراح يتمسّحُ بسيقانه وهو يقوّس ظهره. وقال للحصان الهرم:

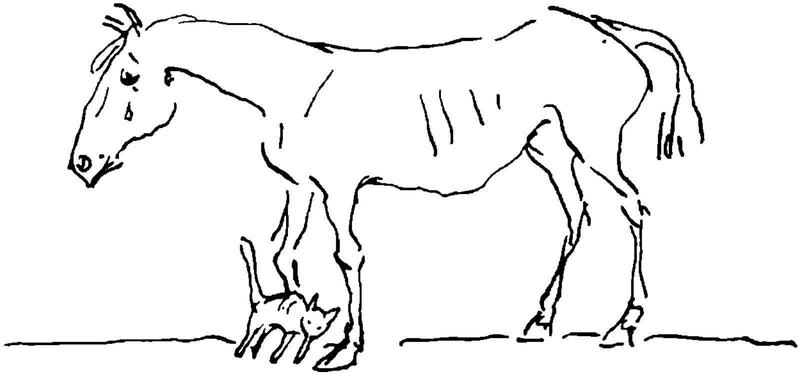

- أنـت مـن أفضـل الأصدقـاء وأكثـر الحيوانـات شـهامة. وإذا حالفنـي الحظّ ولم أغرق اليوم، فإنني لن أنسـى ما حييت التضحيّةَ التـي أبديتَ اسـتعدادكَ للقيـام بها من أجلـي، وإنني ممتـنّ لكَ من أعماق قلبي.

أخذَت دلفين ومارينيت تشـهقان وانخرط الخنزير، الذي يتمتّع أيضـاً بروح جميلـة، في البكاء. مسـح القـط عينيه بقائمته واسـتطرد قائلاً:

- يؤسـفني أنّ ما تقترحه مسـتحيل، لأنني كنت مستعداً لقبول عـرضٍ أسبَغَتْه علـيّ صداقـة ودّيـة. ولكنني أريـد أن أقـول فقط أنه لا يمكنك أن تحلّ مكاني في الكيس. فهو لا يتّسع حتى لرأسك.

وعلـى الفـور اتّضـح للصغيرتيـن ولبقيّـة الحيوانـات أنّ عمليـة الاسـتبدال مسـتحيلة. لأنّ الحصـان بـدا عملاقـاً إلى جانـب ألفونس. وارتأى ديك غيـر مهذّب أنّ المقارنة مضحكة وأباحَ لنفسـه أن يُطلق قهقهة صاخبة. فقال له ذَكَر البط:

- اصمُـتْ! فليس لدينـا مزاجٌ للضحـك وكنتُ أظـنّ أنّك فهمتَ ذلك. لكنك لست إلّا شريراً صغيراً. لهذا تفضّل بالخروج لو سمحت.

ردّ الديك:

- عفواً، انتظر! إياك أن تتدخّل فيما لا يعنيك! هل أسـألكَ كم الساعة الآن؟

همس الخنزير:

- يا إلهي، كم هو سوقيّ.

أخذت الحيوانات تصرخ:

- اخرجْ! اخرجْ أيها الديك! اخرج أيها السوقي! اخرج!

اجتاز الديك، وقد اشتدَّت حمرة عرفه، المطبخ يُلاحقه سيلٌ من صرخات السخرية وخرجَ وهو يُقسِم على الانتقام. ولأنّ المطر كان يهطل، التجأ إلى المخزن. وبعد بضع دقائق، جاءت مارينيت إليه أيضاً، واختارت بعناية فائقة حطبة. فاقترح الديك عليها بصوتٍ وَدود:

- ربما يمكنني أن أساعدك في العثور على ما تبحثين عنه.

- أوه! لا. أبحث عن حطبة بشكل... بالمحصلة، لها شكل.

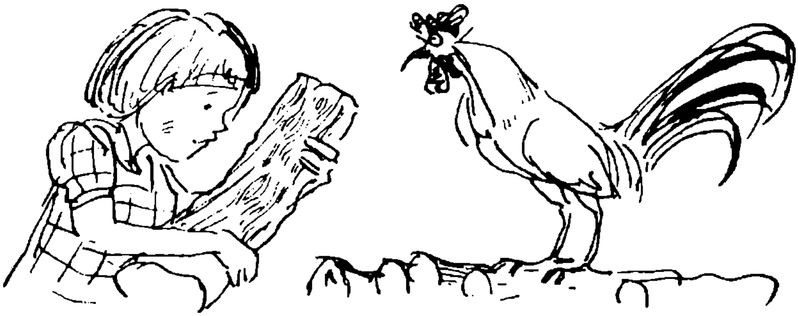

- شكل قطٍّ، أليس كذلك؟ ولكن، كما قال ألفونس للتو، سيكتشف الأبوان أنّ الحطبة لا تتحرك.

أجابت مارينيت:

- لكن لا. خطرت ببالِ ذكر البطّ فكرةَ أن...

كانت مارينيت قد سمعتهم يقولون في المطبخ أنه يجب الحذر من الديك، وخشيت أن تكون ثرثرت أكثر ممّا ينبغي، فتوقّفت عند هذا الحدّ وغادرت المخزن مع الحطبة التي اختارتها. رآها الديك تركض تحت المطر وتدخل المطبخ. وبعد قليل، خرجت دلفين مع القط، وبعد أن فتحت له باب مستودع المؤونة، انتظرته على العتبة. حدَّق الديك وحاول أن يفهم ما يجري من دون جدوى. وبين الفينة والأخرى، راحت دلفين تدنو من نافذة المطبخ وتسأل عن الساعة بصوتٍ قلق.

أجابتها مارينيت أول مرّة:

- الثانية عشرة إلّا عشرين دقيقة. الثانية عشرة إلّا عشر دقائق... الثانية عشرة إلّا خمس دقائق...

ولم يظهَر القط.

وما عدا ذكر البط، غادرت جميع الحيوانات المطبخَ ولاذت بملجأ.

- كم الساعة؟

- الثانية عشرة. ضاع كلّ شيء. كأنني... هل تسمعين؟ صوت عربة. ها هما الأبوان يعودان.

قالت دلفين:

- وا أسفاه. سأحبس ألفونس في مستودع المؤونة. على أية حال لن نموت إنْ ذهبنا ستة أشهر إلى بيت العمة ميلينا.

مدَّت ذراعها لتُغلق الباب، لكن ألفونس ظهرَ على العتبة، وهو يمسك بأسنانه فأرة حيّة، ولاحت عربة الأبوين على طرف الطريق تتقدم بسرعة.

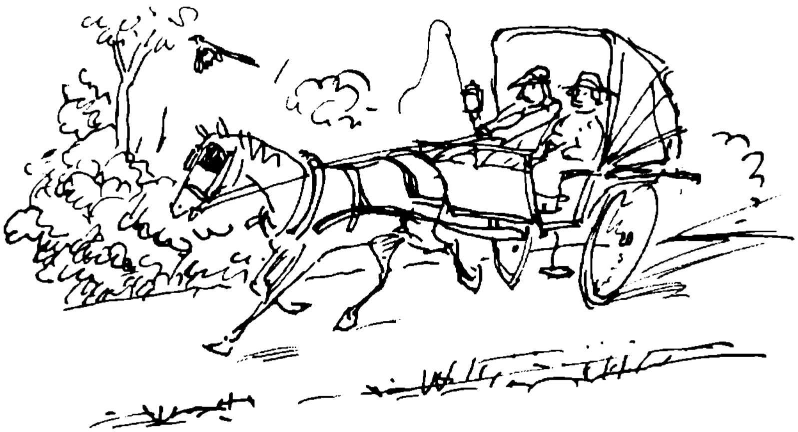

اندفع القط نحو المطبخ ودلفين في أعقابه. فتحت مارينيت فوهة الكيس ووضعت فيه حطبةٌ غلَّفتها بخروق لتبدو طرية. وأسقط ألفونس فيه الفأرة التي يمسكها من جِلد ظهرها وأعيدَ ربط الكيس بسرعة. وصلت عربةُ الأبوين إلى طرف الحديقة.

قال ذكرُ البط وهو ينحني فوق الكيس:

- أيتها الفأرة، لقد أبقَت طيبة القطّ على حياتك، ولكن هنالك شرط، هل تسمعينني؟

أجابه صوت خافت:

- نعم، أسمعك.

- لا نطلب منكِ إلّا شيئاً واحداً، أن تمشي على الحطبة المحبوسة معكِ بحيث توحي أنها تتحرك.

- هذا سهل. وبعد؟

- بعد ذلك سيأتي أُناس يحملون الكيس لإلقائه في الماء.

- نعم، ولكن...

- لا يوجد لكن. في قاع الكيس هنالك ثُقب صغير تستطيعين توسيعه عند الضرورة وحين تسمعين كلباً ينبَح قربك تهربين. لكن ليس قبل أن تسمعيه ينبح، وإلّا سيقتلك. مفهوم؟ ومهما حدث، إياكِ أن تصرخي أو تتفوهي بأية كلمة.

وصلت عربة الأبوين إلى الفناء. خبّأت مارينيت القطَّ ألفونس في الصندوق الخشبي ووضعت الكيس على غطائه. وبينما راح الأبوان يحلّان اللجام، غادر ذكر البطّ المطبخ وفركت الصغيرتان أعينهما حتى تحمرّ. وقال الأبوان وهما يدخلان:

- يا له من طقس رديء. اخترقَ المطر معطفينا. وكل ذلك بسبب هذا القط الحيوان!

فقالَ القط:

- لو لم أكُن حبيس كيس، لربما شعرتُ بالرثاء لحالكما.

كان القط المتكوّر في الصندوق الخشبي موجوداً تحت الكيس تماماً، وبدا أنّ صوته يخرج منه ويكاد يكون مصماً. أمّا الفأرة فراحت تذرع الحطبة جيئة وذهاباً داخل سجنها وتحرِّك قماش الكيس.

- نحـن الأبوين لا نحتاج إلـى رثاء. وإنما أنتَ مَـن تواجه وضعاً لا تُحسَد عليه. ولكنَّك تستحقه.

- هيا أيّها الأبوان، هيا. لستما شريرين كما يتبدّى على مظهركما. دعوني أخرج من الكيس وسأقبل أن أغفر لكما.

- تغفـر لنا! ما أوقحكَ. لعلّنا نحن مَـن جعلنا المطر يهطل كلّ يوم منذ أسبوع؟ ،

قال القط:

- أوه! لا، لا تسـتطيعان فعـل هـذا. ولكنكما ضربتمانـي يومئذٍ ظلماً. أيها المتوحشان! الجلادان! عديما الرحمة!

فصرخ الأبوان:

- آه! أيها القط القذر! هل أنت تشتمنا أيضاً؟!

وبلـغ بهما الغضب أنهما راحا يضرِبان الكيس بعصا المكنسـة، فتلقـت الحطبةُ المقمطـةُ ضربات قويـة، وبينما كانت الفـأرة تتقافزُ مذعورة داخل الكيس، أخذ ألفونس يُطلق صرخات متألمة.

- هل نلتَ جزاءك هذه المرّة؟ وهل ستقول أيضاً إننا بلا رحمة؟

أجاب ألفونس:

- لن أكلِّمكما ثانية. يمكنكما أن تقولا ما يحلو لكما. لن أتفوّه بحرفٍ مع أناس شريرين مثلكما.

- كما تشاء يا عزيزي. فعلاً، حان وقت التخلّص منك. هلمَّ بنا إلى النهر.

حمل الأبوان الكيس وخرجا من المطبخ غير عابئين بصرخات الصغيرتين. وراح الكلب الذي ينتظرهما في الفناء يتبعهما بهيئة محبَطة أزعجتهما قليلاً. وحين مرّا أمام المخزن، ناداهما الديك:

- إذاً أيها الأبوان، هل أنتما ذاهبان لإغراق المسكين ألفونس؟ لكن أخبراني، ألا يُحتمل أنه مات؟ إنَّه ساكن مثل حطبة.

- هذا ممكن جداً. لقد تلقى سيلاً من ضربات عصا المكنسة ربما قَضَت عليه.

وهما يقـولان هذا، ألقى الأبـوان نظرة على الكيـس الذي خبآه تحت معطفهما.

- لكن هذا لا يمنعه عن الحركة.

قال الديك:

- هـذا صحيـح، ولكننا لـم نعُد نسـمعه كما لـو أنّ لديكما في كيسكما حطبة مكان قط.

- الواقع، أخبرنا منذ قليل أنه لن يتفوّه بحرف ولن يردّ علينا.

هـذه المـرة، لم يتجـرّأ الديـك على التشـكيك في وجـود القط وتمنّى له رحلة سعيدة.

مع ذلـك، خرَج ألفونس مـن الصندوق الخشـبي وطفق يرقص رقصة دائرية مع الصغيرتين وسط المطبخ. ولم يشأ ذَكَر البط الذي يحضـر لهوهـم أن يعكِّـر فرحهـم، لكنّـه ظلّ قلقـاً من أن يكتشـف الأبوان الاستبدال. فقال:

- الآن، وقـد انتهت الرقصة الصاخبة، يجب أن نفكِّر في البقاء حذريـن. لا يتعلق الأمر فقط في أن يرى الأبـوان عند عودتهما القط فـي المطبـخ. حـان الوقـت يـا ألفونس لتذهـب وتسـتقرّ فـي مخزن المؤونة، وتذكَّرْ ألّا تغادره إطلاقاً في أثناء النهار.

وقالت دلفين:

- كلّ مساء ستجد تحت المخزن ما تأكله وطاسة حليب.

ووعدت مارينيت:

- وفي أثناء النهار سنصعد إلى مخزن المؤونة لنسلّم عليك.

- وأنا سأذهب لرؤيتكما في غرفتكما. كلّ مساء، حين تنامان، ليس عليكما إلّا أن تتركا لي النافذة منفرجةً.

ورافق ذكَر البط والصغيرتان القط حتى باب مخزن المؤونة. ووصلوا لحظة وصول الفأرة التي عادت إلى المخزن بعد أن هربت من الكيس.

قال لها ذكر البط:

- وإذاً؟

أجابت الفأرة:

- إنني مبتلة. كانت عودتي تحت المطر طويلة. وتصوّروا أنني كدتُ أغرق. لم ينبح الكلب إلّا في اللحظة الأخيرة، حين كان الأبوان على حافة النهر. لقد أوشكا أن يرمياني في الماء مع الكيس!

قال ذكر البط:

- في نهاية المطاف، مرّ كلّ شيء بسلام. لكن لا تتأخري وأسرعي إلى مخزن المؤونة.

ولمّا عاد الأبوان وجدا الصغيرتين تجهّزان طاولة المائدة وهما تغنيان، فصعَقهما ذلك.

- حقـاً، لا يبدو أنّ موت المسـكينِ ألفونس يُحزنكمـا. كنتما في غنى عن الصراخ بتلك القوة حين رَحل. مع أنه كان يستحقّ أن يكون أصدقاؤه أكثر وفاءً. كان حيواناً ممتازاً فعلاً وسنشتاق إليه.

أكّدت مارينيت:

- لقد حزنّا كثيراً، ولكن بما أنه مات، حسن، لقد مات. لم يعُد باليد حيلة.

وأضافت دلفين:

- على أية حال، استحقّ ما جرى له.

وبّخهما الأبوان:

- هذا الأسـلوب في الكلام لا يروق لنا. أنتمـا طفلتان بلا قلب. لدينـا رغبـة جامحـة، آه! أجـل، تعترينا رغبـة جامحة لإرسـالكما في جولة إلى منزل العمّة ميلينا.

عنـد هـذه الكلمـات، جلسـوا إلـى المائـدة، إلّا أنّ الأبويـن كانا يشـعران بحزن غامرٍ ولم يسـتطيعا أن يتناولا الطعـام تقريباً، وقالا للصغيرتين اللتين راحتا تأكلان بشراهة:

- ليـس الحـزن هـو مـا يصـدّ شـهيتكما للطعـام. لـو اسـتطاع المسكين ألفونس أن يرانا، لأدْرَكَ مَن هم أصدقاؤه الحقيقيون.

عند انتهاء الوجبة، لم يستطيعا حبس دموعهما وأخذا ينتحبان في منديليهما. فقالت الصغيرتان لهما:

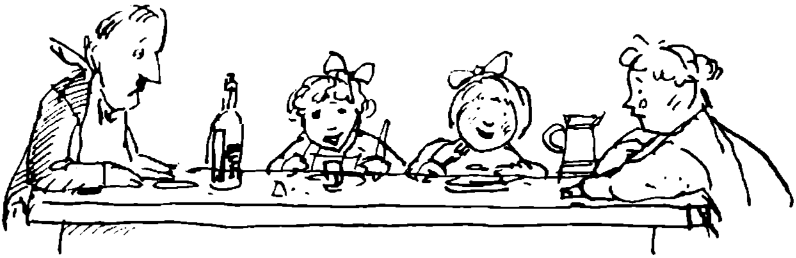

- رجاءً أيها الأبوان، رجاءً، تشجّعا قليلاً. يجب ألّا تستسلما. لن يُعيد البكاء ألفونس حيّاً. بالتأكيد أنتما وضعتماه في كيس وأوسعتماه ضرباً بالعصا وألقيتماه في النهر، ولكن فكرا أنّ ذلك كان لخيرنا جميعاً، من أجل إعادة الشمس إلى محصولنا. تعقّلا. قبل قليل، حين ذهبتما إلى النهر، كنتما في غاية الشجاعة والمرح!

ظلّ الأبوان بقية النهار حزينين، ولكن السماء في صبيحة اليوم التالي كانت صافيةً والحقول مُشمِسَة، فلم يعودا يفكّران في القط إلّا ما ندر. وفي الأيام التالية تضاءَل تفكير الأبوين في القط أكثر. إذ حمي دفء الشمس ولم يدَع لهما عبء العمل في الحقول مجالاً لأيّ أسف.

أمّا الصغيرتان، فلم تضطرا إلى التفكير في ألفونس، لأنهما لم تفارقاه إلّا ما ندر. إذ استفاد من غياب الأبوين، وراح يقضي النهار من الصباح حتى المساء في الفناء ولا يختبئ إلّا في أوقات الوجبات.

وإذا ما حلّ الليل ذهب إليهما في غرفتهما.

وبينما كان الأبوان عائدان ذات مساء إلى المزرعة، بادر الديك إلى لقائهما وقال لهما:

– لا أدري إن كنتُ أتوهّم، ولكن يخيّل لي أنني لمحتُ ألفونس في الفناء.

غمغم الأبوان ومضيا في طريقهما:

- إنه ديك أبله.

لكن الديك عاد لملاقاتهما في اليوم التالي وقال:

- لـو لم يكُن ألفونس في قاع النهر، لأقسـمتُ أنني رأيته عصر هذا اليوم يلعب مع الصغيرتين.

- تتفاقم بلاهة هذا الديك، بسبب ألفونس المسكين!

حيـن قالا هـذا، تفحَّصا الديـك بانتبـاه فائق، وراحا يتهامسـان دون أن يحيدا بنظرهما عنه. كانا يقولان:

- هـذا الديك مهبول لكن صحتـه جيدة. نراه كلّ يوم لكننا لم ننتبه لذلك. في الحقيقة جاء وقته ولن نكسب شيئاً من تغذيته فترة أطول.

فـي الصبـاح الباكـر مـن اليـوم التالـي، نـزف الديك حيـن كان يتأهـب للحديـث عـن ألفونس. طهـوه في مقـلاة واسـتطاب الجميع طعمه.

انقضـى خمسـة عشـر يومـاً على مـوت ألفونـس وظـلّ الطقس جميـلاً. لم تهطُل أيـة قطْرة مطـر. وراح الأبوان يقـولان إنّ هذا من حسن حظهما، ويضيفان بشيء من القلق:

- يجـب ألّا تسـتمر هـذه الحـال وقتـاً أطـول. وإلّا سـنعاني من الجفاف. زخّة مطر ستُعيد الأمور إلى نصابها.

مضـى ثلاثة وعشـرون يومـاً دون أن تهطل قطرة مطـر واحدة. جفّـت الأرض ولـم يعُد ينمو فيها شيء. لـم يكبر القمح والشـعير

والشوفان وبدؤوا يصفرّون. وطفق الأبوان يقولان: «إذا استمرّ الطقس على هذا المنوال أسبوعاً آخر، سيُشوى كل شيء». وراحا يتحسّران ويتأسفان جهاراً على موت ألفونس ويتّهمان الصغيرتين بأنهما السبب. «لو لم تكسرا صحن الخزف، لما أثيرت المشاكل مع القط ولكان هنا الآن ليمنحنا المطر». وفي المساء، بعد العشاء، ذهبا يجلسان في الفناء وينظران إلى السماء الخالية من الغيوم، ويفركان أيديهما بيأس وهما يَلهجان باسم ألفونس.

وذات صباح جاء الأبوان إلى غرفة الصغيرتين لإيقاظهما. كان القط قد أمضى هزيعاً من الليل يثرثر معهما، وظلّ نائماً على سرير مارينيت. حين سمع الباب يُفتح، لم يُسعفه الوقت إلّا للانزلاق تحت اللحاف.

قال الأبوان:

- حان وقت الاستيقاظ. هيا انهضا. الشمس تنشر الدفء في كلّ مكان ولن تُمطر السماء اليوم أيضاً... آه! لكن ما هذا...

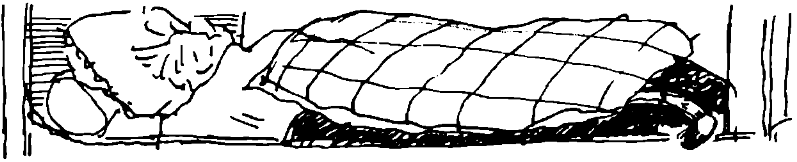

توقّفا عن الكلام وراحا ينظران إلى سرير مارينيت وعنقاهما ممدودتان وعيونهما جاحظة. ألفونس الذي ظنّ أنه أحسن الاختباء، لم يَدْرِ في خلدِه أنّ ذَنَبه ظلّ خارج اللحاف. أمّا دلفين ومارينيت فبقيتا ناعستين، وغاصتا تماماً تحت الأغطية. تقدّم الأبوان بخطوات

ذئب وقبضا بأيديهما الأربع على ذنب القط الذي ألفى نفسه فجأة معلقاً في الهواء.

- آه! هكذا، ولكن هذا ألفونس!

- أجل، هذا أنا، ولكن اتركاني، أنتما تؤلمانني. سأشرح لكما الأمر.

وضع الأبوان القطَّ على السرير، واضطرّت دلفين ومارينيت للاعتراف بما حدث يوم الإغراق. وأكّدت دلفين:

- فعلنا هذا لمصلحتكما، حتى نجنّبكما جريرة موت قط مسكين لا يستحق ذلك.

زمجَر الأبوان:

- أنتما عصيتما أوامرنا. ومَن وَعَدَ وفى. ستذهبان إلى بيت العمّة ميلينا.

هتف القط وهو يثبُ إلى حافة النافذة:

- آه! هكذا إذاً؟ حسنٌ! أنا أيضاً سأذهب إلى بيت العمة ميلينا، وسأنطلق أولاً.

أدرك الأبوان أنهما تسرَّعا، وراحا يرجوان ألفونس أن يتكرَّم بالبقاء في المزرعة، لأنّ مستقبل المحصول يتوقف على بقائه فيها. بَيْدَ أنّ القطّ رفَضَ الاستجابة لهما. أخيراً، بعد أن بالغا في التوسّل، وبعد أن قطعا وعداً على ألّا تغادر الصغيرتان المزرعة، وافق على البقاء.

في مساء هذا اليوم ذاته -وكان من أشدّ الأيام قيظاً- شكّل الأبوان ودلفين وماريتيت وجميع حيوانات المزرعة حلقة في الفناء. ووسط الحلقة جلس ألفونس على منضدة صغيرة، وراح في البداية ينظِّف نفسه بهدوء، وفي اللحظة المناسبة، مرَّر قائمته خلف أذنه أكثر من خمسين مرة. في صبيحة اليوم التالي، بعد خمسة وعشرين يوماً من الجفاف، هطلَ مطر سخيّ، أنعش الحيوانات والناس. وراح كلّ شيء ينمو ويخضرّ في الحديقة والحقول والمروج. وفي الأسبوع التالي، وقع حادثٌ سعيدٌ آخر. خطر ببال العمّة ميلينا أن تحلق لحيتها، فوجَدَت بيُسر مَن يتزوّجها وذهبت تسكن عند زوجها الجديد على بُعد ألف كيلومتر من منزل الصغيرتين.

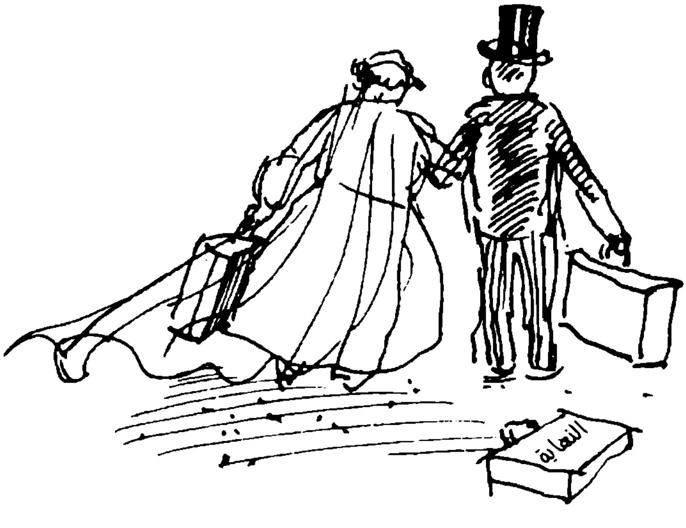

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

البقرات

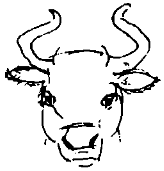

أخرجـت دلفيـن ومارينيت الأبقار مـن الحظيرة لتذهبـا بها إلى المرعى الكبير على ضفّة النهر، في الطرف الآخر من القرية. ولأنهما لن تعودا قبل المساء، حمَلَتا في سلة طعامٍ غداءهما وغداء الكلب وفطيرتان من الحلوى من أجل وجبة العصر.

قال الأبوان:

- هيـا، اذهبـا واحرصا على ألّا تسـرح البقرات بين البرسـيم أو تقضـم تفاح الأشـجار علـى الـدروب. فكّـرا على أيـة حـال أنكما لم تعودا طفلتين. فعمركما معاً يقارب العشرين عاماً.

ثم خاطَبا الكلب الذي يتشمَّم بمودّة سلة الغداء:

- وأنت أيها الكسول، كُنْ يقظاً أيضاً.

فغمغم الكلب قائلاً:

- لا يكفّان عن الإطراء والمديح. مَن شَبّ على شيء شابَ عليه.

- وأنتـن أيتهـا البقرات، فكّـرن في أنَّـا نصحبكنّ لترعين عشـباً لا يكلِّف شيئاً، فإياكن أن توفِّرن لُقمةً واحدةً منه.

قالت البقرات:

- اطمئنّا أيها الأبوان. بالنسبة إلى الطعام، سنأكل بشراهة.

وأضافت إحداهن بنبرة حادة:

- إذا لم يُزعجنا أحد، فسنأكل حتى الشبع.

كانت البقرة التي تكلَّمت قصيرة ورماديّة اللون تُدعى كورنيت. وحازت على ثقة الأبوين لأنها لم تتوانَ إخبارهما بما تفعله الصغيرتان وحتى بما لا تفعلانه، وكانت تشعر بلذّة شريرة حين تتسبَّب في تأنيبهما ومعاقبتهما.

سألتها دلفين:

- يُزعجكِ؟ ومَن يزعجك؟

قالت كورنيت مبتعدة:

- أنا أقول ما يحلو لي.

وخلفها، سلك القطيع الطريق إلى المرعى. وبقي الأبوان وحدهما مغروسين وسط فناء المزرعة، وهما يكزّان على أسنانهما قائلين:

- همم، وها هو أمر أيضاً علينا أن نوضحه. إنه الأمر ذاته دوماً. هاتان الصبيتان هما رأسان حقيقيان مجنونان. آه! يا لحسن الحظ! من حسن الحظ أنّ كورنيت موجودة، وهي عاقلة وعلى الأخص مخلصة.

ونظـر أحدهما إلى الآخر وقد مالا برأسـيهما نحو اليمين، وقالا وهما يمسحان دمعة حنان:

- كورنيت الصغيرة الطيبة، اذهبي.

وعندئذٍ، دخلا البيت وهما ينتقدان استهتار ابنتيهما.

لم يكَد القطيع يبتعـد مئتي متر عن المزرعة حتى صادف على حافة الطريق غصن شـجرة تفـاح يبدو أنّ عاصفة الليـل اقتلعته من الشـجرة. ورغم خطر الاختنـاق، أخذت البقرات تقضمـن التفاحات، بينمـا كورنيـت التـي تتقدّمهـن، مـرّت بجانـب الغصـن مـن دون أن تلحظه. ولمّا انتبهت، عـادت على أعقابها، لكن بعد فوات الأوان. إذ لم يتبقَّ على الغصن تفاحةٌ واحدة. فقالت ضاحكة:

- صحيح، وما شأني أنا إن نفقتنّ بسبب التفاح؟

فقالت مارينيت:

- أجل، أنت غاضبة لأنك لم تحصلي على شيء منه.

راحت الصغيرتان تضحكان وأيضاً البقرات والكلب. وبلغ غضب كورنيت أوجه وطفقت قوائمها الأربع ترتجف. فصرخت بصوت حانق:

- سأخبِر الأبوين بذلك.

وفعلاً توجّهت نحو المزرعة، لكن الكلب اعترَضَها وأنذرها قائلاً:

- إن خَطَوْتِ خُطوةً أخرى، سآكل خطمك.

وكشَّر عن أنيابه ونفشَ شعره على ظهره. كان واضحاً أنه جادّ فيما يقول، وقد أدركت كورنيت ذلك فقفلت راجعة في الحال. وقالت:

- حسنٌ، ستقطفون ثمار ما زرعتم. ولن يتأخّر دوري في الضحك طويلاً.

استأنف القطيع مسيره، وظلّت كورنيت في المقدمة دون أن تتوقّف عن رعي العشب على امتداد الطريق كما تفعل البقرات الأخرى. ولمّا وصلت إلى مشارف المرعى الكبير، توقّفت مطولاً أمام مزرعة منعزلة وتجاذبت أطراف الحديث مع المزارعة التي كانت تنشر غسيلها على سياج حديقتها. وفي الطرف الآخر من الطريق، على بعد مئة متر من المزرعة، كانت جماعة من الرحالة الجوالين قد فصلت الحصان عن عربتهم، وجلسوا على حافة حفرة يجدلون

السلال. وحين لحق باقي القطيع بكورنيت استوقفت المزارِعَة الصغيرتين وقالت لهما وهي تُشير إلى العربة:

- احذرا من هؤلاء الناس. إنَّهم من الرعاع ويمكنهم أن يفعلوا أيّ شيء. إذا حاول أحدهم أن يكلِّمكما، فتجاهلاه وتابعا طريقكما ولا تُجيبانه.

شكرتها دلفين ومارينيت بتهذيب، ولكن بفتور، لأنّ المزارعة لم تعجبهما. فقد قرأتا على وجهها مكراً وخبثاً ما جَعَلَها تشبه كورنيت، وكذلك أخافهما قليلاً السنّ الوحيد، الطويل والأصفر، الذي يبرز في منتصف فمها. ولم يرُق لهما أيضاً المزارع الواقف على عتبة الباب الذي راح ينظر إليهما شزراً.

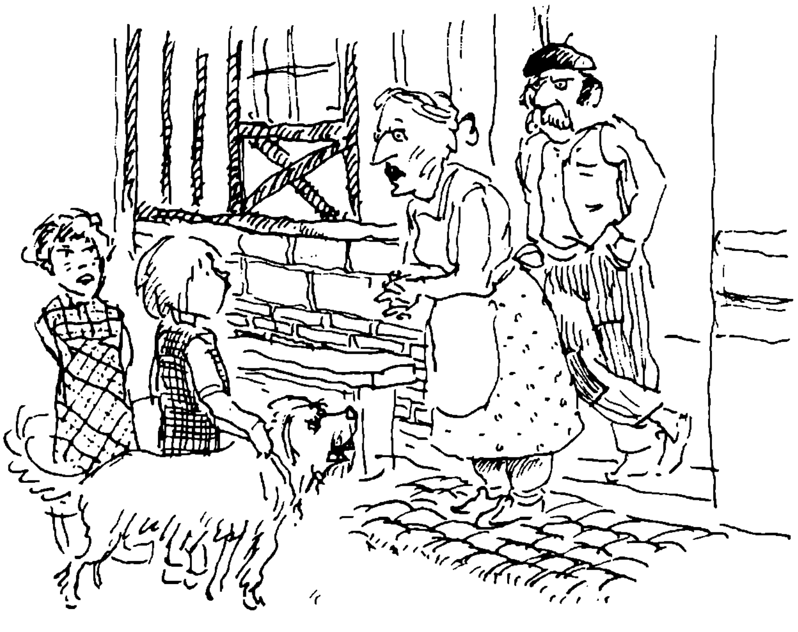

وحتى تلك اللحظة، لم يسبِقْ لهما أن تحدَّثا إلى الصغيرتين إلّا تأنيباً لهما على إهمالهما البقرات أو تهديدهما بالشكوى لأبويهما. وعلى أية حال، حين مرَّتا أمام العربة، حثّتا الخطى، ولم تتجرآ على أكثر من اختلاس نظرة جانبية. لم يُعْرِهما الرُّحَّل أيّ انتباه لأنهم كانوا منهمكين في العمل وهم يضحكون ويغنون.

في المرعى الكبير، انصرم النهار على خير ما يرام، ما عدا أنّ كورنيت انطلقت لتغزو مراراً وتكراراً حقل برسيم في طرف المرج. وقد أبدت عناداً وإصراراً اضطرّ الصغيرتين في المرة الثالثة إلى توجيه وابل من ضربات العصا على ظهرها لطردها. وفيما راحت تركض بأقصى سرعة، تعلَّق الكلب بذيلها وظلّ هكذا لأكثر من عشرين متراً دون أن يلامس الأرض.

مكتبة
t.me/t_pdf

قالت وهي تلحق بالقطيع:

- ستدفعان جزاء هذا التصرف غالياً.

قبيلَ نهاية العصر، ذهبت الصغيرتان إلى النهرِ حتى تتحدّثا مع السمكات، وأصرَّ الكلب على مرافقتهما مع أنه كان الأجدر به أن يحرس القطيع. وفي الواقع، لم تحظَ المحادثة بالاهتمام. لم ترَيا إلّا سَمَكة واحدة ضخمة شبه بلهاء اكتفت بالإجابة عن كلّ ما تقولانه هكذا: «كما أقول أغلب الأحيان: لا يوجد ما هو أهم من وجبة شهية ونومة هنية» وحين يئسَت الراعيتان من استخلاص شيء آخر منها، رجعتا وكلبهما إلى وسط المرعى. كان القطيع يرعى

في سلام، لكن كورنيت كانت قد اختفت، أمّا باقي البقرات، فكنَّ مستغرقات في القضم ولم تشاهِدْنَها وهي تبتعد.

كانت دلفين ومارينيت واثقتين من أنّ كورنيت عادت مباشرة إلى البيت حتى تكون السبّاقة وتتباهى أمام الأبوين بسرد حكاياتها كما هو دأبها. وعلى أمل أن تلحَقا بها قبل وصولها إلى المزرعة، غادرت الفتاتان المرعى على الفور وقادتا القطيع على وجه السرعة.

لم يكُن الأبوان قد عادا من الحقول، ولكن لا أثر لكورنيت في أيّ مكان ولم يرَها أحد. طار صواب الصغيرتين، بينما شعر الكلب بالحرج وهو يتخيَّل ما ينتظره. وفي الفناء، لقيتا ذكر البطِّ صاحب الريش الجميل وقد حافظ على برودة أعصابه، فقال لهما:

- حافظا على رباطة جأشكما. ستحلبان أولاً البقرات، وتحملان الحليب إلى معمل الألبان، وبعد ذلك، سنناقش الأمر.

عملت الصغيرتان بنصيحة ذكر البط. ولمّا وصل الأبوان إلى المزرعة، كانت الصغيرتان قد عادتا من معمل الألبان. وكان الليل قد خيّم، وأضيء المصباح في المطبخ.

قال الأبوان:

- مساء الخير. هل كلّ شيء على ما يرام؟ هل من جديد؟

فأجاب الكلب:

- بصدقٍ لا، لا جديد.

- أنتَ، لا تتكلم إلّا حين نسألك. يا لكَ من حيوان! وأنتما أيتها الصغيرتان، هل من جديد؟

قالت الصغيرتان بصوت متهدّج وقد تَضَرَّجت وجنتاهما بالحُمْرة:

- لا، لا شيء. كلّ شيء تقريباً...

- تقريباً؟ همم، هيا بنا لنرى ما تقوله الحيوانات.

وغادر الأبوان المطبخ، بَيْدَ أنّ الكلب سبقهما ولحقَ بذكر البط الذي كان ينتظره في مكان وقوف كورنيت في آخر الحظيرة.

قال الأبوان:

- مساء الخير أيتها بقرات. هل أمضيتنّ نهاراً جميلاً؟

- نهار رائع أيها الأبوان. لم نأكُل في حياتنا ألذّ من هذا العشب.

- ممتاز، أحسنتن. وغير هذا، ألم يزعجكنّ شيء؟

- لا، لم يزعجنا شيء.

وتقدَّم الأبوان نحو صدر الحظيرة متلمسين طريقهما في الظلام.

- وأنتِ يا كورنيت الصغيرة الطيبة، ألن تُدلي بدلوكِ؟

أجاب ذكر البط بصوتٍ منتحب وهو يردِّد الكلمات التي يهمس بها الكلب في أذنه:

- لقد أكلَت حتى التخمة، انظرا، أكاد أغفو وأنا واقفة.

- آه! يا لكِ من بقرة طيبة! هذا ما يطيب لنا سماعه. ألم يزعجك اليوم أحد إجمالاً؟

- ليس لديّ شكوى على أحد...

تردَّد الكلب لبرهة لكن ذكر البط استحثّه، فأضاف بطيش:

- لا، لا شكوى عندي، ما عدا أنّ هذا الكلب القذر تعلَّق بذيلي. قولا ما تشاءان أيها الأبوان، لكن ذيل البقرة لم يُخْلَقْ ليستخدمه كلب كأرجوحة.

- بالتأكيد لا. يا للحيوان الوغد! لكن اطمئني، بعد قليل، سينال جزاءه بضربات قبقاب على أضلاعه. إنه الآن في المطبخ، ليس لديه أية فكرة عمّا ينتظره.

- لا تقسوا عليه رغم كلّ شيء. وفي الحقيقة، كما تعرفان، فقد فعل ما فعله معي على سبيل المزاح واللهو.

- لا، لا، لا رأفة بالرعاة الأشرار. سينال ما يستحقّ من الضرب.

وعندئذٍ، عاد الأبوان إلى المطبخ، وقد سبقهما الكلب إليه واستلقى تحت الفرن. فصرخ فيه سيّداه.

- تعالَ إلى هنا، أنت!

قال الكلب:

- أنا قادم حالاً. ولكنكما لا تبدوان مسرورَين مني. كما تعرفان، غالباً ما تراود المرء أفكار...

- ستأتي أم لا؟

- قادم، قادم. على أيّ حال، أبذل ما بوسعي. ويجب أن أخبركما أنني أعاني من روماتيزم في خاصرتي اليمنى.

- تمام، هناك دواء ناجع بانتظارك.

وهما يقولان هذا، راح الأبوان ينظران إلى بوز قباقيبهما المدبَّبة نظراتٍ قاسية. دافعت الصغيرتان عن الكلب، ولمّا كان الأبوان يظنان أنه ليس ثمة مأخذ عليهما، وافقا على الاكتفاء بتوجيه ضربة قبقاب واحدة من كلّ واحد منهما.

وفي صبيحة اليوم التالي، جاء الأبوان ليحلبا البقرات، فاكتشفا أنّ كورنيت ليست في الحظيرة، وأنه يوجد في مكانها سطل مُترَع بحليب فاتر درته البقرات الأخريات.

وشرح لهما ذكر البط الأمر قائلاً:

- حين كنتما في مخزن المؤونة منذ قليل، شَكَت كورنيت من صداع في رأسها، وطلبَت من الصغيرتين أن تحلباها في الحال وقد اصطحبتها مارينيت إلى المرج الكبير منذ برهة.

قال الأبوان:

- ما دامت كورنيت طلبَت ذلك، فقد أحسَنَت الصغيرتان صنعاً.

في تلك الأثناء، كانت مارينيت تتجه وحدها نحو المرج الكبير. فصادفت المزارعة صاحبة السن الوحيد في فناء مزرعتها. ودهشت هذه الأخيرة حين رأت الراعية الصغيرة من دون كلبهما ومن دون قطيعها.

قالت مارينيت:

- أوه! لو تعرفين ما حدث لنا. لقد أضعنا بقرة بعد ظهر يوم أمس.

أعلنت المزارعة أنَّها لم ترَ كورنيت. وأضافت مشيرة إلى الطرف الآخر من الطريق، نحو الرُّحل الذين يتناولون إفطارهم أمام عربتهم:

- في هذه الفترة، يفضَّل عدم ترك الحيوانات تشرد أو إهمال أيّ شيء. هذا معروف لجميع الناس.

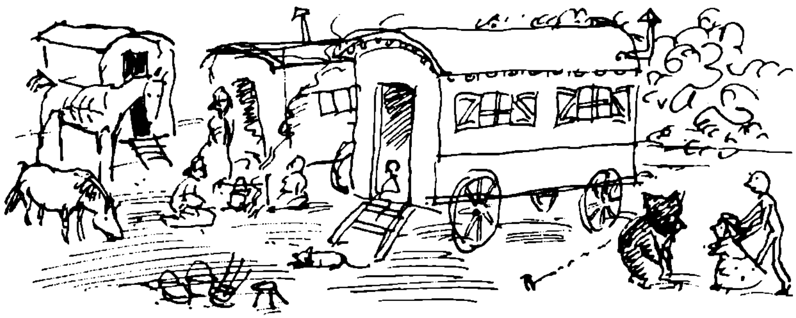

جازفت مارينيت واختلست نظرة نحو العربة، ولكنها لم تتجرّأ على سؤال البوهيميين. وفي الواقع لم تكُن تعتقد أنهم سرقوا كورنيت. أين سيضعونها؟ كان باب عربتهم أضيق من أن تمرّ فيه بقرة. ولما أصبَحَت وحدها في المرج الكبير، ذهبت لتستفهم من الأسماك إن كان ثمة بقرة هلكت بالأمس وهي تخوض في حفر المياه. لكن أياً من الأسماك التي سألتها لم تسمع بحادث من هذا القبيل. وعلقت سمكة شبوط:

- لكُنّا عرفنا بحادثٍ من هذا القبيل. تنتشر الأخبار بسرعة في النهر. فضلاً عن ذلك، لكان ابني سمع بالخبر منذ مساء الأمس. كما تعرفين، يظل دوماً في الحفر والمخاضات.

بعد أن اطمأنت مارينيت، انضمت إلى القطيع الذي وصل إلى المرج الكبير. وقلقت دلفين من الحديث الذي تجاذبت مارينيت أطرافه مع المزارعة. فهذه الأخيرة لن تتوانَ عن إخبار الأبوين بقصّة كورنيت إنْ صادفتهما. وأيَّدتها مارينيت قائلة:

- هذا صحيح، وأنا لم أفكِّر في ذلك.

وحتى نهاية فترة الصباح، ظلَّت الصغيرتان تأملان أن تعود كورنيت إليهما بعد أن أمضَت ليلة في العراء وبعد أن سكن غضبها. ولكن الوقت راح ينقضي ولم تريا أحداً يعود. وناب البقرات قسطاً من قلق الراعيتين، ومن فرطِ حزنهن لم يعُدن يفكرن في مضغ العشب. وحين حلَّت الظهيرة، تلاشى كلُّ أمل في عودتها. وبعد أن تغدت الصغيرتان على عَجَلٍ، قررتا الذهاب للبحث في الغابة.

لم تشاءا الاعتقاد بأنّ كورنيت سُرِقتْ، وإنما بحثت عن مخبأ في الغابات، وتاهت فيها. فقالت دلفين للبقرات:

- ستبقين وحدكنّ في المرعى، كان بودّنا أن نترك الكلب معكن، ولكن رفقته لنا في الغابات ستكون أنفع. عِدْنَنا أن تكُنَّ عاقلات ولا تقربن البرسيم وانتظرن عودتنا حتى تذهبن للشرب من النهر. فوعدتهن البقرات:

- اطمئنا، يمكنكما الاعتماد علينا. لن يرانا أحدٌ بين البرسيم ولا على ضفة النهر. لديكما من الهموم ما يكفيكما، ولن نحمِّلكما هموماً جديدة.

بعد أن عبَرت الصغيرتان النهر، توغلتا في الغابة وقطعتا أشواطاً على دروبها. وراح الكلب يركض عبر الممرات في جميع الاتجاهات، ضارباً الأدغال والأحراش. لكنهم فتّشوا ونادوا على كورنيت بجميع الأصوات بلا جدوى. وسألوا سكان الغابة، الأرانب والسناجب وطيور أبي زريق والغربان واللقالق والعقاعق، ولكن أياً من هؤلاء لم يتناهَ إلى مسمعه أنّ بقرة تاهَت في الغابة. بل إنّ غراباً تطوع للذهاب إلى الطرف الآخر من الغابة ليتقصى الأخبار، وهناك أيضاً، لم يسمَع أحد بأمرِ بقرة تائهة. صارَت متابعة البحث مضيعة للوقت. فكورنيت موجودة في مكان آخر.

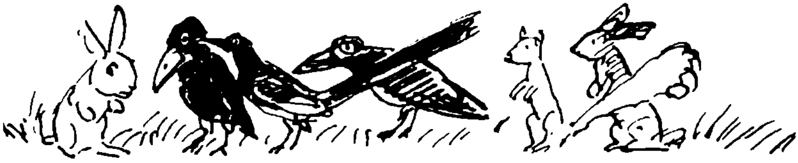

أصيبت دلفين ومارينيت بشيء من الإحباط وعادتا على أعقابهما. كانت الساعة تقارب الرابعة عصراً وراحت تتضاءل فرص العثور على كورنيت قبل انتهاء النهار. فتنهّد الكلب وقال:

- يجب أن نُعيد المسرحية ذاتها هذا المساء. ولا أظنني سأتخلّص من الورطة دون أن أتلقى ضربتَي قبقاب أو ثلاث.

في المرعى الكبير، كانت تنتظرهم مفاجأةٌ سيئة. لم تعُد البقرات موجودة هناك. اختفى القطيعُ كلُّه ولا شيء يُشير أو يدلّ على الوجهة التي سلكها. وتحت وطأة هذه الضربة الجديدة، راحت الصغيرتان تبكيان، ولم يستطِعْ الكلب أن يكبَح دموعه وقد تراءى له المستقبل رتلاً لا نهاية له من القباقيب. وبما أنه لا جدوى من القيام بأيّ شيء في المرعى، قرّروا العودة إلى المنزل.

لم يكُن البوهيميون بجانب عربتهم وبدا الأمر مثيراً للشبهة. ولمّا سألوا المُزارعة، لم تستطِعْ إفادتهم بأيّة معلومة عن الوجهة التي سلكتها الأبقار، ولكنّها ألمحت أنّ البوهيميين يعرفون. وتذمّرت أنّها أضاعت دجاجةً لم تعُد إلى القن ليلة أمس وأضافت أنها قد لا تكون بعيدة، إلّا إذا أُكِلَتْ.

لم يكُن الأبوان قد عادا إلى البيت بعد. وعلى مدخل الفناء، كان ذكر البط والقط والديك والدجاجات والأوز والخنزير يترقبون وصول الصغيرتين ليعرفوا أخبار كورنيت، فغمرتهم الدهشة لرؤيتهما تطلان وحدهما مع الكلب. وساد الهرج والمرج عند سماعهم خبرَ اختفاء البقرات. أخذ الإوز ينتحب والدجاج يتراكَض

فـي كلّ اتجـاه، وراح الخنزيـر يصـرخ كأن أحـداً يسـلخه، وتعاطفـاً مـع الكلـب الـذي كان إحباطه مثيراً للشـفقة، طفق الديـك ينبح. أما القط الذي عضّ على شـفَتيه ليخفي انفعاله، فقد ابتلع شاربيه وكاد يختنـق. وفي خضـم هذا التعاطـف الصاخب، اسـتأنفت الصغيرتان البـكاء ورفد نحيبهمـا الضجيج. وحدَه ذكر البط ظلّ هادئاً، إذ سـبَقَ لـه أن شـهد الكثيـر مـن المواقـف المشـابهة. وقـال بعـد أن طالـب بالتزام الصمت:

- لا جـدوى من اللطم والندب. إذا عاد الأبوان ليلاً مثل مسـاء الأمس، فإنه لا يزال بوسـعنا ترتيب كلّ شيء، ولكن علينا أن نستعدّ لاستقبالهما دون أن نضيع الوقت.

أعطـى لـكلّ واحـد تعليمـات محـدَّدة وتأكَّـد بعـد ذلـك من أن الجميـع فهمـوا. كان الخنزيـر يصغـي إليـه بفـارغ الصبـر ويحـاول مقاطعته كلَّ لحظة، وقال أخيراً:

- كل هذا جميل جداً. ولكن هنالك ما هو أهم.

- وما هو هذا الشيء الأهم من فضلك؟

- أن نعثُر على البقرات.

فتنهَّدت دلفين ومارينيت:

- بالطبع. ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟

أعلن الخنزير:

- سأتكفّل بهذا الأمر. يمكنكم أن تثقوا بي. سأعثر على البقرات قبل ظهر الغد.

كان الخنزير قد تردَّد قبل بِضْعة أسابيع على كلب بوليسي يقضي أصحابه عطلتهم في القرية. ومنذ أن سمع قصص مغامرات الكلب البوليسي، لم يعُد يحلم إلّا في خوض مغامرات مماثلة.

- غداً، عند الفجر، أبدأ حملتي. وأظنّ أنني أمسك بطرف الخيط. وكلّ ما أطلبه منكما أيتها الصغيرتان، أن تزوِّداني بلحية مستعارة.

- لحية مستعارة؟

- حتى لا يعرفني أحد. بلحية مستعارة يمكنني الذهاب أنى شئتُ سراً.

لم تخب آمال ذكر البط. في الحقيقة، هبط الليل حين وصل الأبوان. وبعد محادثة مع الصغيرتين استغرقت بضع دقائق، ذهبا إلى الحظيرة حيث الظلام حالك.

- مساء الخير أيتها البقرات. هل مرَّ النهار على ما يرام؟

فأجـاب الديـك والإوز والقط والخنزيـر الذين شـغلَ كلّ واحد منهم مكان بقرة بصوت مفخم:

- علـى أحسـن مـا يرام أيهـا الأبـوان. جـوٌّ صافٍ وعشـب طري وصحبة ممتعة، فما عسانا نطلب أكثر من ذلك؟

- فعلاً، إنه نهار جميل.

ثم خاطب الأبوان بقرة شَغَلَ مكانَها القط.

- وأنـتِ يـا روج؟ كنـتِ تبديـن هـذا الصبـاح أقـل جمـالاً مـن المعتاد، هل أكلتِ اليوم جيداً؟

فأجابهما القط الذي كان شارداً بلا شك أو منفعلاً.

- مياو.

أخـذت دلفين ومارينيـت الواقفتان علـى عتبة الباب ترتعشـان. لكن القطّ استدرك في الحال:

- مـرة أخـرى يأتي هـذا القـط الأحمق ليتمسَّـح بقوائمـي، لكن بما أنني دعسـتُ على ذيله فقد نال ما يسـتحق. تسـألانني هل أكلت جيداً؟ آه! أيها الأبوان، أكلت بشـراهة لم يسـبق لـي أن أكلت بمثلها في حياتي، بل إنَّ بطني يكاد يلامس الأرض.

سَـرَّت هذه الإجابة الأبوين سـروراً عظيماً ورغبا أن يجسّـا كرشاً امتـلأ بالغـذاء إلـى هـذا الحـدّ. خطـوة واحـدة وينفضح كلّ شـيء. ولحسـن الحظ ناداهما الكلب مـن صدر الحظيـرة فتوجّها نحوه في الحال.

- كورنيـت الصغيـرة الطيبـة. هـل شـفيتِ مـن صداعـك هـذا الصباح؟

- أشـكركما أيها الأبوان، أشـعر بالتحسّـن فعـلاً. ولكن صدقاني أنني شـعرت بالأسـف هذا الصباح لأنِّي ذهبت من غيـر أن أودّعكما. وبقيتُ حزينة طوال النهار.

قال الأبوان:

- آه! ما أطيب بقرتنا الصغيرة، إنها تُثلج الصدر.

وفي الحقيقة كان صدراهما منشـرحين ويطفحـان حناناً، فرغبا فـي معانقة كورنيـت أو على الأقـل التربيت على خاصرتيهـا تربيتات ودّيـة. ولكـن قبـل أن تطـأ أقدامهما فـراش القَـش، جذبهمـا ضجيج شجارٍ إلى الطرف الآخر من الزريبة. راح القط يصرُخ بصوت بقرة:

- سأكسر ظهره. سأنتف شعره وشاربيه، هذا المسخ!

وتابع بصوت القط:

- احـذري. مهمـا يكـن شـأني فإننـي كفيـل بتعليمـك الأخـلاق الحميدة.

ولما سأل الأبوان عمّا يحدث، أوضح الخنزير:

- لقد عاد القط ليحشُر نفسه بين قوائم القط. أعني البقرة... لا، القط...

قال الأبوان:

- هذا حسن. فهمنا. القط لا عمَلَ له هنا. هيا انصرف، أيها القط.

وهما يغادران الحظيرة، غيّرا رأيهما والتفتا إلى كورنيت وسألا:

- بالمناسبة يا كورنيت، هل حدَثَت فضيحة جديدة في المرعى اليوم؟ لا تُخفي عنّا شيئاً.

- أقسم أيها الأبوان أن لا، لا أرى شيئاً يستحقّ الذكر. وحتى أريد أن أخبركما أنّ الكلب كان في غاية التهذيب.

- آه! آه! هذا مدهش جداً.

- لم أرَهُ من قبل في مثل هذا التعقل والهدوء. كأنه نام من الصباح حتى المساء.

- نامر؟ هذه موبقة أخرى! هل يخالُ هذا الكسول أنَّنا نُطعمه لينام ولا يفعل شيئاً؟ آه، سنُذيقه الويل.

- اسمعا أيُّها الأبوان، لا بدّ من الإنصاف...

- لهذا سيلقى ما يستحقّ من جزاء.

ولمّا وصل الأبوان إلى المطبخ، كان الكلب راقداً تحت الفرن. فقالا له: «تعالَ إلى هنا أيها الكسول» وكما في الأمس، خلدت الصغيرتان إلى النوم، ونالَ الكلب ضربة قبقاب مضاعَفَة على مؤخرته.

في صباح اليوم التالي سارت الأمور ببساطة ويُسر. إذ كان من عادة الأبوين الاستيقاظ على صياح الديك. وفي ذلك الصباح أذعَنَ الديك لأمر ذكر البط ولم يَصِحْ، وظلّ الأبوان نائمين خلف الستائر المسدَلَة. وبعد أن ارتدت الصغيرتان ثيابهما في صمت، جاءتا إلى المطبخ وأخذتا سلة مؤونتهما وابتعدتا على أطراف أصابعهما كما جاءتا. كان الخنزير الدائب الحركة ينتظرهما في الفناء. وسألهما بصوت خفيض:

- هل تذكَّرتما لحيتي المستعارة.

وضعتا له لحيّة كثة من الذرة، شقراء موشّاة بالتماعات صهباء، تمتدّ حتى عينيه، فابتهج وقال:

- انتظراني في المرعى، وسأحضر لكما القطيع حياً أو ميتاً قبل الظهر.

وعلقت إوزة:

- الأفضل أن تُحضره حياً.

- طبعـاً، لكن الوقائع هي الوقائع ولا يدَ لي فيها. والحقيقة إنْ صحَّت تقديراتي، فلا بدّ أنّ بقراتنا ما زلن على قيد الحياة.

ترك الخنزيـر الصغيرتين ومعهما الكلب يغادرون. وبعد خمس دقائق، بدأ يسـلك طريقه هو أيضاً. وطفق يمشي ببطء متظاهراً أنّه يتسكَّع حتى لا يلفت الانتباه.

حين استيقظ الأبوان، كانت الساعة الثامنة. لم يصدِّقا أعينهما. قال الديك:

- مع أنني صحتُ طيلة ثلاثة أرباع السـاعة، إلّا أنني فشلتُ في إخراجكما من السرير. واضطررتُ للتوقف في النهاية.

وقال ذكر البط:

- لـم تتجرّأ الصغيرتـان على إيقاظكما. أخذتـا البقرات كالعادة وجـرى كلّ شـيء على خير ما يرام. وبالمناسـبة، كلفتنـي كورنيت أن أخبركما أنّ رأسها لم يعُد يؤلمها.

اضطـرب الأبوان لأنهما لـم ينهضا طيلة حياتهمـا متأخرين إلى هذا الحدّ وظنّا أنهما مريضان فلم يذهبا إلى الحقول ذلك اليوم.

نحو السـاعة العاشرة، بعد أن تسـكّع الخنزير في القرية، لحق بالصغيرتيـن إلـى المرعـى، سـالكاً دروبـاً ملتويـة. ولمـا رأتـاه قادمـاً، مرفوع الرأس ولحيته متدلية، خفق قلباهما.

- هل وجدتهن؟

- طبعاً. أقصد أنني أعرف أين هن.

- وأين هن؟

قال الخنزير:

- دقيقة. أنتما مسـتعجلتان. اتركاني أجلس علـى الأقل. لم أعُد أقوى على الوقوف.

جلس على العشـب في مواجهة الصغيرتين والكلب وقال وهو يمسِّد لحيته:

- بـادئ ذي بدء، تبدو القضية معقّدة، ولكننا إن أمعنّا التفكير فيها قليلاً سـنجدها فـي غاية البسـاطة. فكِّرا جيداً فـي محاكمتي. ما دامت البقرات سُرِقْن، فلا بدّ من وجود سارقين.

وافقت الصغيرتان:

- فعلاً.

- أيضاً معروفٌ أنّ اللصوص هم أناس يرتدون ملابس رثّة.

قال الكلب:

- هذه عين الحقيقة.

- وهذا يفضي بنا إلى طرح السؤال الآتي: مَن يرتدي ثياباً رثة في القرية؟ هيا احزروا.

وتلت الصغيرتان عدة أسماء، لكن الخنزير راح يهزّ رأسه بابتسامة ماكرة. وقال أخيراً:

- لم تحزرا. أرثّ الثياب يرتديها أولئك البوهيميون الذين يخيمون منذ يومين على حافة الطريق. لذلك هم مَن سرقوا بقراتنا.

وهتفت الراعيتان والكلب في آن معاً:

- لطالما اعتقدتُ ذلك!

قال الخنزير:

- أجل، بالتأكيد. الآن يبدو لكم أنكم أنتم مَن اكتشفتم الحقيقة. وسرعان ما ستنسون أن صرامة محاكمتي هي التي فرضتها عليكم. العالم جاحدٌ. ولا بد من التسليم بذلك.

وانتابته الكآبة، لكنهم أسبغوا عليه المديح حتى راقَ مزاجه.

- بقي عليّ الآن أن أذهب لرؤية اللصوص وسحب اعترافات صريحة منهم. وهذا أمر هين بالنسبة لي.

وعرض عليه الكلب:

- هل أستطيع مرافقتك؟

- لا، فالمسألة حساسة للغاية. أخشى أن يفسد حضورك كلّ شيء. وعلاوة على ذلك، أنا أعمل وحدي.

وجدَّد وعده بإعادة القطيع قبل الظهر، وغادر المرعى وغاب عن أنظار الصغيرتين. وحين وصل قرب البوهيميين، وجدهم جالسين في حلقة ويجدلون السلال. والواقع أنّ ثيابهم كانت رثة وأسمالهم البالية لا تكاد تستر أجسادهم. وعلى بُعد خطوات من العربة راح يرعى حصان هرم أشدّ بؤساً من أصحابه لو نظرنا إليه من زاوية هزاله. تقدَّم الخنزير بثقة وقال بصوت مرح:

- مرحباً يا رفاق!

تفحص البوهيميون القادم الجديد وردَّ واحد منهم فقط على تحيّته بهيئة متحفّظة. فسأل الخنزير:

- هل الجميع عندكم بخير؟

أجاب الرجل:

- على خير ما يرام.

- والأولاد بخير؟

- على ما يرام.

- والجدّة أيضاً؟

- على ما يرام.

- والحصان أيضاً؟

- على ما يرام.

- والبقرات أيضاً؟

- على ما يرام.

واستدركَ الرجل الذي أجاب دون أن يفكِّر في الحال فقال:

- بالنسبة إلى البقرات، لا خوف عليهن من المرض. لأنه ليس لدينا أية بقرة.

هلَّل الخنزير بانتصار:

- فات الأوان! لقد اعترفتم. أنتم مَن أخذتم البقرات.

قال الرجل مقطباً حاجبيه:

- ما الحكاية؟

ردّ الخنزير:

- كفى. أعيدوا إليّ البقرات التي سرقتموها، وإلّا...

لم يسنح له الوقت ليسهب أكثر، فقد نهض البوهيميون وأوسعوه ضرباً فانزاحت لحيته عن موضعها. ولم تفتأ تهديداته واستنكاره يزيدون حماستهم. ونجح أخيراً في الإفلات منهم، وبجسدٍ متورّم ولحية يتساقط شعرها على الطريق، ذهب يلوذ بفناء مزرعة مجاورة، فلقي من مزارعيها أحسَنَ استقبال. كانت الساعة الثانية بعد الظهر والصغيرتان تقبعان في المرعى بانتظار الخنزير حين رأتا ذكر البط قادماً يتقصى الأخبار. وثمَّن كثيراً الأسباب التي دفعت الخنزير للشكّ في الرحالة. وقال:

- لم نـزَل بحاجـة إلى الحكـم على النـاس بحسـب مظهرهم. لكـن المهـم ألّا نخطـئ. وأفتـرض أن صديقنـا ليس ببعيـد. لا بد أنه الآن مع كورنيت والبقرات الأخريات. هيا نبحث عنهم.

وذهبـت الصغيرتان برفقـة ذكر البـطّ والكلب إلـى العربة فلم يـروا أحـداً فيهـا، لأنَّ الرحل ذهبوا إلـى القرية ليبيعوا السـلال التي صنعوهـا صباحـاً. لم يُقلِـق هذا الغيـاب ذكر البط. وبـرأس مطأطأ، راح يتفحَّص حصى الطريق. وقال:

- انظـروا إلـى هذه الشـعرات الصفـراء الطويلـة المتناثرة على امتـداد الطريـق. ولـو أراد الخنزيـر أن يلعـب لعبـة عُقلـة الإصبـح بلحيتـه، لمـا حقَّـق أفضـل مـن هـذا النجـاح. لا بـد أن تقودنـا هذه الشعرات إلى مكان ما.

تبـع الرفاقُ الأربعة شـعرات اللحية على الطريـق، فوصلوا إلى فناء المزرعة المجاورة. ووجدوا المزارعان هناك. فقال ذكر البط:

- طـاب نهاركما. كمـا أرى، ما زلتما في غايـة القبح. كيف حدث أنّ لكما هذان الوجهان القبيحان ولم تدخلا السجن بعد؟

وبينما راح المزارعان ينظران أحدهما إلى الآخر بذهول، التفت ذكر البطّ نحو دلفين ومارينيت وقال لهما:

- هيا أيتها الصغيرتان، اذهبا وافتحا باب الزريبة وادخلا بهدوء. ستجدان هناك أشخاصاً تعرفونهم، ولن يُزعجهم أن يستنشقوا شيئاً من الهواء العليل.

عندئـذٍ هرع المزارعان ليُدافعا عـن باب الزريبة، لكن ذكر البط حذرهما:

- إن تحرّكتما قيد أنملة، سأجعل صديقي القديم يفترسكما.

وبينما تولى الكلب مهمّة تسمير المزارعين في مكانيهما، دخلت الصغيرتـان الزريبة وخرجتا منها بعد برهـة تدفعان أمامهما الخنزير وقطيـع الأبقـار. لـم تبـدُ كورنيـت مزهـوّة وحاولـت أن تختبـئ بيـن رفيقاتها. أمّا المزارعان فنكّسا رأسيهما ذليلين. فقال ذكر البط:

- يبدو أنكما تحبان الحيوانات حباً جماً.

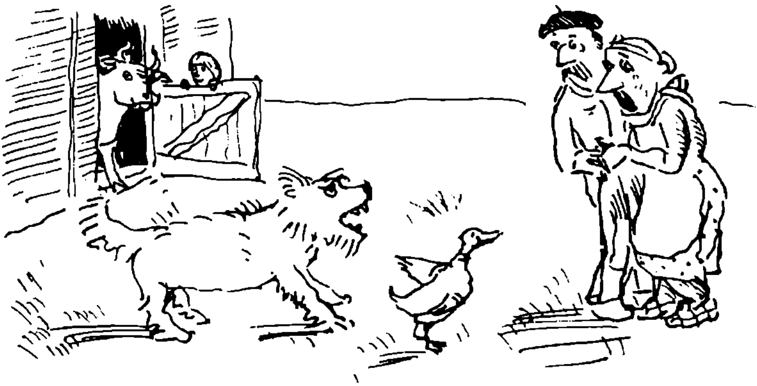

أكّدت المزارعة:

- إنهـا مجـرد مزحة. يـوم أمس الأول جـاءت كورنيـت وطلبت مني إيواءها ليومين أو ثلاثة أيام. وذلك لتُمازح الصغيرتين.

صحَّحت كورنيت:

- هذا كذب. طلبتُ منكما إيوائي ليلة واحدة فقط، وفي اليوم التالي، احتجزتماني بالقوّة.

سألت دلفين:

- وباقي البقرات؟

- خشيتُ أن تضجر كورنيت. لذلك فكَّرت في البحث لها عن رفقة.

وشرحت إحدى البقرات:

- جاءت ووجدتنا في المرعى. وقالت لنا أنّ كورنيت مريضة وأنها تُطالب بنا. فتبعناها بلا تبصُّر.

وتذمّر الخنزير:

- كما حدث معي. حين أدخلتني الزريبة قبل قليل، لم أشتبه بشيء على الإطلاق.

وبعد أن أنَّب البطُّ المزارعين وتنبأ لهما أنهما سينهيان حياتيهما في السجن، اصطحب رفاقه كلهم. ولمّا بلغوا الطريق افترق عن الصغيرتين اللتين تسلّمتا زمام قيادة القطيع إلى المرعى وعاد إلى البيت بصحبة الخنزير. وراح هذا الأخير يفكِّر بمرارة في مغامرته الفاشلة وغروره في محاكماته المنطقية. وسأل ذكر البطّ قائلاً:

- أخبرني يا ذكر البط كيف حزرتَ أنّ المزارعَين هما السارقان؟

- مرَّ المزارع هذا الصباح أمام البيت. فصادف الأبوان في الفناء وتوقَّف برهة يتحدَّث إليهما ولاحظتُ أنه لم يأتِ على ذكر اختفاء البقرات بكلمةٍ واحدة مع أنّ الصغيرتين أخبرتاه أمس باختفائهم.

- ولأنه كان يعرف أنّ الصغيرتين لم تُخبرا الأبوين بأيّ شيء، فقد نجح في حفظ لسانه حتى يجنِّبهما ببساطة تأنيبهما.

- وفي العادة، لا يفوِّت هو أو امرأته أيّة فرصة للتسبُّب في تأنيب الصغيرتين. لذلك تنمّ هيئتهما عن لصين.

- هذا ليس دليلاً.

- كان بالنسبة لي أحد الأدلة. وكنت سأكتفي به لوحده. ولكن منذ قليل، حين قادني شعر اللحية إلى عتبة باب زريبتهما، تأكّدت شكوكي.

تنهّد الخنزير:

- مع أنّ هندامهما كان أفضل من هندام البوهيميين.

حين أعادت الصغيرتان البقرات إلى البيت مساءً، كان الأبوان في الفناء. لمحتهما كورنيت من بعيد، فانفصلت عن القطيع وهرعت إليهما وقالت:

- سأشرح لكما كيف حدث الأمر. كل هذا بسبب خطأ الصغيرتين.

وشـرعت تـروي قصـة تـدور حـول غيابها وغيـاب البقـرات. لم يفهـم الأبوان كلامها، لأنهمـا ظنّا أنهما يتذكران جيـداً أحاديثهما مع حيواناتهما مسـاء الأمس. وحين اسـتنكر الخنزير والبقرات الأخريات كلامها، كادت تختنق غيظاً. وعلَّق ذكر البط:

- منـذ بضعـة أسـابيع وكورنيت المسـكينة تفقد صوابهـا تماماً. تتسـلّط علـى ذهنهـا فكـرة ثابتـة وهـي التسـبب بعقـاب الصغيرتين والكلب ولذلك تختلق أيّ كلام.

وأيده الأبوان:

- فعلاً، وهذا ما لاحظناه أيضاً.

ومنذ ذلـك اليوم، لم يعُـد الأبوان يأخذان بوشـايات كورنيت. فاغتاظَت من ذلك وفقَدَت شـهيتها ولم تعُد تدرّ حليباً. وعندها بدأ الحديث يدور حول أكلها.

الكلب

كانـت دلفيـن وماريـنيـت عائدتيـن بعدمـا أنجزتـا مـا كلفهمـا به أبواهمـا، وبقي أمامهمـا كيلومتر واحد. وكان يوجد في سـلّتهما ثلاث قطـع مـن الصابـون، ورغيـفُ خبـزٍ بالسـكر، وشـرحات لحـم عجـل وبخمسة عشر قرشاً أزرار قرنفل. وكانت كلّ واحدة تحمل السلة من إحـدى أذنيها وتؤرجحانها وهما تغنيان أغنيـة جميلة، وعند منعطف الطريق، وبينما تنشـدان «ميرونتون، ميرونتون، ميرونتين»، شاهدتا كلباً ضخماً مشـعّثاً، يمشـي منكسـاً رأسـه. بدا مزاجه متعكّراً؛ وتحت شـفتيه المكشـرتين راحـت أنيـابٌ حـادة تلتمـع وكان لسـانه الطويل يتدلـى حتى الأرض. فجـأةً، هزّ ذيله بحركة حيويـة وأخذ يركض على حافـة الطريق، ولكنه مـن فرط رعونته صدم رأسـه بِشـجرة. جعلته المفاجـأة يتراجـع وزمجَـرَ مـن الغضـب. توقّفـت الصغيرتـان وسـط الطريق واحتضنت إحداهما الأخرى وكادتا تسحقان شرحات العجل. ومع ذلك ظلَّـت مارينيت تغني: «ميرونتـون، ميرونتون، ميرونتين»، ولكن بصوتٍ خفيض مرتعش بعض الشيء. قال الكلب:

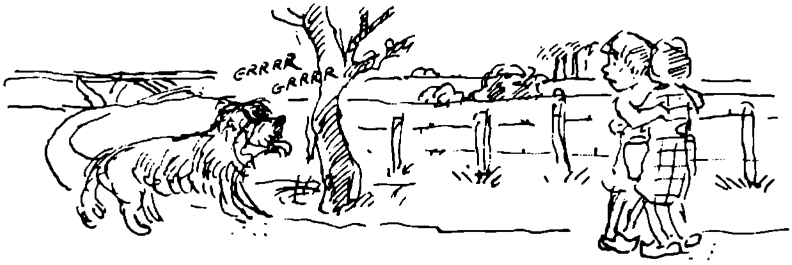

- لا تخافا. لسْت شـريراً. على العكس. ولكنني في غاية الضجر لأنني ضرير.

قالت الصغيرتان:

- أوه! يا للكلب المسكين. لم نكُن نعرف!

اقتـرب الكلـب منهمـا وهو يهـزّ ذيله بقـوة، ثم لعقَ سـيقانهما وتشمَّم السلة بطريقة وديّة، واستطرد قائلاً:

- سـأروي لكمـا مـا حـدث لي. ولكـن اسـمحا لـي أولاً بالجلوس لبرهة، فأنا منهك كما تريان.

جلسـت الصغيرتـان قبالتـه علـى عشـب المنحـدر، واحتاطـت دلفين فوضعت السلة بين ساقيها. تنهَّد الكلب وقال:

- آه! ما أروع الراحة... إذاً، بالعودة إلى قصتي، سـأخبركما أنني كنـت أخدم رجـلاً كفيفاً قبـل أن أصبح أعمـى. وحتى يـوم البارحة، كان هذا الخيط الذي تريانه يتدلى من عنقي يُسْتَخْدَمُ لإرشاد سيدي على الطريق. وقد فهمتُ الآن إلى أيّ حدّ كنت نافعاً له. كنت أقوده إلـى كلّ مكان سـالكاً أفضـل الطـرق التي تتفتـح على طرفيهـا أزهار الزعـرور البـري. وحيـن نمـرّ بمزرعة، كنت أقـول له: «هـذه مزرعة».

وكان المزارعون يعطونه قطعة خبز ويرمون عظمة لي، وعند اللزوم، كنا ننام سوية عندهم في ركنٍ من مخزن المؤونة. وحين كنّا نواجه مواقف سيئة، كنت أدافع عنه. أنتما تعرفان هذه الحال، الكلاب الشبعانة، وحتى الناس، لا يحبّون من تبدو عليهم علائم الفقر. لكنني كنت أكشّر عن أنيابي فيتركوننا وشأننا. لأنني حين أريد، لا أبدو أليفاً، لحظة، انظرا إليّ قليلاً...

وأخذ يزمجر مكشراً عن أنيابه وجاحظاً بعينيه. ما أفزع الصغيرتين. فقالت مارينيت:

- إياك أن تكرِّر ذلك.

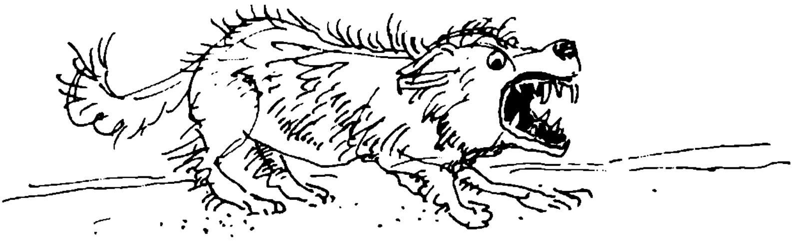

قال الكلب:

- أردتُ أن أُريكما. باختصار، كنت أؤدي فعلاً خدمات صغيرة لسيدي، عدا المتعة التي كان يشعر بها حين كان يُصغي إليّ. صحيح أنا مجرّد كلب، لكن الكلام يجعل الوقت يمضي...

- إنك تتحدث كأنك إنسان، أيها الكلب.

قال الكلب:

- أنتما في غاية اللطف. يا إلهي، ما أشهى رائحة سلّتكما! حسنٌ، ماذا كنت أقول لكما؟... آه أجل! سيدي! كنت أتفنَّن في تيسير أمور حياته، ولكنه لم يرضَ عني قط. كان يركلني لأتفه سبب. لذلك لا يمكنكما أن تتخيّلا مقدار دهشتي قبل يوم أمس حين راح يداعبني ويحدِّثني بودّ. شوَّشني ذلك، كما تعرفان. لا شيء يمتِّعني أكثر من المداعبات، إذ أشعر معها أنني في غاية السعادة. داعباني لترياً...

مدَّ الكلب عنقه وقدَّم رأسه الضخم للصغيرتين اللتين داعبتا شعره الأشعث. وفعلاً، راح ذيله يهتز وهو يصدر تأوهات: «وا، وا، وا!» واستطرد:

- أنتما في غاية الطيبة لأنكما أصغيتما إليّ، ولكن يجب أن أنهي حكايتي. بعد أن داعبني سيدي مراراً وتكراراً قال لي فجأة: «هل تريد أيها الكلب أن تأخذ عاهتي وتُصبح أعمى بدلاً مني؟» لم أكُنْ أتوقع ذلك! أن آخذَ عاهته، إنه لأمر يُثير التردُّد لدى أعزّ الأصدقاء. فلتظُنّا بي ما تشاءان، لكنني قلت له لا. وهتفَت الصغيرتان:

- ماذا! ولكن بالتأكيد! هذه هي الإجابة المناسبة.

- حقاً؟ آه! ما أسعدني لأنكما تفكّران مثلي. ومع ذلك خالجني شيء من الندم لأنّني لم أقبل من المرة الأولى.

- من المرة الأولى؟ هل صادف أيها الكلب...

- انتظرا. البارحة أظهر لي لطفاً فاقَ لطفه أوّل أمس. راح يداعبني في منتهى الرقة حتى خجلتُ من رفضي. وأخيراً، حسنٌ، الأفضل أن أخبركما في الحال، وافقتُ في نهاية المطاف. آه! أقسَم لي أغلَظَ الأيمان أنني سأكون كلباً سعيداً وسيقودني على الدروب كما قُدته، وأنَّه سيدافع عني كما دافعتُ عنه... ولكنني لم أكَد آخذُ عاهته عنه حتى هجَرَني من دون كلمة وداع. ومنذ مساء أمس، أتجوّل وحيداً في الحقول، أصطدم بالأشجار، وأتعثَّر بأحجار الطريق. ومنذ قليل، شممتُ ما يشبه رائحة لحم العجل، ثم سمعتُ فتاتين صغيرتين تغنيان، وفكرتُ أنكما ربما لن تطرداني...

قالت الصغيرتان:

- أوه! لا، أحسنتَ صنعاً بمجيئك.

تنهَّد الكلب وقال وهو يتشمم السلة:

- إنني أتضور جوعاً... أليست قطْعة لحم عجل هي ما تحملانها هنا؟

قالت دلفين:

- أجل، شرحة لحم عجل. ولكن أنت تعرف أيها الكلب، هذه الشرحة كلَّفنا الأبوان بإحضارها... إنها ليست لنا...

- إذاً، الأجدر بي ألّا أعود للتفكير فيها. لا يهم، لا بد أنها لذيذة. ولكن أخبراني أيتها الصغيرتان، ألا تريدان أن تصحَباني إلى أبويكما؟ إن لم يستطيعا إبقائي عندهما، فعلى الأقل لن يرفضا إعطائي عظمة، أو ربما صحن حساء، وإيوائي هذه الليلة.

لم تكن الصغيرتان تطلبان أفضل من اصطحابه معهما؛ وحتى كانتا ترغبان الاحتفاظ به في المنزل دوماً. لكن شيئاً من القلق راودهما من الطريقة التي قد يستقبله بها الأبوان. وكان عليهما أيضاً أن يأخُذا القط في الحسبان، فهو يتمتّع بنفوذ كبير في المنزل ولن يُريحه أن يرى كلباً يصل إليه. قالت دلفين:

- تعال. سنفعل ما بوسعنا للاحتفاظ بك.

ولمّا نهض ثلاثتهم، رأت الصغيرتان قاطع طريق من الضواحي امتهن ترصّد الأطفال الذين يُرسلهم آباؤهم للتسوق وسلبهم سلالهم. فقالت مارينيت:

- إنه هو ذاته، الرجل الذي يسرق الأغراض.

قال الكلب:

- لا تخافا، سأبدي له هيئة تنتزع منه رغبته بالمجيء والنظر في سلّتكما.

راح الرجل يتقدّم نحوهم بخطوات واسعة ويفرك يديه وهو يحلم بالمؤن التي تملأ سلة الصغيرتين، ولكنه حين رأى سحنة الكلب وسمعه يزمجر، توقف عن فرك يديه. ومرَّ من الجانب الآخر

للطريق وحيّاهم رافعاً قبعته. ولم تتمالك الصغيرتان نفسيهما عن الضحك في حضوره. وقال الكلب حين اختفى الرجل:

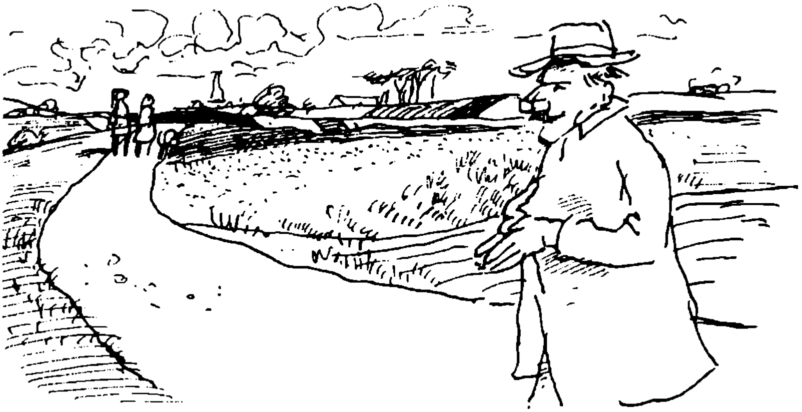

- كما تريان، مع أنني أعمى، لكن لم يزَل بمقدوري أن أكون مفيداً.

كان الكلب في غاية السعادة. وراح يمشي بجانب الصغيرتين اللتين تتناوبتا على الإمساك بطوقه. وقال:

- ما أسهَل التفاهم معكما! لكن ما اسمَيكما أيتها الصغيرتان؟

- أختي التي تُمسك بطوقك تُدعى مارينيت، وهي الصهباء.

توقّف الكلب ليشمّ مارينيت، وقال:

- حسنٌ، مارينيت. أوه! سأعرف كيف أميِّزها، هيا.

قالت الصهباء بدورها:

- وأختي تُدعى دلفين.

- حسنٌ، دلفين، لن أنساها أيضاً. من كثرة الأسفار مع سيدي السابق، تعرَّفت على الكثير من الفتيات الصغيرات، ولكن يجب أن أقول بصراحة إنّ أياً منهن لم تكُن تحمل اسماً بمثل جمال اسم دلفين ومارينيت.

تضرَّج وجها الصغيرتين بالحمرة، ولكن الكلب لم يستطِعْ رؤية ذلك، فأسبغَ عليهما مدائح أخرى. قال إنّ صوتَيهما رخيان وإنهما في غاية التعقّل ليكلِّفهما أبواهما بمهمّة على هذا القدر من الأهمية وهي شراء شريحة لحم عجل.

- لا أعرف هل أنتما مَن اخترتماها ولكنني أؤكِّد لكما أنّ رائحتها زكية...

كان يجد دوماً مبرّراً لذكر شريحة لحم العجل ولم يكُن يملّ الحديث عنها. وفي كلّ لحظة، يدسّ أنفه في السلة، ولأنه كفيف، حدث له أن سقط عدة مرات بين ساقَي مارينيت وكاد يوقِعها. فقالت له دلفين:

- اسمَعْ أيها الكلب، الأجدر بكَ أن تنسى شريحة لحم العجل. أؤكِّد لك أنها لو كانت لي لأعطيتكَ إياها عن طيب خاطر، ولكنك تعرف أنني لا أستطيع. ماذا سيقول أبوانا إن لم نُحضرها لهما؟

- بالتأكيد، سيؤنِّبانكما...

- وسنضطرّ أن نقول لهما أيضاً أنك أنت مَن أكلتها، وبدل أن يأويانك، سيطرُدانك.

وأضافت مارينيت:

- وربما سيضربانك.

وافَقَهما الكلب:

- أنتما محقّتان، ولكن لا تحسَبا أنّ الشراهة هي التي تدفعني للتحدّث عن شريحة لحم العجل هذه. لا أتحدَّث عنها إطلاقاً حتى تُعطياني إياها. فضلاً عن ذلك، لا أهتمّ بشرائح لحم العجل. مؤكَّد أنها شيء ممتاز، ولكن مأخذي عليها هو أنها تخلو من العظام. وحين تُقدّم شريحة لحم العجل على المائدة، يأكُلها السادة كلّها ولا يتبقى شيء للكلب.

وبينما هم مستغرقون في الكلام، وصلت الصغيرتان والكلب إلى منزل الأبوين. القط هو مَن رآهم أولاً. قوّس ظهره، كما يفعل عادة حين يغضب؛ وانتفش وَبره وكنَس ذيله الغبار. ثم هرع إلى المطبخ وقال للأبوين:

- لقد عادت الصغيرتان إلى البيت وهما تسحبان كلباً من طوقه. أنا لا أحبِّذ هذا.

قال الأبوان:

- كلب؟ كلب حقيقي!

خرجا إلى الفناء وشاهدا أن القطّ لم يكُن يكذب. وسأل الأب بصوتٍ محتدّ:

- كيف عثرتما على هذا الكلب؟ ولماذا جئتما به إلى هنا؟

قالت الصغيرتان:

- إنّه كلب مسكين كفيف. كان يصطدم رأسه بكلّ أشجار الطريق، وكان يبدو تعيساً...

- هذا لا يهمّ. أنا منعتكما من أن تتحدّثا مع الغرباء.

عندئذٍ تقدّم الكلب خطوة إلى الأمام، حيّا الأبوان بإيماءة من رأسه، وقال لهما:

- أرى بوضوح أنه لا مكان في منزلكم لكلب كفيف، ولن أنتظر هنا، بل سأمضي في سبيلي. ولكن، قبل أن أغادر، اسمحا لي أن أُهنّئكما على ابنتيكما العاقلتين والمطيعتين. منذ قليل، كنت تائهاً على الطريق دون أن أرى الصغيرتين، فشممتُ رائحة شريحة لحم عجل شهيّة. وبما أنني صائم منذ الأمس، فقد سالَ لعابي لالتهامها، ولكنهما منعتاني لمس السلة. مع أنني أبدو شريراً. وهل تعرفان ما قالتاه لي؟ «شريحة لحم العجل تخصّ أبوينا، وما يخصّ أبوينا ليس للكلاب» هذا ما قالتاه لي. لا أدري إن كنتما مثلي، ولكنني عندما أصادف فتاتين على هذا القدر من التعقّل والطاعة مثل ابنتيكما، لا أعود أفكّر في جوعي، وأقول في نفسي أنّ أبويهما محظوظان...

كانت الأمُّ تبتسم للصغيرتين، والأب يتعاظم فخراً من مديح الكلب، فقال:

- أنا لا أتذمّر منهما. إنهما بنتان صغيرتان طيّبتان. لم أؤنبهما منذ قليل إلّا لأحميهما من المصادفات السيئة، وحتى سرَّني أنهما اصطحباكَ إلى المنزل. سنقدِّم لك حساءً لذيذاً، ويمكنك أن تستريح هذه الليلة. ولكن كيف أصبحتَ كفيفاً ومتشرِّداً وحيداً على الدروب؟

وعندئذٍ روى الكلب مرة أخرى مغامرته، وكيف هجره معلِّمه بعد أن أخذَ علّته عنه. وراح الأبوان يصغيان إليه باهتمام ولم يخفيا تأثّرهما. وقال الأب:

- أنتَ أوفى الكلاب، ولا يسعني أن ألومك إلّا على طيبة قلبك الزائدة. لقد أظهرتَ من الإحسان ما يدفعني لفعل شيء من أجلك. لذلك ابقَ في البيت ما يحلو لكَ من الوقت. سأبني لك وجاراً جميلاً وستحصل كلّ يوم على حسائك عدا العظام. وبما أنك سافرت كثيراً، ستحدّثنا عن البلدان التي زُرتها وستكون فرصة لنا لنتثقّف قليلاً.

احمرَّت الصغيرتان من السعادة، وهنّأ كلّ واحد الآخر بقرار الأب، بل إنّ القط ذاته أبدى تعاطفه، وبدل أن ينفش شعره ويُقرمط شاربيه، رمقَ الكلب بنظرة ودودة. تنهَّد الكلب:

- إنني في غاية السعادة. لم أتوقَّع أن أجد منزلاً يستقبلني بهذه الحفاوة، بعد أن هُجِرْتُ...

قال الأب:

- كان سيدك سيئاً. رجل شرير وأناني وجاحد، ولكن من غير المسموح له أن يمرّ من هنا أبداً، لأنّني سأعرف كيف أجعله يخجَل من تصرّفه وسأعاقبه بما يستحق.

هزّ الكلب رأسه وقال متنهداً:

- لا بّد أنّ سيدي عوقب بما يستحقّ الآن. لا أقصد أنه ندمَ لأنه تخلّى عني، ولكنني أعرف ميله للكسل. الآن وقد أصبح مبصراً وصار عليه أن يعمل ليكسب رزقه، أنا واثق أنه يتأسَّف على الأيام الجميلة التي لم يكُن مضطراً خلالها أن يفعل شيئاً سوى أن يُقاد على الدروب وينتظر خبزه من إحسان العابرين. وسأعترف لكم أنني قلق على مصيره، لأنني لا أظنّ أنه يوجد في العالم رجلاً أكسَل منه.

عندئذٍ، أخذَ القط يتبسم. كان يجد أنّ الكلب أحمق لأنه قلق إلى هذا الحدّ على سيِّدٍ هجره. وارتأى الأبوان رأي القط ولم يُحرجهما أن يقولا له ذلك صراحة.

- فعلاً لم يتعلّم من تجربته ولن يتعلّم أبداً.

شعر الكلب بالخجل وراح يصغي إليهم وهو يدلي أذنيه. لكن الصغيرتين أمسكَتا عنقه وقالت مارينيت للقط وهي تحدِّق في عينيه:

- هذا لأنه طيب! وأنت، أيها القط، الأجدر بك أن تصبح طيباً أيضاً بدلَ أن تتبسَّم.

وأضافت دلفين:

- وأن لا تعود تخمشنا حين نلعب معك لئلّا يعاقبنا الأبوان بالوقوف في الركن.

- كما فَعَلْتَ البارحة مساء!

تضايق القط، وصار هو الخجل الآن، فأَوْلى ظهره للصغيرتين، وتوجَّه نحو المنزل وهو يترنَّح بهيئة متجهِّمة. وراح يتذمَّر أنّهما لم تكونا منصفِتَين معه، لأنَّه لا يخمش إلّا ليتسلى، أو دون أن يتعمَّد ذلك، وأنَّه في الحقيقة طيب مثل الكلب وربما أطيب منه. ووجدَت الصغيرتان في صحبة الكلب شيئاً ممتعاً. وطفقتا تقولان له عندما تذهبان للتسوق:

- هل تأتي معنا إلى السوق أيها الكلب؟

فيُجيب الكلب:

- أوه أجل! ألبِساني طوقي بسرعة.

وكانت دلفين تضع له الطوق ومارينيت تمسك الخيط (أو بالعكس) ويذهبون ثلاثتهم إلى السوق.

وفي أثناء الطريق، كانت الصغيرتان تقولان له أنّ قطيع أبقار يمرّ في المرج، أو سحابة تعبر السماء، وهو العاجز عن الرؤية، كان يسرّه أن يعرف أن قطيعاً مرَّ أو سحابة عبرت. لكن لم يكن بوسعهما أن تخبراه دوماً بما ترياه، فيطرح عليهما الأسئلة:

- هيا، أخبراني ما لون هذه العصافير وما شكل مناقيرها على الأقل.

- حسن، أكبرها له ريش أصفر على ظهره وجناحان أسودان، وذيله أسود وأصفر...

- إذاً، هذا طائر الصفّاري. ستسمعانه يغني...

لم يكُن الصفاري مستعداً دوماً للغناء، وحتى يعلِّم الكلب الصغيرتين، كان يحاول تقليد غنائه، ولكن لا يصدر عنه شيئاً سوى النباح، وكان مضحكاً ممّا يضطرهم للتوقّف من فرط إغراقهم في الضحك. وأحياناً أخرى، كان يمرّ أرنب أو ثعلب على تخوم الغابة، وعندها، كان الكلب هو مَن يخبر الصغيرتين. يضع أنفه على الأرض ويقول وهو يتشمَّم:

- أشم رائحة أرنب... انظرا هناك...

كانـوا يضحكون طوال الطريق تقريباً. يلعبون لعبة الجري على قـدمٍ واحدة، وكان الكلـب هو الفائز دوماً، لأنه فـي جميع الأحوال يظلّ على ثلاث قوائم. فتقول الصغيرتان:

- هذا ليس عدلاً. نحن نجري على قدم واحدة.

ويُجيب الكلب:

- طبعاً! هذا ليس صعباً بأقدام كبيرة كأقدامكما!

وظـلَّ شـعورٌ بالحـزن والضيـق يُخالـج القـط وهو يـرى الكلب ذاهباً للتسـوّق مـع الصغيرتين. كان يكنّ له مـودة عظيمة ويتمنى لو اسـتطاع أن يمـوء بيـن قوائمه مـن الصباح حتى المسـاء. ولـم يكونا يفترقـان تقريباً حين تكون دلفين ومارينيت في المدرسـة. في الأيام الماطـرة، كانا يمضيـان وقتهما فـي وجار الكلـب، يُثرثـران أو ينامان

جنباً إلى جنب. أمّا حين يصحو الطقس، فكان الكلب مستعداً دوماً للركض في الحقول، وكان يقول لصديقه:

- انهض أيها الكسول الكبير، وتعال نتنزّه.

فيُجيبه القط:

- مياو، مياو.

- هيا، تعال. ستدلّني على الطريق.

ويُجيبه القط (على سبيل الدعابة):

- مياو، مياو.

- تريد أن تُوهمني أنّك ما زلتَ نائماً، ولكنني أعرف حق المعرفة أنك لست نائماً. أوه! أعرف ماذا تريد... هيا!

ويقعي الكلب، فيجلس القط على ظهره ويتمسّك بسهولة، ثم ينطلقان في نزهة. ويقول القط:

- امشِ مستقيماً... انعطفْ يساراً... حين تتعب، يمكنني أن أنزل كما تعرف.

لكن الكلب لم يكُن يتعب إطلاقاً أو لا يكاد. وكان يقول إنّ القط لا يـزن أكثر من ريشـة حمامة. وهمـا يتنزّهان في الحقـول والمروج، كانا يتحدثان عن الحياة في المزرعة، وعن الصغيرتين والأبوين. ومع أنـه حدث للقط أن خمشَ دلفيـن أو مارينيت مرة أخرى، لكنه أصبح طيبـاً فعـلاً. وصار همّه الدائـم أن يعرف إن كان صديقـه راضياً عن مصيره، وهل أكل كفايته أو هل نام نوماً هانئاً. وكان يسأله:

- هل أنتَ سعيد في المزرعة أيها الكلب؟

فيتنهّد الكلب:

- أوه أجل! ليس هنالك ما يزعجني، الجميع لطفاء...

- أنت تقول أجل ولكنني أحسّ أن هنالك أمر ما.

يحتجّ الكلب:

- طبعاً لا، أؤكد لك.

- هل تتأسَّف على سيدك السابق؟

- لا، أيها القط، وبصراحة أكثر... وحتى يجب أن أقول إنني غاضب عليه بعض الشيء... ومع أنني سعيد ولديّ أصدقاء طيبين، لكن لا يسعني أن أمنع نفسي من التأسّف على عيني...

يتنهّد القط:

- طبعاً، طبعاً...

وذات يوم سألت الصغيرتان الكلب إن كان يريد مرافقتهما إلى السوق، فخرج القط عن طوره وقال لهما إنهما ستذهبان وحدهما، وأنّ مكان كلب كفيف ليس على الدروب برفقة مجنونتين. في البداية ضحكَت الصغيرتان وعرَضَت مارينيت على القط أن يرافقهما. فأجابها متجهماً وهو يروزها من رأسها حتى أخمص قدميها:

- كأنّ بمقدوري، أنا القط، أن أذهب للتسوّق.

قالت مارينيت:

- كنت أظنّ أنني أسعدك، ولكن ما دمت تفضِّل البقاء، فلَكَ ما تشاء!

ولمّا رأته دلفين غاضباً انحنَت لتداعبه ولكنّه خمش يدها حتى أدماها. وغضبَت مارينيت لأنه خمش أختها فانحنَت بدورها وقالت وهي تشدّ شاربيه.

- لم أرَ قَط حيواناً أسوأ من هذا القط الهرم!

فردَّ القط وهو يخمشها:

- خُذي! وأنتِ تستحقين الخمش!

- أوه! خمَشَني أنا أيضاً!

- أجل، خمشتكِ، وسأذهب لأخبر الأبوين أنكِ شدَدْتِ شاربي حتى يعاقبانك بالوقوف في الزاوية.

وهرع راكضاً نحو المنزل، لكن الكلب الذي لم يكُن قد رأى شيئاً والذي لم يصدِّق ما سمعته أذناه، حدَّثه بقسوة:

- فعلاً أيها القط، لم أكُن أعرف أنك شرير إلى هذا الحدّ. أنا مضطرّ للاعتراف أنّ الصغيرتين كانتا محقَّتين وأنّك فعلاً قط سيئ... آه! أؤكِّد لك أنه لا يسرّني... اتركاه أيتها الصغيرتان وشأنه، ولنذهب إلى السوق.

كان القط مشوّشاً ولم ينبَس ببنت شفة وتركهم يغادرون من دون أن تبدر منه كلمة أسف. وحين بلغوا الطريق، التفتَ الكلب إليه وقال له أيضاً:

- لستُ مسروراً على الإطلاق.

ظلَّ القط متسمّراً على قوائمه الأربع وسط الفناء، يغمره الحزن. اتَّضح له الآن أنه أساء التصرَّف وتسرَّع بالخمش. ولكن ما آلمه بشكل خاص هو تفكيره بأنّ الكلب لم يعُد يحبّه وأنه صار يعتبره قطاً سيئاً. ودفعه الحزن للذهاب إلى مخزن المؤونة وأمضى بقية نهاره فيه. وراح يقول في سره: «لكنني طيب. وحين خمَشت، فعلتُ ذلك دونما تفكير. إنني نادم على ما فعلت وهذا يدلّ على طيبتي. لكن كيف أثبت له أنني طيب؟» وفي المساء، حين سمع الصغيرتين تعودان من السوق، لم يتجرّأ على الخروج من مخزن

المؤونـة. نظـرَ مـن الكـوة، ورأى الكلـب يجـول فـي الفنـاء ويقـول مُشَمْشِماً:

- لا أسمع القط ولا أشمّ رائحته. هل تريانه أيتها الصغيرتان؟

أجابت مارينيت:

- أوه! لا، ولا أودّ أن أراه. إنه شرير جداً.

تنهّد الكلب:

- هـذا صحيـح. لا يمكنني أن أقـول غير ذلك بعـد كلِّ ما فعله لكما قبل قليل.

كان القـط فـي غاية التعاسـة. وتمنى أن يُخرج رأسـه مـن الكوة ويصيـح: «هذا غير صحيـح! أنا طيب!» ولكنه لم يتجـرّأ على التفوّه

بكلمة، لأنّه كان يظنّ أنّ الكلب غير مضطرّ لتصديقه بعد كلّ ما حدث. أمضى ليلة مؤرقة في مخزن المؤونة ولم تغمض له عين. وفي الصباح الباكر من اليوم التالي نزلَ من مخزن المؤونة، عيناه حمراوتان وشارباه متهدّلان، وذهب للقاء الكلب في وجاره. جلس مقابله وقال بصوت متهدّج:

- صباح الخير أيها الكلب... هذا أنا، القط...

تمتم الكلب بشيء من الفظاظة:

- صباح الخير، صباح الخير.

- هل أمضيتَ ليلة مؤرقة أيها الكلب؟ تبدو حزيناً...

- لا، نمتُ جيداً... ولكنني كلما أفقتُ، أواجه المفاجأة التعيسة بأنني كفيف.

قال القط:

- صحيح، ويؤرقني أنك كفيف، لذلك فكرتُ أنك إن شئتَ أن تُعطيني عاهتك، يمكنني أن أصبح كفيفاً مكانك، وأن أسدي لكَ صنيعاً كما أسديتَ لسيدك.

في البداية، لم يحِر الكلب جواباً من فرط تأثّره، وكادَ يجهش بالبكاء.

- ما أطيبك أيها القط... لا أريد... أنت في غاية الطيبة...

اقشعرّ جلد القط وهو يسمع مثل هذا الكلام، ولم يخطُر بباله من قبل أن المرء قد يشعر بسعادة غامرة إلى هذا الحدّ لأنه طيب، فقال:

- هيا، سآخُذ عاهتك.

احتجّ الكلب:

- لا، لا... لا يمكنني...

وطفقَ يدافع عن موقفه زاعماً أنه اعتاد على الأمر تقريباً، وأنّ لديه من الأصدقاء ما يكفي لجعله سعيداً. لكن القط لم يشأ أن يستسلم وأجابه:

- أنت أيها الكلب تحتاج إلى عينيك حتى تكون مفيداً في البيت. أمّا أنا، فماذا يفيدني إبصاري؟ أنا أوجِّه هذا السؤال لك. إنني كسول أستمتع بالنوم في الشمس أو في ركن قرب الموقد، أقسم أنّ عيناي تكادان تظلّان مغمضتين. ولعلّني إن أصبحتُ كفيفاً، قد لا ألاحظ ذلك.

تحدث مطولاً وأظهر عزيمة لا تلين فوافق الكلب في النهاية على تلبية رجائه. ولم تلبَث المقايضة أن حدثَت في وجار الكلب حيث كانا. وأوَّل شيء بادر الكلب إلى فعله حين أبصر النور مرة أخرى هو أنه صاح بأعلى صوته:

- القط طيب! القط طيب!

خرجت الصغيرتان إلى الفناء، وحين علمتا بما جرى عانقتا القط وهما تبكيان، وقالتا:

- آه! ما أطيبه! ما أطيبه!

أما القط، فأمال رأسه وشعر بالسعادة لأنه طيب، وحتى لم يلاحظ أنه لم يعُد يرى.

منذ أن استعادَ الكلب بصره، انهمكَ في العمل ولم يعُد يجد لحظة ليرتاح في وجاره، إلّا في فترة الظهر وفي أثناء الليل. وفيما تبقى من الوقت، كانوا يرسلونه ليحرس القطيع، أو يرافق سادته على الدروب وفي الغابات، لأنه كان يوجد دوماً واحداً منهم ليُصاحبه في نزهة. ولم يكن يتذمَّر من ذلك، بل العكس. لم يشعر قط بمثل هذه السعادة، وحين كان يتذكّر الفترة التي كان يقود فيها سيده الأول من قرية إلى أخرى، كان يهنىء نفسه على المغامرة التي قادته إلى هذه المزرعة. كان يحزّ في نفسه أنه لم يعُد لديه وقتاً كافياً يكرِّسه للقط الذي أظهَرَ منتهى الطيبة. راح ينهض باكراً

كلّ صباح ويصطحبه على ظهره في جولة بين الحقول. وكانت تلك أجمل لحظات النهار بالنسبة إلى القط. كان صديقه الكلب يحدِّثه عن مشاغله، ولم يَسْهُ قَطْ عن شكره وأيضاً عن الرثاء لحاله قليلاً. وكان القط يقول إنّ هذا الأمر بسيط ولا يستحقّ الذكر، ولكنه كان يفكِّر بحزن أنه من الممتع أن يكون المرء مبصراً. الآن وقد أصبح كفيفاً، لا يكاد أحدٌ يهتمّ لأمره. لم تزل الصغيرتان تَضعانه على ركبهما لتداعباه، ولكنهما صارتا تحبِّذان الركض والجري مع الكلب، ولم تعُد توجد لعبة يمكن أن تلعباها مع قطٍّ مسكين كفيف.

مع ذلك، لم يتأسَّف القط على شيء. وراح يقول في سره أنّ صديقه الكلب سعيد، وأن هذا هو المهم. كان قطاً يطفح بالطيبة. في أثناء النهار، حين لا يجد مَن يسامره، كان ينام بقَدر ما يستطيع تحت الشمس أو في ركن قرب الموقد، ويقول:

- مياو... أنا طيب... مياو... أنا طيب.

وفي صبيحة أحد أيام الصيف الحارة، تمدَّد على آخر درجة من السلم المفضي إلى القبة في البرودة، وراح يموء كعادته، فشعر أنّ

شيئاً يهز وبره. ولم يكُن بحاجة إلى أن ينظر حتى يعرف أنها فأرة، فأمسكَها بضربة من قائمته. كانت مذعورة ذعراً شلَّ حركتها ومنعها عن الهرب. فقالت:

- سيدي القط، اسمَحْ لي بالانصراف. إنني فأرة صغيرة جداً وقد ضللتُ طريقي...

قال القط:

- فأرة صغيرة؟ حسن! سألتهمك.

- سيدي القط، أعدكَ أن أنفذ أوامرك دوماً إذا لم تلتهمني.

- لا، أفضِّل أن ألتهمكِ... إلّا إذا...

- إلّا إذا ماذا يا سيدي القط؟

- حسن! اسمعي: أنا كفيف. إذا وافقتِ أن تأخذي عاهتي وتُصبحين كفيفة بدلاً عني، سأدعك تنجين بحياتك. يمكنك أن تتنزهي بحرية في الفناء، وسأقوم بإطعامك بنفسي. باختصار، من مصلحتك أن تكوني كفيفة في شروط كهذه. فأرة مثلك تخشى دوماً أن تقع بين مخالب قط، ستحظى بالأمان.

ظلَّت الفأرة مترددة وفيما راحت تعتذر من القط، أجابها بطيبة:

- فكري ملياً أيتها الفأرة الصغيرة، ولا تقرِّري بطيش. لستُ مستعجلاً ويمكنني الانتظار بضع دقائق، وما أريده أولاً هو أن تقرِّري بملء حريتك.

قال الفأرة:

- أجل، ولكنني إنْ رفضت، هل ستلتهمني؟

- طبعاً أيتها الفأرة الصغيرة، طبعاً.

- إذاً، أنا أفضِّل أن أكون كفيفة على أن تلتهمني.

حين عادت دلفين ومارينيت من المدرسة ظهراً، دهشتا لرؤية فأرة صغيرة تتنزه في الفناء بين قوائم القط.

ودهشتا أكثر حين علمتا أنّ الفأرة كفيفة والقط لم يعُد كفيفاً.

قال القط:

- إنَّها فأرة صغيرة طيبة قلبها رؤوم، أنصحكما أنْ تُولِيَاها عناية فائقة.

قالت الصغيرتان:

- اطمئن. لن ينقصها شيء. سنؤمن لها الطعام وسنجهِّز سريراً لتنام عليه في الليل.

ولمّا وصل الكلب بدوره، غمرته السعادة لشفاء صديقه، ولم يستطِعْ إخفاء فرحه أمام الفأرة، فقال:

- كان القط في منتهى الطيبة، فانظروا ما حدث: ها هو يكافأ اليوم على ذلك!

قالت الصغيرتان:

- هذا صحيح. كان طيباً...

تمتم القط:

- هذا صحيح. كنتُ طيباً...

وقالت الفأرة:

- همّمم! همم! همم!

وذات يوم أحد كان الكلب يتناعس في وِجاره قربَ القط، والصغيرتان تنزِّهان الفأرة في الفناء، فأخذ يشمشم فجأة بهيئة قلقة، ثم نهضَ وهو يزمجر وتوجَّه نحو الطريق الذي تتناهى منه وقعُ خُطى رجل. كان متشرِّداً نحيف الوجه، يرتدي ثياباً ممزَّقة ويُجرجر أقدامه متعباً. حين مرَّ قرب المنزل، ألقى نظرة على الفناء وفوجىء برؤية الكلب. اقترب منه بخطى واثقة وهمس:

- شُمَّني قليلاً أيها الكلب... ألم تعرفني؟

قال الكلب منكساً رأسه:

- بلى، أنت سيدي القديم.

- لقد أسأتُ التصرف معك أيها الكلب... لكنك لو عرَفت كم نَدِمْت، لسامَحْتني بالتأكيد...

- أنا أسامحكَ، لكن انصرِفْ من هنا.

- منذ أن أبصرتُ وأنا رجل في غاية الشقاء. إنني كسول، ولا يسعني أن أقرِّر العمل، ولا أكاد آكل مرة في الأسبوع. في السابق، حين كنت كفيفاً، لم أكُن أحتاج إلى العمل. كان الناس يُطْعمونني ويؤونني ويشفقون عليّ... هل تتذكّر؟ كنا سعيدين... إن شئتَ أيها الكلب سأستعيد عاهتي وأعود كفيفاً، وستقودني أنت على الدروب...

أجاب الكلب:

- ربما كنت أنت سعيداً، أمّا أنا فلم أكُن كذلك قط. هل نسيت الضربات التي كافأت بها إخلاصي ومودّتي؟ لقد كنتَ سيداً سيئاً، وقد تأكَّد لي ذلك حين عرفتُ سادةً أفضل. لا أكنُّ لك أيّة ضغينة، لكن لا تنتظر مني أبداً أن أرافقك على الدروب. من جهة أخرى، لا يمكنك أن تأخذ عاهتي، لأنني لم أعُد كفيفاً. القطُّ، وهو في منتهى الطيبة، رضيَ أن يُصبح كفيفاً بدلاً عني، وبعد ذلك...

لكن الرجل لم يعُد يصغي إليه الآن وراح يبتعد وهو ينعته بأنه حيوان سيئ؛ وذهب للقاء القط الذي كان يموء على مدخل الوجار وقال له وهو يمسِّد وبره بيده:

- أيها القط الهرم البائس، أنت في غاية التعاسة...

مكتبة
t.me/t_pdf

قال القط:

- مياو.

- أنا واثقٌ من أنك ستهبُ أيّ شيء لتَستعيد بصرك. لكن إن أردتَ، سأصبح كفيفاً بدلاً عنك، وبالمقابل، ستقودني على الطرقات كما كان يفعل الكلب فيما مضى.

وفتح القط عينيه على وسعهما وأجاب دون أن يزعج نفسه:

- لو أنّني بقيتُ كفيفاً، لربما قبلت، لكنني لم أعُد كذلك منذ أن تكرَّمت الفأرة وأخذت عاهتي. إنها حيوان في غاية الطيبة، وإذا أردتَ أن تقدِّم لها عرضك، فلن تتوانَ عن خدمتك. انظر، إنها نائمة على حَجَرٍ هناك حيث أرقدتها الصغيرتان بعد النزهة.

تردَّد الرجل لبرهة قبل أن يذْهب للقاء الفأرة، لكنه كان يشعر بكسلٍ فظيع وبدَت له فكرة العمل لكسبِ قوت يومه لا تُحتَمل، وانتهى لاتخاذ قرار. انحنى فوقها وقال لها برقّة:

- أيتها الفأرة المسكينة، أنتِ في حالة تدعو للرثاء...

قالت الفأرة:

- أوه! أجل، يا سيدي. الصغيرتان لطيفتان، والكلب أيضاً، ولكنني أتمنى أن أستعيد بصري.

- هل تريدين أن أصبح كفيفاً مكانك؟

- أجل يا سيدي.

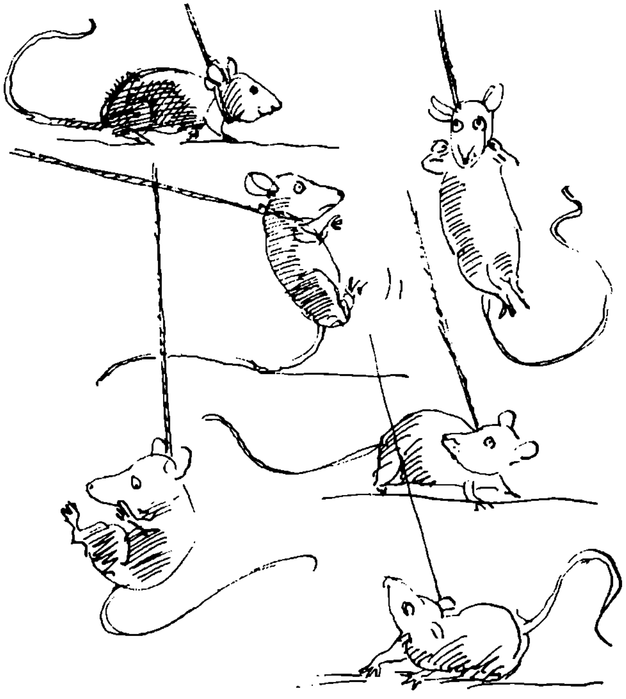

- وفي المقابل، ستُصبحين دليلتي. سألفّ لك خيطاً حول عنقك وستقودينني على الدروب.

قالت الفأرة:

- هذا ليس صعباً. سأقودك حيث تشاء.

ووقفت الصغيرتان على مدخل الفناء إلى جانب الكلب والقط وراحوا ينظرون إلى الرجل يخطو خطواته الأولى على الطريق، وهو كفيف، وراء الفأرة التي يمسكها بخيط معلَّق في رقبتها. وطفق يمشي ببطء وبكثير من التردّد، لأنّ الفأرة كانت من الصغر بحيث لم تكَد تستطيع شدّ الخيط مهما بذلت من جهد، ولأنّ أيّ حركة من الكفيف كانت تجعل الحيوانة المسكينة تدور حول نفسها دون أن يُلاحظ ذلك. أخذَ القط ودلفين وماريِنيت يطلقون تنهيدات قلق وشفقة. أمّا الكلب فراح يرتعش على قوائمه الأربع وهو يرى الرجل يتعثَّر بحجارة الطريق ويتردَّد مع كل خطْوة يخطوها. كانت الصغيرتان تمسكانه من طوقه وتداعبان رأسه، لكنه أفلت منهما فجأة وركض مباشرة نحو الكفيف. فصرخت الصغيرتان:

- أيها الكلب!

وصرخ القط:

- أيها الكلب!

لكنه ظلَّ يعدو كأنه لم يسمع شيئاً، وحين ربط الكفيف الخيط فـي طوقه، ابتعدَ من دون أن يلتفتَ برأسـه إلى الوراء، حتى لا يرى الصغيرتين اللتين أجهشتا بالبكاء مع صديقه القطّ.

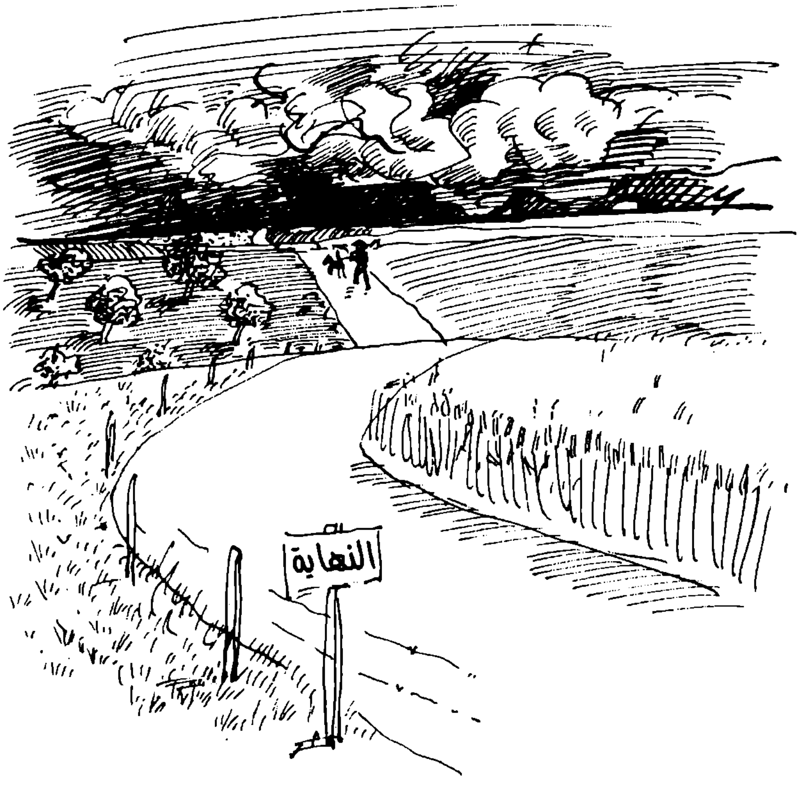

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

علبتا التلوين

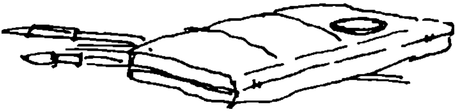

في صباحٍ من صباحات العطلة الصيفية، كانت دلفين ومارينيت جالستَين على المرج، خلف المزرعة، ومعهما علبتَي ألوان.

كانـت العلبتان جديدتين تماماً. جلبهما خالُهما ألفريد لهما يوم أمس ليكافئ مارينيت على بلوغها سـنّ السابعة، فشكَرَته الصغيرتان وغنَّتـا لـه أُغنيـة عـن الربيـع. وانطلـق الخـالُ مسـروراً وهـو يدنـدن الأغنيـة، لكن الأبوين لم يكونـا راضييْن. لم يتوقّفا عـن التذمر بقية السهرة: «لسـتما بحاجة إليهما. علبتا تلوين. لابنتينا المجنونتين. حتى تلطّخا المطبخ وتبقّعا ثيابهما. علبتا تلوين. هل التلوين عملنا، نحن؟ علـى أية حـال، صباح الغد لا مجال للخربشـة. في أثنـاء وجودنا في الحقـول، سـتقطفان الفاصوليـاء مـن الحديقـة، وسـتذهبان لحصاد البرسـيم من أجل الأرانـب». وبقلبٍ منقبض، وَعَـدَت الصغيرتان أن تعملا دون أن تلمسا علبتَي التلوين. وفي صبيحة اليوم التالي، ذهبتا إلـى الحديقة بعد مغادرة الأبوين لتقطفـا الفاصولياء، فصادفتا ذكر البـطّ الذي لاحظَ وَجهَيهما المسـتاءين. وكان ذكـر البطّ صاحب قلبٍ كبير، فسألهما:

- ما بكما أيتها الصغيرتان؟

أجابت الصغيرتان:

- لا شيء.

لكن مارينيت أجهشت بالبكاء وكذلك دلفين.

ولما أصرَّ ذَكَرُ البطّ عليهما بطريقة ودّية، تحدَّثتا عن علبتي التلوين، وعن قطاف الفاصولياء، وحصاد البرسيم. في هذه الأثناء اقترب الكلب والخنزير، اللذان كانا يطوفان في الجوار، ليستمعا ولم يكن سخطهما أقل من سخط ذكر البط. وأعلن هذا الأخير:

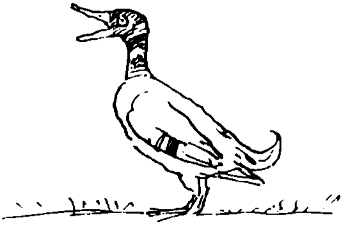

- هذا مغيظ. الأبوان هنا مذنبان تماماً. لكن لا تخشيا شيئاً أيتها الصغيرتان، واذهبا لترسما بسلام. سأتكفَّل مع الكلب بقطاف الفاصولياء.

- أليس كذلك، أيها الكلب؟

أجاب الكلب:

- بالتأكيد.

قال الخنزير:

- وبالنسبة إلى البرسيم، يمكنكما الاعتماد عليّ. سأحصد لكما مؤونة معتَبَرَة منه.

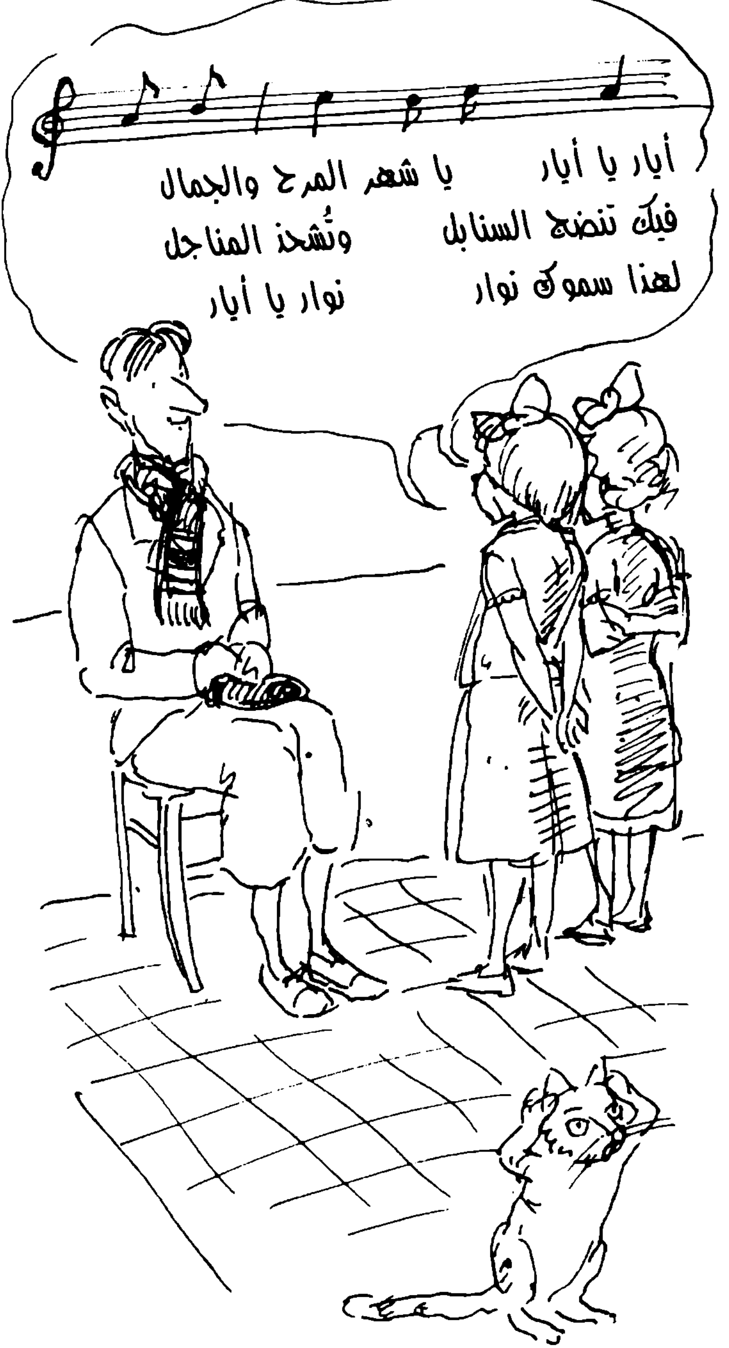
أيار يا أيار يا شهر المرح والجمال
فيك تنضج السنابل وتُشحذ المناجل
لهذا سموك نوار نوار يا أيار

كانت الصغيرتان في غاية السرور. عانقتا أصدقاءهما الثلاثة وذهبتا إلى المرج مع علبتَي التلوين، وهما واثقتان أنَّ الأبوين لن يعرفا شيئاً عن ذلك. وفيما راحتا تملآن الأجران بالماء الصافي، أقبَلَ الحمار نحوهما من أسفل المرج.

- صباح الخير أيتها الصغيرتان. ماذا تفعلان بهاتين العلبتين؟

أجابته مارينيت أنهما تستعدان للرسم وشرحت له ما يرغب بمعرفته، وأضافت:

- إذا أردتَ، سأرسم صورتك.

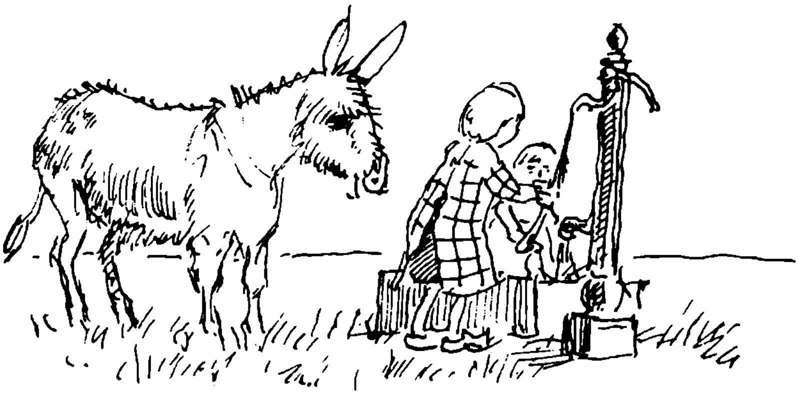

قال الحمار:

- أوه! أجل، أريد ذلك حقاً. فنحن الحيوانات قلّما تسنح لنا فرصة رؤية أنفسنا كما هي فعلاً.

أوقفت مارينيت الحمار في وضعية جانبية وراحت ترسمه. أمّا دلفين فبدأت ترسم صورة جرادة تستريح على ورقة عشب. ثابَرَتا على عملهما بصمتٍ وهما تدليان لسانيهما إلى جهة ميلان رأسيهما.

بعد لحظة، سأل الحمار الذي لم يكُن قد تحرَّك بعد:

- هل يُمكنني أن ألقي نظرة؟

أجابته مارينيت:

- انتظر، أنا أرسم أذنيك.

- آه! حسن. لا تتعجَّلي. بشأن الأذنين، أريد أن أقول لك إنهما طويلتان، هذا واضح، ولكن كما تعرفين ليس كثيراً.

- أجل، أجل، اطمئنّ. سأرسم ما يجب رسمه بالضبط.

وفي تلك الأثناء، شعرت دلفين بالإحباط. فبعدَ أن رسمت الجرادة وورقة العشب، لاحظت أن الكل وسط ورقة الرسم البيضاء الكبيرة يبدو باهتاً وشرعت تبرزه على خلفية المرج. ومن سوء حظّها أنّ لون المرج والجرادة كان أخضر، فطمست صورة الجرادة في الخضرة ولم يتبقَّ منها شيء. كان هذا مضجراً.

ولما أنهَت مارينيت صورتها، هرعَ الحمار لرؤيتها، ولم يفتأ ما رآه يفاجئه، فقال بشيء من الحزن:

- مع أنّني لا أعرف صورتي حقّ المعرفة، لكنّني لا أظنّ إطلاقاً أنّ لي رأس كلب بولدغ.

احمرَّ وجه مارينيت خَجلاً، وتابع الحمار:

- وكذلك الأذنان، لطالما ردَّدوا على مسامعي أنهما طويلتان، ولكنني لم أكُن أحسبهما أيضاً بهذا الطول.

ازدادَ وجـه مارينيـت حمـرة وهي تشـعر بالحرج. إنـه محقّ لأنّ الأذنان في الصورة تشـغلان لوحدهما تقريباً ما يشغَلَه بقية الجسد. وتابع الحمار تفحّص الرسم بنظرة حزينة. وفجأة، هتف كالملدوغ:

- ماذا يعني هذا؟ أنتِ لم ترسمي لي إلّا قائمتين!

هذه المرة، شعرَت مارينيت أنَّها أكثر راحة، فأجابت:

- بالتأكيـد، لم أكُن أرى لـكَ إلّا قائمتين. ولم أكُن أسـتطيع أن أرسم أكثر.

- جميل جداً، ولكن لدي فعلاً أربع قوائم.

تدخلّت دلفين:

- لا، جانبياً، ليس لكَ إلّا قائمتين اثنتين.

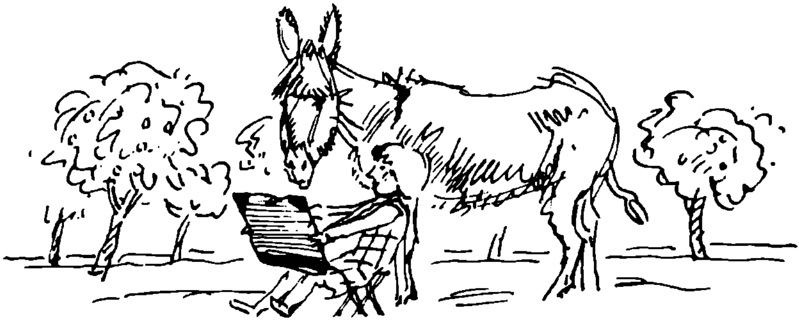

لم يعاوِدْ الحمار الاحتجاج. كان مُهاناً. فقال وهو يبتعد:

- حسن، ليس لديّ إلّا قائمتين اثنتين.

- هيا، فكِّر قليلاً...

- لا، لا، لـدي قائمتان اثنتان ولا داعي لأن نتكلَّم في ذلك مرة أخرى.

أخـذت دلفين تضحـك وماريتيـت ضحكت أيضـاً، مع أنَ شـيئاً من النَّدَم راودهما. ثم نسـيتا الحمـار وفكَّرتا في إيجاد نماذج أخرى للرسـم. فشـاهدَتا ثورين من المنزل يجتازان المرج ليشربا من النهر. كانا ثورين ضخمين أبيضين تماماً، لا توشي بياضهما أية بقعة.

- صباح الخير أيتها الصغيرتان. ماذا تفعلان بهاتين العلبتين؟

شـرَحَتا لهمـا مـا هـو الرسـم فطلبـا بلطـفٍ أن تتكرَّمـا برسـم صورتيـن لهمـا؛ لكن دلفين هزَّت رأسـها بعـد ما تعلَّمته مـن مغامرة رسم الجرادة وقالت:

- هذا غيـر ممكن، أنتما أبيضان، أي من لون الورقة نفسـه. لن يراكما أحد. أبيض فوق أبيض، ستبدوان كأنكما غير موجودين.

نظر الثوران أحدهما إلى الآخر وقالا بلهجة جافة:

- ما دمنا غير موجودين، إلى اللقاء.

مكثَت الصغيرتان مبهوتَتين، وما لبثتا أن سمعتا خلفهما ضجيج أصـوات، وشـاهدتا الحصـان والديـك يُقبِـلان وهُما يختصمـان. راح الديك يقول بصوتٍ غاضب:

- أجـل يـا سـيد، أنا مفيـدٌ أكثَر منـك وأكثَـر ذكاء أيضـاً. ولا تردّ بهذه الهيئة الهازئة من فضلك، لأنني أستطيع أن أؤدِّبك.

قال الحصان باستخفاف:

- أنتَ أيها التافه الصغير!

- تافـه! لكنـك لسـتَ أكبر مـن ذلك! وأنـا مَن سـيجعلك تعرف قيمتك وحجمكَ يوماً.

أرادت الصغيرتان أن تتدخَّلا، لكنهما واجهتا صعوبة كبيرة في إسكات الديك. وسوَّت دلفين الأمر حين عرَضَت على الطرفين المتخاصمين أن يرسماهما. وبينما راحت أختها ترسم صورة الديك، تولَّت هي رسم صورة الحصان. وبعد برهة، ساد الاعتقاد أنّ الشِّجار

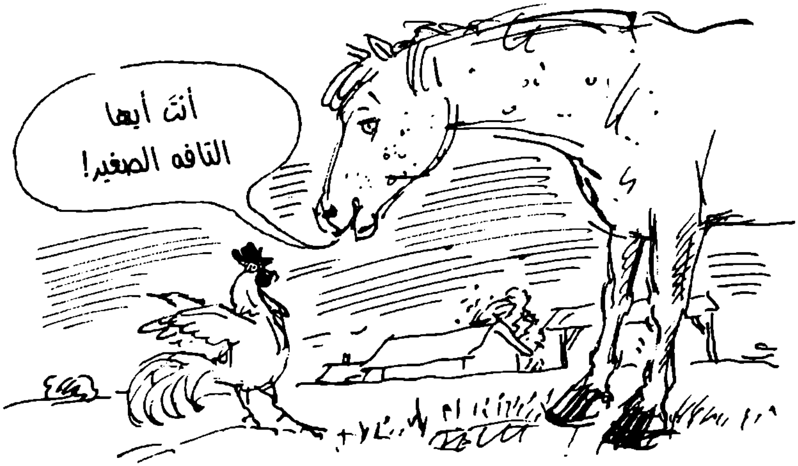

انتهى. تباهى الديك بوقفته، فرفَعَ رأسه وأمالَ عُرْفهُ إلى الوراء ونفَخَ صدره ونَفَشَ أجمل ريشاته. ولكنه لم يستطِعْ التوقّف عن الثرثرة والتفاخر وقتاً أطول، فقال لمارينيت:

- لا بدّ أنكِ تستمتعين برسمِ صورتي. لقد أحسنت اختيار نموذجك. لا أريد أن أتباهى بنفسي، لكن ألوان ريشي فعلاً فاتنة.

وأطنَبَ في مديح ريشه وعرفه وذيله، وأضافَ وهو يختلس نظرة إلى الحصان بطرف عينه:

- من البديهي أن أكون ملائماً للرسم أكثر من بعض الحيوانات المسكينة ذات الوبر الشحيح والقصير.

قال الحصان:

- من المناسب للحشرات الصغيرة أن تكون مبهرجة هكذا. حتى يمكن رؤيتها حين تمرّ.

صرخ الديك وقد تشعّث ريشه:

- أنت الحشرة الصغيرة!

وراح يقذف الشتائم والتهديدات فواجَهَها الحصان مكتفياً بالابتسام.

وفي تلك الأثناء، انهمكت الصغيرتان في الرسم بحماس. وسرعان ما صارَ بمقدور النموذجين المجيء وتملّي صورتيهما. بدا الحصان راضياً عن صورته. فقد رسمَت دلفين له عرفاً جميلاً، طويلاً ومنتصباً على نحو مدهش بدا أنه سلخ من جلد قنفذ، وذيلاً من شعرات ثخينة بدَت العديد منها بغلظة وملاسة ساق مجرفة. وأخيراً، لأنّه اتخذ وضعية مواربة، فقد حالفه الحظ بظهور أطرافه الأربعة. ولم يكن للديك أيضاً مأخذٌ على صورته. ومع ذلك بلغ به الجحود حدّ الادّعاء أنّ ذيلة يشبه مكنسة بالية. فبادر الحصان،

الذي كان مشغولاً بصورته حتى تلك اللحظة، إلى إلقاء نظرة على صورة الديك واكتشف على الفور اكتشافاً ملأه بالمرارة. فقال:

- الديك أضخم مني حسبما أرى؟

وفعلاً، رسمَت دلفين صورة للحصان لا تكاد تشغل نصف مساحة الورقة، ربما لأنّ تجربتها مع الجرادة أربكتها، أمّا صورة الديك التي بالغت مارينيت فيها، فقد ملأت الصفحة كلها.

- الديك أضخم مني، هذه ضربة قوية.

تباهى الديك:

- طبعاً أنا أَضخم منك، يا عزيزي، وهذا طبيعي. مَن تحسب نفسك؟ أنا لم أضطر للنظر إلى صورتينا، إحداهما بجانب الأخرى، لأتبيّن ذلك.

قالت دلفين وهي تقارن الصورتين:

- لكن هذا صحيح. أنت أصغر من الديك. لم أنتبه إلى هذا الأمر، ولكنه ليس مهماً.

أدركَت، لكن بعد فوات الأوان، أنّ الحصان استاء. أدارَ ظهره وحين راحت تناديه، ردّ بجفاء وحتى من دون أن يُعيرها التفاتة إلى الخلف:

- طبعاً. مفهوم. أنا أصغر من الديك وهذا ليس مهماً.

صمّ أذنيه ولم يستمِعْ إلى تبريرات الصغيرتين، وابتعدَ يتبعه الديك على مسافة وهو يردِّد بلا كللٍ ولا مللٍ: «أضخم منك! أضخم منك!».

حين عاد الأبـوان من الحقول ظهراً، وجـدا ابنتيهما في المطبخ وعلـى الفـور وقَـعَ نظرهما علـى مئزريهما. ولحسـن الحـظ، احتاطت الصغيرتان ولم تبرقعا ملابسهما بالألوان. وحين سألاهما عمّا فعلتاه، أجابتـا أنهما حصدتا حزمة ثخينة من البرسـيم للأرانـب وقطَفَتا ملء سـلتين من الفاصوليـاء. وتأكَّد الأبوان أنهما صادقتان فأظهرا رضاهما وغَمَـرَت ابتسـامات عريضـة وَجهيهمـا. ولو خطـرَ لهما أن ينظـرا إلى الفاصوليـاء مـن كثـب، لفوجئـا مـن دون شـكّ أنّ وَبَـر كلـب وريـش بـط يخالطهـا، ولكن هـذه الفكرة لـم تُراودهما. لَـم يَروهما من قبل منشرحَي المزاج كما كانا على الغداء في ذلك اليوم. قالا للصغيرتين:

- آه! نحن في غاية السرور. لدينا قطْفة فاصولياء وافرة، ولدى أرانبنا برسيم يكفيهم لثلاثة أيام على الأقل: ولأنكما عملتما بمثل هذا النشاط...

وقطعت حديثهما غرغرة تصدر من تحت الطاولة، فانحنيا واكتشفا أنّ الكلب يوشك أن يختنق.

- ماذا حلَّ بك؟

قال الكلب:

- لا شيء (الحقيقة أنه لم يستطِعْ أن يتمالك نفسه عن الضحك، وهو ما أصابَ الصغيرتين بالذعر)، لا شيء البتة. بالتأكيد ابتلعتُ بلعة خاطئة. تعرفان كيف تحدُث مثل هذه الأمور. غالباً ما نظن أنّنا نبلع...

قال الأبوان:

- حسن، يكفي نقاشاً. أين وصلنا؟ آه! أجل، أنجزتما عملكما بنشاط.

ومرة ثانية قاطعتهما غرغرة أخرى، ولكنها أكثر حذراً، بدت صادرة عن المدخل من خلفهما. ذكر البط هو مَن أطلّ برأسه من فرجة الباب، وهو أيضاً لم يستطِعْ أن يكبح رغبته في الضحك. وما إن التفتَ الأبوان برأسيهما حتى اختفى. لكن حرارة الصغيرتين ارتفعت. قالت دلفين:

- لا بد أنه تيار هواء جعل الباب يصرّ.

قال الأبوان:

- هـذا ممكـن جداً. أيـن وصلنـا؟ أجـل، البرسـيم والفاصولياء. نحـن حقـاً فخوران بكمـا. إنها لسـعادة أن يكون لنا ابنتـان مطيعتان ونشيطتان. لكننا سنكافئكما. أنتما تعرفان أننا لم نقصد حرمانكما من علبَتَـي التلوين. أرَدْنا هـذا الصباح أن نعرف هل أنتمـا بنتان عاقلتان قادرتـان على التفكير في أن تكونـا نافعتين. وها نحن راضيان. لذلك نسمح لكما بالرسم طيلة العصر.

شكَرَتهما الصغيرتان بصوتٍ خافت لا يكاد يصلُ أبعَدَ من طرف المائـدة. وكان الأبوان من الفرح بحيث لم ينتبهـا لذلك وحتى نهاية الوجبة، لم ينفكّا يضحكان ويغنيان ويلعبان لعبة الحزورة.

- آنستان تركضان خلف آنستين ولا تلحقان بهما أبداً، مَن هما؟

كانـت الصغيرتـان تتظاهـران بالبحـث، لأنَّ ذكريـات الصبـاح وعذاب الضمير يمنعانهما عن المثابرة.

- ألـم تحـزران؟ مـع أنهـا سـهلة. هـل عجزتمـا؟ حسـن، هاكما الحـل: إنهما عجلتا العربة الخلفيتان اللتـان تركضان خلف العجلتين الأماميتين. ها! ها!

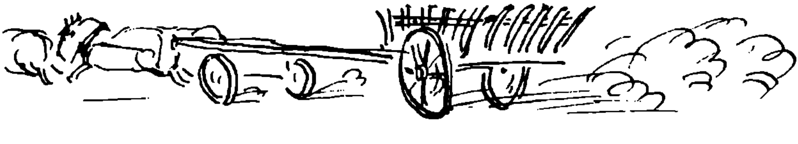

ويغـرق الأبوان فـي الضحك حتـى تؤلمهما خواصرهمـا. وبينما راحـت الصغيرتـان ترفعـان الأطبـاق، تـرك الأبـوان المائـدة وذهبـا

إلى الحظيـرة ليفكّا الحمار حتـى يرافقهما إلى الحقـول محمَّلاً ببذار البطاطا.

- هيا أيها الحمار، حان وقت الذهاب.

قال الحمار:

- أنا آسف جداً، فليس لدي سوى قائمتين لخدمتكما.

- قائمتان! هل تمزح معنا؟

- هيه! أجل. قائمتان. وحتى يصعب عليّ الوقوف. لا أدري كيف تفعلون ذلك، أنتم الناس.

اقترب الأبوان ونظرا إلى الحمار من كثب، فشاهدا أنه لم يعُد لديه فعلاً إلا قائمتين، واحدة في الأمام والأخرى في الخلف.

- فعـلاً أمـر غريـب. لكـن كانت لـه أربـعُ قوائـم هـذا الصباح. همم! هيا نرى الثورين.

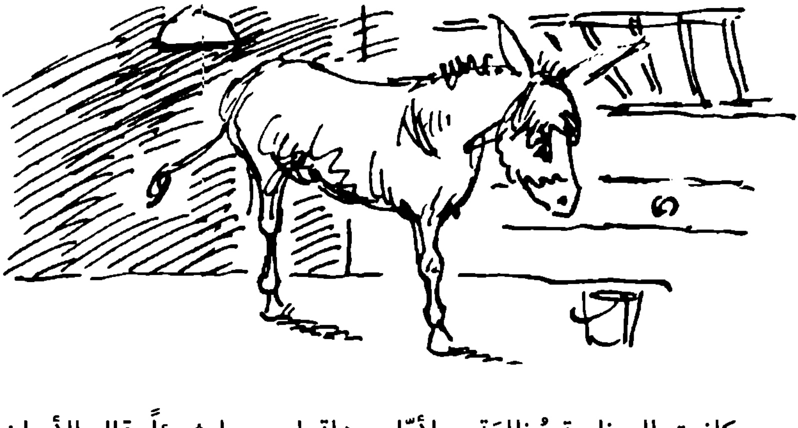

كانـت الحظيرة مُظلِمَة، ولأوّل وهلة لم يريا شيئاً. قال الأبوان من بعيد:

- وبعدُ، أيُّها الثوران؟ أنتما مَن ستأتيان معنا إلى الحقول؟

وأجاب صوتان من الظلام:

- طبعاً لا. نحن آسفان من أجلكما ولكننا غير موجودين.

- أنتما غير موجودين!

- انظرا إنْ شئتما.

وفعلاً اقترب الأبوان، وشاهدا معلفَي الثورين فارغين. وسواء بالنظر أو اللمس لم يجدا إلّا زوجين من القرون تعُومان في الهواء على ارتفاع المعلف.

- لكن ماذا يحدث في هذه الحظيرة؟ شيء يُثير الجنون. هيا بنا نرى الحصان.

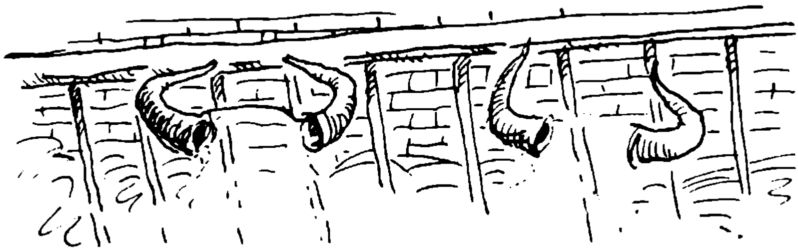

كان الحصان يُقيم في صدر الحظيرة حيث الظلمة دامسة:

- حسن أيها الحصان الطيب، هل أنت مستعدّ لترافقنا إلى الحقول؟

فأجاب الحصان:

- أنا في خدمتكما، ولكنني أودّ أن أخبركما أنني أصغر من أن أستطيع جرّ العربة.

- حسن، هيا. لدينا هنا آخر. صغير جداً!

وحين بلغ الأبوان صدر الحظيرة، ندت عنهما صيحة دهشة. في الظلام الدامس، على بساط من القشّ الفاتح، شاهدا حصاناً صغيراً لا يتجاوز حجمه نصف حجم ديك. فقال لهما وفي نيته أن يتهكّم عليهما:

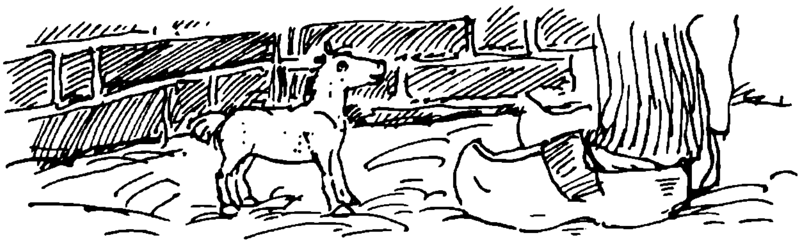

- أبدو جميلاً، أليس كذلك؟

وناحَ الأبوان:

- واحسرتاه! على حيوان كان في غاية الجمال ويَعمل بنشاط. ولكن كيف حدث ذلك؟

قال الحصان بأسلوب مراوغ يحمل على التفكير:

- لا أدري. لم أرَ شيئاً البتة.

ولمّا سألا الحمار والثوران، أجابوا بدورهم الجواب ذاته. وشعر الأبوان أنهم يخفون شيئاً عنهما. فذهبا إلى المطبخ ورمقا الصغيرتين بنظرة شكّ مديدة. حين كانت تحدث في المزرعة أمور خارجة عن المألوف، كانا يبادران أولاً إلى مهاجمة الصغيرتين. فقالا بصوت يشبه زئير الغيلان:

- هيا، أجيبا. ماذا حدث في أثناء غيابنا هذا الصباح؟

شلَّ الخوف قدرة الصغيرتين على الكلام، فأومَأتا أنهما لا تعرفان شيئاً. ضرب الأبوان عندئذٍ الطاولة بقبضاتهما الأربع وزمجرا:

- هل ستجيبان في النهاية أيَّتها الصغيرتان الشقيتان؟

أفلَحَت دلفين أن تتمتم:

- فاصولياء، قطفنا فاصولياء.

وهمسَت مارينيت:

- حصدنا البرسيم.

- وكيف حدث أنه لم يعُد للحمار إلّا قائمتين والثوران غير موجودين وحصاننا الضخم صار الآن في حجم أرنب عمره ثلاثة أسابيع؟

- أجل، كيف حدث ذلك؟ نريد الحقيقة في الحال.

صعق الخبر المرعب الصغيرتين، لأنهما لم تكونا قد سمعتا به بعد، ولكنَّهما فهمتا على الفور ما حدث: لقد رسمتا هذا الصباح بحماسٍ فائق حتى أنّ طريقتهما في رؤية الأشياء فرضت نفسها بقوة على نماذجهما؛ وهذا ما يحدث غالباً حين يرسم المرء لأول مرة؛ والحيوانات بدورها، أخذت الأمر على محمل شخصي، وحين عادت إلى الحظيرة مُهانة في كبريائها، راحت تجترّ أحداث المرج، وسرعان ما طبعت تلك الأحداث الواقع بمظهر جديد.

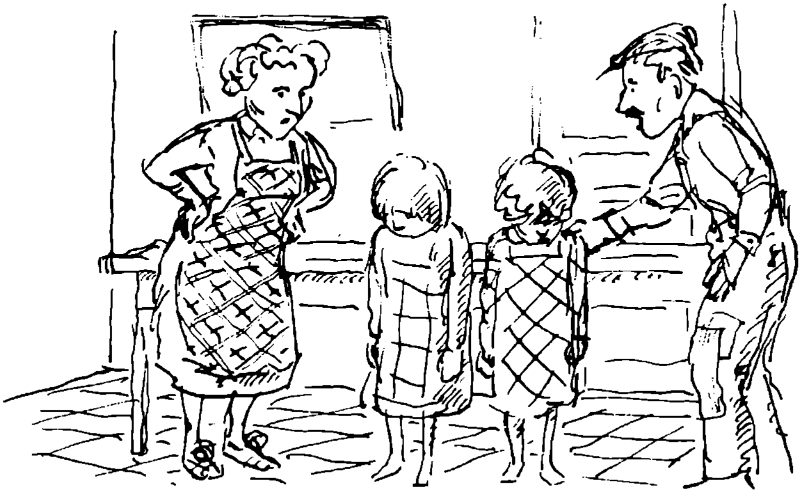

في نهاية المطاف، لم تكُن الصغيرتان مخطِئتين، فبسبب عصيانهما لأبويهما خاضتا غمار هذه المغامرة المرعبة. كادتا أن تجثوا على ركبهما وتعترفان، حين لمحتا ذكر البط يومئ برأسه لهما من فرجة الباب ويغمزهما بعينه. فاستعادتا شيئاً من رباطة جأشهما، وراحتا تتلعثمان بأنه لا علم لهما بما حدث. فقال الأبوان:

- تصرّان على العناد. حسن، عاندا. سنذهب لإحضار الطبيب البيطري.

عندئذٍ، راحت الصغيرتان ترتعشان. فالطبيب البيطري رجلٌ بارع لا يُشَقّ له غبار. وكانتا واثقتين أنه لن يلبث أن يكتشف الحقيقة بمجرّد أن ينظر في بياض عيون الحيوانات ويجسّ أعضاءها وكروشها. وخيِّل للصغيرتين الآن أنهما تسمعانه يقول: «حسن، حسن، أرى في كلّ هذا ما يشبه أعراض مرض الرسم. تُرى؛ هل

صادف ورسم أحد هذا الصباح؟» ولن تحتاج الفضيحة إلى أكثر من هذا.

وبعد أن غادر الأبوان، شرحت دلفين لذَكَر البط ما حدث وما تخشاه من فحص الطبيب البيطري. وكان ذكر البط رائعاً فعلاً إذ قال:

- يجب ألّا نُضيع الوقت. خذا علبتي التلوين وأطلقا الحيوانات في المرج. لا بد للرسم أن يصلح ما أفسده.

أخرجت الصغيرتان الحمار في البداية ولم يجرِ الأمر بسهولة، لأنه واجه عسراً في المشي على قائمتين دون أن يفقد توازنه، وترتّب عليهما عند وصولهم أن تدسّا مقعداً تحت بطنه، كان سيسقط لولاه على الأرجح. أما بالنسبة إلى الثورين، فقد جرى الأمر بمنتهى اليُسر، وحتى كانا في غنى عن اصطحابهما. وفي تلك اللحظة، كان رجل يمرّ في الطريق فأدهشه أن يرى زوجين من القرون معلَّقَين في الهواء يجتازان الفناء، ولكنّ حكمته جعلته يعزو الأمر إلى ضعف في النظر.

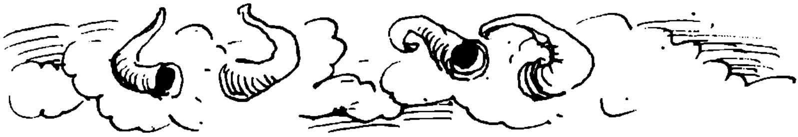

وفي أثناء خروج الحصان من الحظيرة، خالجه شيء من الخوف في البداية حين ألفى نفسه وجهاً لوجه مع الكلب الذي بدا له حيواناً مرعباً في ضخامته، لكن سرعان ما أضحَكَه ذلك، فقال:

- ما أضخم الأشياء من حولي، وما أطرف أن يكون المرء صغير الحجم للغاية!

لكن سرعان ما تغيَّر إحساسه، لأن الديك لمّا رآه حصاناً مسكيناً صغيراً، انحنى فوقه بغضبٍ عارم وقال في أذنيه:

- آه! آه! أيها السيد، ها نحن نلتقي. آمل أنك لم تنسَ أنني وعدتكَ بالتأديب.

وطفقَ الحصان يرتعش بكامل جسده. أرادَ ذَكَر البط أن يتدخّل، ولكن من دون جدوى، ولم يحالف الصغيرتين الحظّ أيضاً، فقال الكلب:

- اتركاني إذاً، سألتهمه.

كشَّر عن أنيابه وانقضّ على الديك، ففرَّ لا يلوي على شيء واختفى، واضطرّ الديك المسكين أن يتوارى عن الأنظار ثلاثة أيام وشوهِدَ بعدها منكّس الرأس.

حين صار الجميع في المرج، سعلَ ذكر البط ليجعل صوته جهورياً، وخاطب الحصان والحمار والثورين:

- أصدقائي الأعزاء، لا تتصوروا مدى ألمي وأنا أراكم على هذه الحال. وكم يُحزِنني التفكير في أنّ هذين الثورين الأبيضين

الرائعيـن، اللذين كانا مُتعة للناظرين، لم يعُد لهما وجود الآن؛ وأنّ هذا الحمار الرشـيق في حركاته يجرجر نفسـه بصعوبة على قائمتين وأنّ حصاننـا الضخم الجميل لم يعُد إلّا شـيئاً صغيراً بائسـاً وذابلاً. أؤكِّد لكم أنّ قلبي ينفطر لذلك، بخاصة أن هذه المغامرة السخيفة ليسـت إلّا نتيجة سـوء تفاهـم. أجل، سـوء تفاهم. لم يكـن في نيّة الصغيرتين إزعـاج أحد على الإطلاق، وإنمـا بالعكس. ما حدث لكم يحزنهمـا بقـدر مـا يُحزنني وأنـا واثق أنكم، مـن جانبكم، مسـتاؤون جداً. لذلك لا تعاندوا. تلطَّفوا ودعوا أنفسـكم على سجيّتها لتعودوا إلى مظهركم المعتاد.

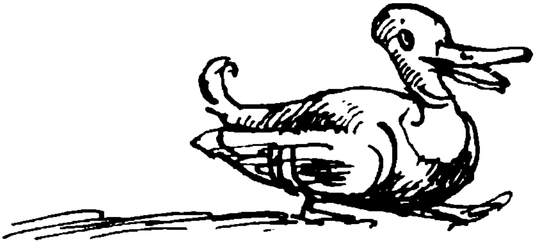

لكـن الحيوانات ظلَّت علـى صمتها العدائـي. كان الحمار يطرق برأسـه ويحدِّق في حافره الأمامي الوحيد بهيئـة حاقدة. أمّا الحصان فلم يكُن يبدو مسـتعدّاً لسماع أيّ تبرير، مع أنّ قلبه لم يزَل يخفق مـن الخوف. وبمـا أنّ الثورين لم يكونا موجودين، لـم يَظهر عليهما أيّ شـيء، ولكن قرونهما، الوحيدة المرئية، حافظت على جمودٍ أبلغ مـن أيّ معنى، مع أنها خَلَت من أيّ تعبيـر. تحدَّث الحمار أولاً فقال بصوت جافّ:

- لـدي قائمتـان. حسـن، لـدي قائمتـان. ولا سـبيل للعـودة عن ذلك.

وقال الثوران:

- ونحن لسنا موجودين، ولا يدَ لنا في الأمر.

قال الحصان:

- أنا صغير جداً، واأسفاه إنها غلطتي.

لـم تسـوَّ الأمور وسـادَ فـي البدايـة صمت كئيـب. لكـن الكلب أغضبته هذه النية السيئة، فالتفتَ نحو الصغيرتين مزمجراً:

- أنتما تعاملان هذه الحيوانات القذرة في منتهى الطيبة. دعوا أمرهم لي. سأعضّهم من عَراقيبهم.

قال الحمار:

- تعضّنا؟ أوه! هذا حسن. إنْ كان يحلّ المشكلة!

وأخـذَ يضحـك، وكذلـك الثـوران والحصـان. وسـارعَ ذكَـر البطّ يؤكد:

- هيـا، كان هـذا علـى سـبيل الضحـك. أراد الكلـب ببسـاطة أن يمـزح. ولكنكـم لا تعرفـون مـا القصـة. اسـمعوا. ذهـب الأبـوان ليحضـرا الطبيب البيطري. وفي غضون أقل من سـاعة، سـيكون هنا لفحصكـم، ولـن يصعـب عليه اكتشـاف مـا حـدث. كان الأبـوان قد منعا الصغيرتين عن الرسـم هذا الصباح. واأسـفاه عليهن. وما دمتم تصرّون على موقفكم، فإنهما ستوبَّخَان وتُعاقَبان، وربما تُضرَبان.

نظر الحمار إلى مارينيت، والحصان إلى دلفين، وتحرَّك القرنان في الفضاء، كأنهما يلتفتان نحو الصغيرتين. همَسَ الحمار:

- بالتأكيد المشي على أربع قوائم أفضل من المشي على اثنتين. فضلاً عن أنه مريح أكثر.

واعترف الثوران:

- بديهي أنه من غير المحبَّذ أن يقتصر وجودنا في نظر الناس على مجرّد زوجين من القرون.

وتنهّد الحصان:

- ما أجمل النظر إلى العالم من علٍ.

استغلت الصغيرتان هذا التراخي، ففتحتا علبتي الألوان وراحتا تعملان. رسمت مارينيت الحمار وحرصت هذه المرة على وضع أربع قوائم له. ورسمت دلفين الحصان والديك عند قدميه، بتناسب صحيح. راح العمل يتقدّم بسرعة. وكان ذكر البط في غاية السرور. انتهت الصورتان، وأعرب الحيوانان عن رضاهما الفائق عنهما. لكن الحمار لم يستردّ قائمتيه الناقصتين، وكذلك الحصان لم يستعِدْ حجمه. وهو ما شكَّل خيبة أملٍ قويّة للجميع، وكان ذكر البط أوّل مَن ساوره القلق. فسأل الحمار إنْ كانَ يشعر بحكَّة مكان قائمتيه الناقصتين والحصان إن كانَ يشعر بشيء من التضيّق في جلده. لكن لا، لم يشعُرا بشيء. فقالَ ذكَر البط للصغيرتين:

- هـذا يحتاج إلـى وقـت. وبينما ترسـمان الثورين سيسـوّى كلٌّ شيء، أنا واثق.

وأخـذت دلفيـن ومارينيـت ترسـمان، كلاًّ علـى حـدة، صـورة أحـد الثوريـن انطلاقـاً مـن القرنيـن، ومـن أجـل البقيّـة، عادتا إلى ذاكرتيهمـا فأسـعفتاهما بأمانـة. اختارتـا ورقـة رماديـة ظهـر عليهـا الثـوران الأبيضـان واضحيـن تمامـاً. وأعـرَبَ الثـوران أيضـاً عـن رضاهمـا الفائـق عـن صورتيهمـا ووجداهمـا تشـبهانهما. لكـن وجودهمـا ظـلَّ مقتصِـراً علـى قرونهمـا. وظـلَّ الحمـار والحصـان لا يشـعران بشـيء ينبئ عن عودتهما إلى حالتهما الطبيعية. ووجَدَ ذكَـر البـط صعوبة فـي إخفاء قلقـه وبهَت بريـق الكثير من ريشـه الجميل. فقال:

- لننتظر، لننتظر.

مضَت ربع سـاعة ولم يحدث شيء. لمَحَ ذَكَر البط حمامة تنقر فـي المـرج، وذهـب إليهمـا يكلِّمهمـا. فطـارت الحمامة وعـادت بعد قليل لتحطّ على قرن أحد الثورين، وقالت:

- رأيت عربةً عند منعطف الحَوْرَة الباسقة، وفي داخلها الأبوان مع رجل.

هتفت الصغيرتان:

- الطبيب البيطري!

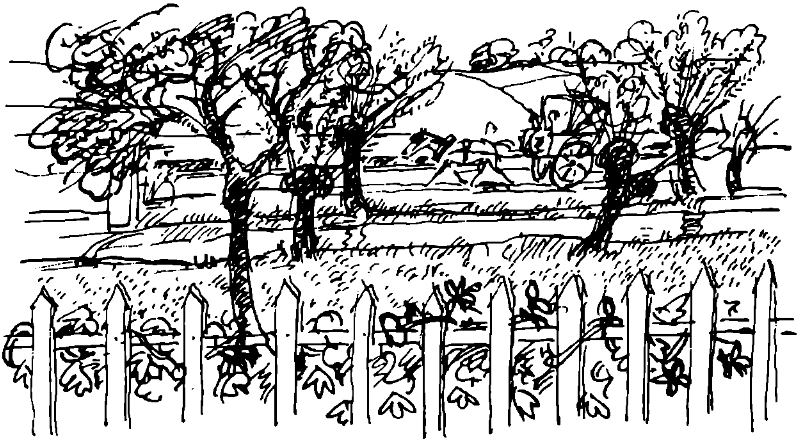

وفعلاً، لا يمكن أن يكون إلّا هو، ولن تلبَث عربته أن تصل. إنها مسألة دقائق. وحين رأت الحيوانات ذُعْر الصغيرتين، وفكَّرت في غضب الأبوين، شعروا بتعاسة بالغة. فقالَ ذَكَر البط:

- هيا، ابذلوا جهدكم أيضاً. وفكّروا أنّ كلّ ما يحدث هو بسببكم، لأنكم ركبتم رؤوسكم.

هزّ الحمار نفسه بأفضل ما يمكنه ليَستعيد قائمتيه، وانكمَشَ الثوران ليستعيدا وجودهما وشهقَ الحصان شهقة قوية لينفخ نفسه، لكن هذه المحاولات باءَت بالفشل. شعرت الحيوانات المسكينة بالخزي. وسرعان ما سمعوا ضجيج العربة وهي تجري على الطريق وكادوا يفقدون الأمل. شحب وجه الصغيرتين وراحتا ترتعشان من الخوف في انتظار الطبيب البيطري العالِم. شعَرَ الحمار بحزنٍ عميق واقترب من مارينيت وهو يعرُج على قائمتيه وأخذَ يلعق يدها. كان يريد أن ينال صفحها ويقول لها شيئاً لطيفاً، ولكنه من

فرط تأثّره، خانه صوته، واغرورقت عيناه بالدموع وسقطت إحداها على الصورة. كانت دموع الصداقة. ولم تكَد تسقط على الورقة حتى شعر الحمار بألمٍ حاد في جانبه الأيمن ووجد نفسه على أطرافه الأربع. أراحَ هذا الجميع وانتعش أمل الصغيرتين. وإذا صحَّ القول، فات الأوان، لأنّ العربة لا تبعد الآن أكثر من مئة متر عن المزرعة. لكن ذَكَر البط فَهِمَ. فالتقط صورة الحصان بمنقاره وسارع إلى وضعها تحت أنفه، وكانت سعادته غامرة حين سقطت عليها دمعة. ولم تتأخر النتيجة. شاهدوا الحصان يتضخَّم بأمّ أعينهم، وعاد إلى حجمه المعتاد في فترة لا تتعدى العدّ حتى العشرة. لم تكُن العربة عندئذٍ تبعد أكثر من ثلاثين متراً عن المزرعة.

ظلَّ الثوران أبطأ انفعالاً، وراحا يستجمعان أفكارهما فوق صورتيهما. نجَحَ أحدهما في استدرار دمعة، واستعادَ جسده لحظة دخول العربة إلى فناء المزرعة بالضبط. كادت الصغيرتان أن تصفِّقا، لكنّ ذكَر البط ظلّ مهموماً. لأنّ هنالك ثور آخر غير موجود. كان ذاك الثور مفعَماً بالإرادة الطيبة ولكنه لم يكُن سخيّ الدمع ولم يرَه أحد يبكي قط. لم يفلح كلّ انفعاله ورغبته في فعل الخير في تبليل طرف عينيه بدمعة.

أخذَ الوقت يضيق، لأنّ القادمين راحوا ينزلون من العربة الآن. وبأمرٍ من ذكر البط، هَرَعَ الكلب لِلقائهم حتى يؤخّر وصولهم، وطفَقَ يحتفي بالطبيب البيطري ويتمسَّح بساقيه حتى حالَفه الحظّ في إيقاعه على بطنه وتعفيره بالتراب. ركَضَ الأبوان في أنحاء

الفناء بحثاً عن هراوةٍ أقسَما أن يكسراها على ظهر الكلب. ثم فكَّرا في إنهاض الطبيب البيطري، ولمّا نهض، نفضا الغبار عن ثيابه. واستغرقَ كلّ هذا بين أربع دقائق وخمس دقائق.

في تلك الأثناء، طفق الجميع في المرج ينظرون بقلقٍ إلى قرنَي الثور غير الموجود. ومع أنه حاول بكلّ إخلاص، إلّا أنّ الثور المسكين لم يفلح في البكاء. فقال للصغيرتين:

- اغفرا لي، لكنني أشعر أنني لن أستطيع.

مرَّت لحظة إحباط خيَّمَت على الجميع تقريباً، وحتى ذَكَر البط فَقَدَ صوابه. الثور الآخر الذي استردّ جسمه للتو، وحده ظلَّ محافظاً على هدوء أعصابه. وخطر بباله أن يغنّي لرفيقه أغنيةً كانا يُغنياها قديماً معاً، أيام كانا مجرَّد عجلين صغيرين. تبدأ الأغنية هكذا:

عجل وحيد

يشرب الحليب

مووه، مووه، مووه

رأى عجلة

تمضغ عشبة

مووه، مووه، مووه

كان لحناً حزيناً يميل إلى الكآبة. وفعلاً، بدأت النتيجة المرجوّة تظهر من المقطع الأول. سرى ما يشبه الرعدة في قرنَي الثور الذي لم يكن موجوداً. وبعد أن تنهَّد الثور المسكين عدّة مرات، نجَحَ أن يستدرّ دمعة في طرف عينه، لكنها كانت أصغر من أن تسيل. ولحسن الحظ، رأتها دلفين تلمع والتقطتها برأس فرشاتها ووضعتها على الصورة. وعلى الفور، استعاد الثور وجوده، وأصبح مرئياً وقابلاً للمسّ. وجاء ذلك في أوانه. ظهر الأبوان في طرف المرج يحفّان بالطبيب البيطري. لما رأوا الثورين، والحمار واقفاً على قوائمه الأربع والحصان منتصباً بقامته الشامخة، عقدت الدهشة ألسنتهم. أمّا الطبيب البيطري، الذي تعكَّر مزاجه بسبب وقوعه على بطنه، فسأل هازئاً:

- حسن، هل هذان هما الثوران اللذان لا يوجدان، وهل هذا هو الحمار الذي فقدَ قائمتين، وهل هذا هو الحصان الذي صارَ

أصغر من أرنب؟ لا يبدو أنَّهم يتألمون كثيراً من مصائبهم الصغيرة، على ما أرى.

تلعثم الأبوان:

- أمرٌ محيّر. منذ قليل، في الحظيرة...

- أنتما حلمتما أو أفرطما في تناول الطعام حتى تشوَّش بصركما. يُخيل لي أنه كان الأجدر بكما أن تستدعيا طبيباً بشرياً. على كلِّ حال، لا أقبَل أن يزعجني أحدٌ من أجل لا شيء. لا، لا أقبل ذلك.

نكس الأبوان المسكينان رأسيهما وبالغا في اعتذاراتهما، فرَقَّ قلب الطبيب البيطري وأضاف مشيراً إلى دلفين ومارينيت:

- أخيراً، أصفَح عنكما هذه المرة لأنّ عندكما ابنتين صغيرتين جميلتين. لا يحتاج المرء إلى النظر إليهما ملياً حتى يدرك أنهما عاقلتان ومطيعتان - أليس كذلك أيتها الصغيرتان؟

احمـرّت الصغيرتـان خجلاً، وظلّتـا مشـدوهتين، لا تتجرآن على التفوه بكلمة، لكن ذكر البط أجاب بصفاقة:

- أوه! أجـل يا سـيدي. لا يوجد بيـن البنات مَن هُـنّ أكثر طاعة منهما.

الثوران

نجحت دلفين بمرتبة امتياز وماريَنيت بمرتبة الشرف. قبَّلَ المعلمُ الأُختين الصغيرتين محاذِراً أن يوسّخ لهما فستانيهما الجميلين. وجاء نائب المحافظ من المَدينة لحضور هذه المناسبة مرتدياً بزة رسمية مطرزة، وألقى خطاباً قال فيه:

- أبنائي الأعزاء، التعلمُ شيء جيد، وأولئك الذين لم يتعلّموا يستحقون الشفقة. ومن حسن حظّكم أنكم لستم منهم. مثلاً، أرى هنا فتاتين صغيرتين بثوبين ورديين وتضعان إكليلين ذهبيين جميلين على شعرهما الأشقر. وذلك لأنهما جَدَّتا واجتهدتا. واليوم تُكافآن على اجتهادهما، وانظروا إلى سعادة أبويهما: إنهما فخوران مثل طفلتيهما. آه! آه! انظروا إليّ، أنا مَن يخاطبكم، لا أريد أن أبدو مزهواً بنفسي ولكنني في النهاية، لو لم أواظب على تعلّم دروسي، لما أصبحتُ نائباً للمحافظ، ولما ارتديتُ هذه الحلة الفضية التي تَرَونها. لذلك لا بد من المثابرة على الدراسة، وإفهام الجَهَلَة والكسالى ضرورة التعلّم.

انحنى نائب المحافظ احتراماً، وغنى التلاميذ أغنية قصيرة وعادَ كلّ واحد إلى منزله. خلعت دلفين ومارينيت ثوبَيهما الجميلين وارتدتا مئزريهما المعتادين، ولكنهما بَدَلَ أن تلعبا لعبة الريشة الطائرة أو القفز أو الدمية أو الغميضة أو الماريلا أو القط المتربص، راحتا تتحدثان عن خطاب نائب المحافظ. ارتأتا أنه كان خطاباً رائعاً. وحتى تذمَّرتا لأنه لا يوجد في متناول يديهما شخص جاهل تُفهِمَانه مزايا التعليم. وتنهّدت دلفين:

- يعني لدينا شهران من العطلة الصيفية، شهران كان يمكننا استخدامهما في أمرٍ مُفيد. ولكن ما المانع؟ لا يوجد أحد.

كان يوجد في حظيرة أبويهما ثوران لهما الحجم ذاته والعمر ذاته، أحدهما عليه بقع صهباء والآخر بلا أية بقعة. كان الثوران مثل فردَتَي خفّ، يظلان معاً دوماً. ولذلك يُقال (زوج من الثيران). ذهبت مارينيت أولاً إلى الثور المرقّط ببقع صهباء، وقالت له وهي تداعب جبهته:

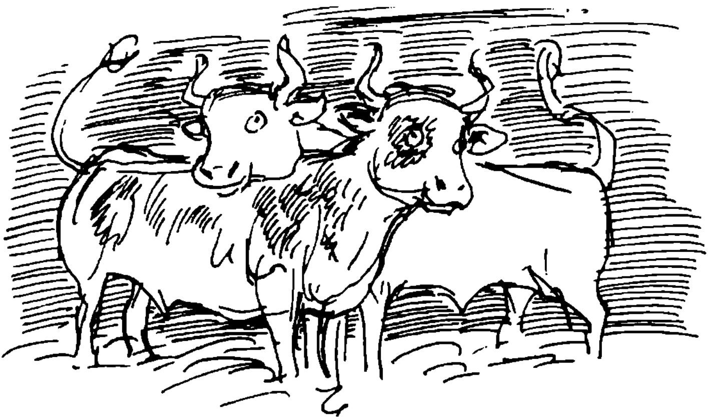

- أيّها الثور، هل تريد أن تتعلم القراءة؟

في البداية، لم يُجِب الثور الأصهب الضخم. ظنَّ أنّ الأمر من قَبيل المزاح. وأيَّدتها دلفين:

- التعلّم شيء جميل! لا توجد متعة تضاهيه، وسترى ذلك بنفسك حين تتعلم القراءة.

قَلّب الأصهب الضخم أفكاره لبرهة قبل أن يُجيب، لكنه كان قد بلور في أعماقه رأياً من قبل.

- أتعلَّم القراءة، ولماذا سأتعلّمها؟ هل سيُصبِح جرّ المحراث أسهل؟ هل ستزداد حصتي من الطعام؟ طبعاً لا. سأتعِب نفسي إذاً بلا نتيجة! شكراً جزيلاً، فأنا لسُت أبله كما تظنّان أيتها الصغيرتان. لا، لن أتعلم القراءة، أقسم لا.

احتجَّت دلفين:

- هيا، أيها الثور، أنت لا تتكلم كلاماً عاقلاً، ولا تفكِّر فيما تَخْسَره. هيا فكِّر قليلاً.

- فكرتُ في كلّ شيء يا عزيزتي، وأنا أرفض. آه! لو أنّ الأمر يتعلق بتعلّم اللعب لما ناقشت.

أمّا مارينيت، الصهباء والأكثر حيوية من أختها، فقد صرَّحت أنها ترثي لحاله، وأنها ستَدَعه على جَهْلِه وأنه سيظلّ ثوراً سيئاً طيلة حياته. فقالَ الأصهب الضخم:

- هذا ليس صحيحاً، أنا لست ثوراً سيئاً. لقد أتقنتُ مهنتي على الدوام، وليسَ لأحدٍ عليّ أيّ مأخَذ. أنتما تُضحِكاني بتعليمكما. كأنّ المرء لا يستطيع العيش من دونه! انتبِها جيداً إلى أنني لا أنعَته

بالسوء، وإنّما أزعمُ أنه غيرُ خليقٍ بالثيران. هذا كلّ ما في الأمر. والدليل، لم أرَ في حياتي ثوراً حصلَ على تعليم.

ردَّت مارينيت:

- هذا ليس دليلاً قاطعاً. إذا كانت الثيران لا تعرف شيئاً، فلأنّها لم تتعلَّم شيئاً قط.

- على كلّ حال، لستُ أنا مَن سيبدأ في هذا، يمكنكما أن تطمئنّا.

حاولَت دلفين مرة أخرى أن تُعيده إلى جادة الصواب، ولكن بلا جدوى، لم يكُن يريد أن يفهم. أدارت له الصغيرتان ظهريهما، وقد استاءتا من عناده، ولامبالاته وكَسَلِه المُدان. وحين رجتا الثور الأبيض بدوره، أظهَرَ تأثّراً باهتمامهما. كان يحبّهما حباً جماً ولم يشأ أن يُحزِنهما برفضٍ آخر. من جهة أخرى، لم يكُن يزعجه التفكير بأنه قد يَسَعه فيما بعد أن يُصبح حيواناً مجتراً مميزاً. كان ثوراً طيباً، طيباً جداً؛ رقيقاً، صبوراً، مُجِدّاً، ولكن لديه شيء من

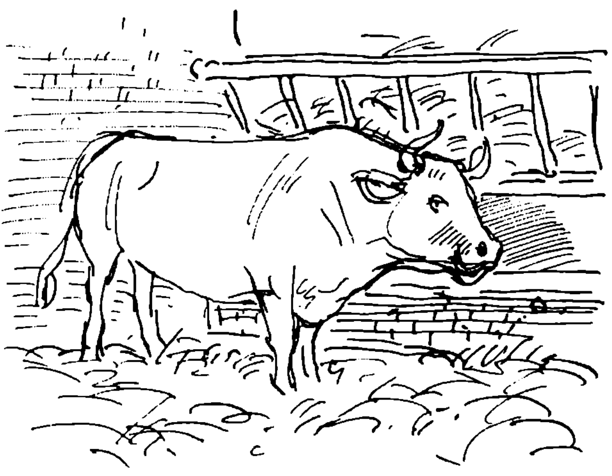

الغـرور والطموح. كان هذا يُلاحَظ بوضوح في طريقة تشـنيف أذنيه حيـن يوجّه له سـيده ملاحظة فـي أثنـاء الحراثة. لكن جميـع الثيران لهـا أخطاؤها، ولا يوجد ثور كامل، وهـذا الثور رغم هناته، كان من طينة طيبة. قال لهما:

- اسـمعا أيتهـا الصغيرتـان. أودّ أن أجيبكمـا مثـل أخـي: مـاذا سـيفيدني تعلّـم القـراءة؟ ولكنني حريـصٌ علـى إسـعادكما. على أيّ حـال، إذا لم يفـد التعليم ثوراً، فإنـه لن يُضيره أيضاً، وبالمناسـبة، قد يسـلّيني. إذا كان هذا الشـيء لا يسـبِّب لي صداعاً، فإنني موافق على تجربته.

سُـرَّت الصغيرتان سـروراً كبيـراً لأنهمـا وجَدَتا ثوراً بهـذه الهمّة وهنّأتاه على ذكائه.

- أيها الثور، أنا متأكدة من أنك ستدرس جيداً، دراسة باهرة.

أمّا هو، عند سـماعه هذا المديح، فقد أدخَلَ رأسـه بين كتفيه، وثنـى عنقه مثـل الأكورديون، كمـا نفعل نحن حين نريـد أن نتباهى. وهمس:

- فعلاً، وأظنّ أنني يجب أن أقوم ببعض الترتيبات.

وحيـن همَّـت الصغيرتـان بمغـادرة الحظيـرة لتُحضِـرا كتـاب القراءة، سألهما الأصهب الضخم بجدّية:

- أخبراني أيتها الصغيرتان، هل ترغبان في تعلّم الاجترار؟

قالتا وهما تضحكان:

- نتعلّم الاجترار، ولماذا سنفعل؟

وافقَ الأصهب الضخم:

- معكما حق، لماذا ستفعلان؟

أرادت دلفين ومارينيت أن تُفاجئا أبويهما، وقرَّرتا الحفاظ على سرِّية دراسة الثور الأبيض. فيما بعد، حين سيُصبح متعلماً، ستستمتعان برؤية دهشة أبيهما.

كانت البدايات أسهل ممّا تصوَّرَت الصغيرتان. كان الثور موهوباً حقاً، ومن جهة أخرى، معتدّاً بنفسه. وبسبب سخريات الأصهب الضخم، راحَ يتظاهَر بسعادةٍ لا نظير لها في تهجِئه الأحرف. وفي أقلّ من خمسة عشر يوماً، تعلَّم قراءة الأحرف وحتى استظهارها عن ظهر قلب. وطفَقَت دلفين ومارينيت تُعطيانه دروساً خفيّة عن أبويهما، في أيام الآحاد، وفي الأيام الماطرة، وعموماً في جميع الأمسيات بعد العودة من الحقول. وصار الثور المسكين يُعاني آلاماً حادة في الرأس، ويَحدث له أن يستيقظ في منتصف الليل وهو يصرخ:

- باء، ألف، با، باء، واو، بو، باء، ياء، بي...

وراح الثور الأصهب الضخم يتذمّر:

- ما أغباه مع باء، ألف، با. وحتى لم يعُد هنالك سبيل للنوم بهدوء، منذ أن غَرَسَت فيه الصبيتان أفكار العظمة. إن كنت متأكداً أنَّك لن تندم فيما بعد...

ويردّ الثور الأبيض:

- لن تتخيل أبداً متعـة التمييز بين الحروف الصوتية والحروف المصمتـة، وتأليف مقاطع فـي النهاية. هذا يجعـل الحياة أكثر متعة وصرتُ أفهم الآن سبب إطناب الناس في مديح التعليم. أشعر أنني أصبحتُ ثوراً آخر خلال ثلاثة أسـابيع. ما أروَع التعلُّم! ولكن هذا ما لا يستطيعه الجميع، ولا بدّ من توفّر القدرات.

وحيـن كان الأصهب الضخـم يَراه بهذه السـعادة، كان يعنّ له أحياناً أن يتسـاءَلَ هل كان عاقلاً عندما أصرَّ على البقاء على جهله؟! ولكـن لأنّ مَـذاق العلف في ذلك العام كان شـهياً كطعـم البندق، وكان القشّ ناعماً وفارعاً، فقد قاوم بسهولة إغراءات الفكر.

فـي البدايـة، تبادلت دلفيـن ومارينيـت التهاني علـى مبادرتهما. كان الثور يحقِّق تقدّماً مدهشـاً. وبعد شـهر بدأ يتعلّم العدّ، وصار يقـرأ بطلاقة تقريباً وحتى تعلّم القليل من الشـعر. وبلغ به الاجتهاد

أنه احتفظ في معلفه دوماً بكتاب مفتوح يقلّب صفحاته بلسانه. أحياناً كتاب حساب أو كتاب نحوٍ أو أيضاً كتاب تاريخ وجغرافيا أو مجموعة شعرية. لم يكُن يضاهي فضوله إلّا مثابرته وكان يهتمّ بكلّ ما هو مطبوع. وكان يُتمتم في كلّ لحظة:

- كيف استطعت أن أعيش وأنا أجهل كلّ هذه الأشياء الجميلة!

وسواء كان في الحقول، أو المرعى، أو على الدروب، لم يكُن يكلّ من التفكير في قراءاته. وجدير بالذكر أنه كان ثوراً في السادسة من عمره، وأن الثيران في مثل هذه السن تكون متّقدة الذهن مثل إنسان عمره بين الخامسة والعشرين والثلاثين. ولسوء الحظّ كانت دراسته تتعبه بسبب حماسه البالغ، ولأنّ هذا العمل الجديد أضيف إلى أعبائه ولم يعفه من عمله في الحقول. والأسوأ هو أنه صار يحلم باستمرار وينسى نصف أوقات الطعام والشراب لدرجة أنّ القلق اعترى الصغيرتين وهما تريان هُزاله وعينيه الصفراوين وقسماته المُتعَبَة، فقالتا له:

- أيها الثور، نحن في غاية السرور من عملك. ها أنت تعرف الآن قدر ما نعرف تقريباً وربما أكثر، إن صحّ القول. لهذا أنتَ تستحق الراحة، وفضلاً عن ذلك، صحتك تحتاج إلى راحة.

- لا تهمّني صحتي ولا أريد التفكير إلّا بتزيين عقلي.

- هيا أيها الثور، يجب أن تكون عاقلاً. لو كنت ترتاد المدرسة مثلنا، لرأيت أنّ العمل ليس محبّذاً دوماً، وأن لكلّ شيء وقتاً. والدليل هو أننا نأخذ أوقاتاً للراحة وحتى عُطَلاً صيفية.

- عطلٌ صيفية؟ حسن! أجل، هيا، لنتكلم قليلاً عن العطلة الصيفية! لا يزعجني الحديث عنها!

لا تفهم الصغيرتان إلامَ يرمي الثور، فتتلاكَزان بمرفقَيْهما كأنهما تتسارَران دون أن تُظهِرا شيئاً: «ماذا دهاه؟ ما خطبه؟» فقال الثور:

- أوه! أراكما، لستُما في حاجة لتتلاكَزا بمرفقيكما. لستُ مجنوناً، وأعرفُ حقّ المعرفة ما أقول. أنتما تحدِّثاني على العطل الصيفية، وعن هذا وذاك، وأنا عليّ أن أستريح. حسن. وأنا أجيبكما أنني أتّفق مع رأيكما. عطل صيفية، تماماً، ولكن عطلاً صيفية حقيقية

تُتيح لي أن أعمل بحسب أهوائي ورغباتي. آه! لو أستطيع تكريس وقتي لقراءة الشعر والتعرُّف على أعمال العظماء... هذه هي الحياة!

قالت مارينيت:

- يحتاج المرء أن يلعب أيضاً.

مكتبة
t.me/t_pdf

تنهَّد الثور:

- النقاش معكما عقيم. إنكما طفلتان.

وانكبَّ على فصلٍ من كتاب الجغرافيا وهو يحرِّك ذيله ليُشير إلى الصغيرتين أنّ وجودهما يُزعجه. لم يكُن هنالك جدوى من كلّ ما يُمكن أن تقولاه له، لأنه لن ينفكّ يركب رأسه. فقالت له مارينيت:

- ما دمتَ ترفض أن تأخذَ أية عطلة، فاحرَص على الأقل أن لا يراك أحد تدرس. حين أفكِّر أنّ كتابك مفتوح دوماً أمام عينيك وأن أبوينا قد يفاجئانك...

ولو نظرنا إلى الأمر من خلال هذه التوصية، سنجد أنّ الفتاتين الشقراوتين لم تكونا واثقتين أنهما تتصرّفان تصرفاً حكيماً. وفعلاً، لم تتباهيا أمام أحد بمشروعهما.

وطبعاً، لم يفُت السيد أن يلاحظ التغيّر في سلوك الثور الأبيض. وذات يوم، نهاية العصر، فوجئ برؤيته جالساً على عتبة باب الحظيرة وبدا مستغرقاً في تأمّل الحقول. فقال:

- وماذا تفعل هنا، أيها الثور، ولماذا تجلس بهذه الوضعية؟

فهزّ الثور رأسه وأغمَضَ عينيه نصف إغماضة، وأجابه بصوت عذب:

أتأمّلُ بإعجابٍ
وأنا جالسٌ تحتَ البوّابةِ
ما تبقّى من ضوءِ النهارِ
الذي منه تتنوَّرُ
السّاعةُ الأخيرةُ من العملِ

لم يكُن السيد يعرف، أو نسِيَ، أنّ هذه الأبيات الشعرية هي لفيكتور هوغو، وأقرّ في البداية:

- هذا الثور فصيح.

ولكنه اشتَبَه أنّ هذه الفصاحة تُخفي سرّاً مُقلقاً، لأنه أضاف:

- همم! لا أدري ما دهاه، ولكنني أجده غريب الأطوار منذ بعض الوقت... غريب الأطوار تماماً...

ولم يرَ ارتباك الصغيرتين اللتين احمرَّ وجهاهما وهما تشهَدان هذا المشهد المرهق. وازداد احمرارهما وطفَرَت الدموع من عيونهما حين صرخ الأب:

- هيا! اذهَبْ من هنا! عُدْ إلى حظيرتك! لا أحب الثيران المتعجرِفَة!

نهض الثور وهو يرمقه بنظرة حزينة وغاضبة، نظرة حزينة غضوباً، وعادَ إلى مكانه بجانب الأصهب الضخم. وسرعان ما أثَّرت اهتماماته الدراسية سَلباً على العمل الذي يؤدّيه في الحقول. كان رأسه يطفح بالأشعار الجميلة والأحداث التاريخية والأرقام والمواعظ، حتى صار يسهو عن أوامر سيده. وحتى صار أحياناً لا يُصْغي البتة، فينطلق النير مائلاً ويصل إلى حافة حفرة، عندما لا تكون عنقه داخله تماماً. فيهمس له الأصهب الضخم وهو ينهره بكتفه:

- انتبه، ستجعله يؤنِّبنا مرة أخرى.

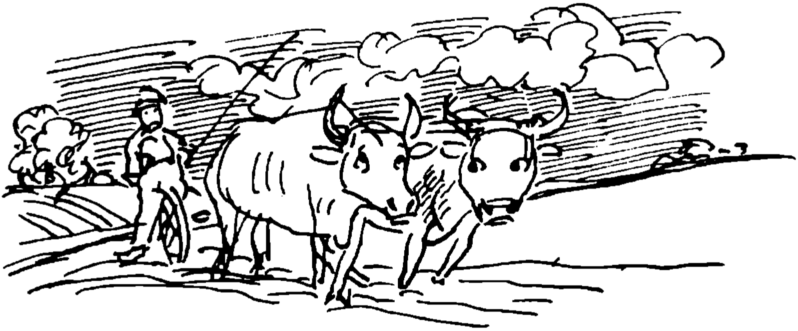

عندئذٍ، كانت تسري رعشة زهوّ في أذني الثور الأبيض، وحين يرتضي العودة إلى السراط المستقيم، سرعان ما يحيد عنه. وفي صباح أحد أيام الحراثة، توقَّف فجأة وسط الثلم دون أن يطلبَ منه سيده ذلك، وراح يحلم بصوت عالٍ. وطفقَ يقول:

- يصبّ صنبوران الماء في وعاء إسطواني ارتفاعه خمسة وسبعون سنتيمتراً، وتملآن معاً خمسة وعشرين ديسمتراً مكعباً في الدقيقة. فإذا علمنا أنّ أحد الصنبورين يستطيع لوحده أن يملأ الوعاء خلال ثلاثين دقيقة، بينما يحتاج الآخر إلى ثلث الوقت الذي يحتاجه الصنبوران معاً، احسبْ حجم الوعاء، وقطره، وكم يحتاج من الوقت ليمتلئ... هذا مهم... مهم جداً...

قال السيد:

- بماذا يُبرطِم؟

- هيا... سأفترِض أنّ الصنبورين مغلقان... فماذا يحدث؟

- اشرح لي في النهاية شيئاً ممّا تقوله...

لكن الثور كان مستغرقاً في البحث عن حلٍّ فلم يسمَعْ شيئاً وظلّ متسمراً في مكانه يتمتم بالأرقام. وعبر العصور، امتدِحَت الثيران لتَشابه أمزجتها التامّ، ولم يرَ أحد ثوراً قَط يحرن في مكانه، كما تفعل البغال والحمير أغلب الأحيان. لذلك فوجيء السيد بمثل هذه النزوة. وفكر: «لا بد أنّ هذا الثور مريض». تركَ مقبضَي المحراث ومضى إلى مقدِّمة النير، وسأل بنبرة وديّة:

- تبدو متوعِّكاً. هيا، أخبرني بصراحة ما الذي يسوؤك؟

حينئذٍ ضَرَبَ الثورُ الأرضَ بظُلْفِهِ وأجاب غاضباً:

- الحال بائس جداً، وليس ثمة سبيل للتفكير بسلام دقيقة واحدة! لستُ ملْكاً لأحد! كأنه لا عمل لي إلّا المحراث! وفوق ذلك النير على عنقي!

مكَثَ السيد مبهوتاً وهو يتساءل هل لا يزال ثوره بكامل قواه العقلية. وتأسّف الأصهب الضخم لهذا الحادث، مع أنه لم يدع أيّاً من هواجسه تظهر. كان يعرف حقّ المعرفة سبَب هذا المزاج السيئ، ولكنَّه كان رفيقاً وفياً لم يشَأ الوشاية حتى يتقرَّب من ربّ عمله. بصُحبته، يمكن للمرء أن يطمئنّ. وفي النهاية، ثابَ الثور الأبيض إلى رُشدِه واعتذرَ بصوتٍ أجشّ:

- حسنٌ، كنت شارد الذهن. كفانا حديثاً في هذا الأمر ولنتابع عملنا...

في ذلك اليوم، على الغداء، ذعرت الصغيرتان وهما تسمَعان أبيهما يقول:

- هـذا الثـور الأبيض أصبـحَ لا يُحتمل، وقـد كادَ هـذا الصباح أن يُخرجنـي عن طوري بسـبب حماقاته. ليس فقط أنـه يقوم بعمله مواربـاً، ولكنـه يردّ عليّ بمنتهى الصفاقة، وحتى لا أسـتطيع أن أوجِّه إليـه أيـة ملاحظـة. أنتـنّ تصدِّقنني، أليـس كذلـك؟ إذا ظـلَّ بغيضاً، سأضطرّ إلى بيعه لجزّار...

سألت دلفين:

- إلى جزار؟ ولماذا تفعل؟

- ما هذا السؤال! لأكله بكلّ بساطة!

أخذَت دلفين تنتحب، ومارينيت تحتجّ قائلة:

- نأكل الثور الأبيض؟ ولكنني لا أريد أن آكله.

قالت دلفين:

- ولا أنا. لن نأكل ثوراً لأنّ مزاجه متعكِّرٌ أو لأنه حزين.

- ربما يجب أن نواسيه؟

- بالتأكيد! على أية حال لا يحقّ لأحد أكله!

- ولن يأكله أحد!

حيـن رأت الصغيرتـان بوضـوح الخطـر الداهـم المحـدق بصديقهمـا، راحتا تضجّـان كالعفاريت، تصرخـان، وتضربان الأرض بأقدامهما، وتنتحبان، فصاحَ الأب بصوتٍ غاضب:

- اسـكتا أيتهـا الثرثارتان! هذه الأمور ليسـت من شـأن الفتيات الصغيـرات. الثور العنيـد لا يصلح إلّا للأكل. وثورنـا إنْ لم يعُد إلى رُشده، سيؤكَل كما يستحقّ!

حين خرجت الصغيرتان، قـال لزوجته أيضاً، لكن وهو يضحك وقد هدأ غضبه:

- لو أصغَينا إليهما، لتَرَكنا جميع الحيوانات تموت بالشيخوخة. أما الثور الأبيض فلا أحسب أنّ بمقدورنا بيعه قبل مضي فترة طويلة؛ لقد أصبح هزيلاً وسيكون بيعه صفقة خاسرة. يكاد الفضول يقتلني لأعرف سَبَبَ هزاله إلى هذا الحدّ. ويُخالجني شكّ دائم أن الأمر غير طبيعي.

في تلك الأثناء، هرعت دلفين ومارينيت إلى الحظيرة لتخطِرا الثور البائس الذي كان يقرأ في كتاب النحو. حين رآهما، أغمضَ عينيه وتلا من دون أيّ خطأ قاعدة المفعول به كلّها رغم صعوبتها.

صادرت مارينيت كتاب النحو وركَعَت دلفين على ركبتيها فوق حصيرة القش:

- أيها الثور، يبدو أنك إذا بقيتَ تسحَب المحراث بشكلٍ موارب، ستُباع.

- وماذا يهمّني يا بنية؟ في هذا الشأن أتّفق تماماً مع رأي لافونتين: «عدونا هو معلمنا».

ووجدته الصغيرتان أنّه غير لطيف، لأنه في نهاية المطاف مَدين لهما على الأقل ببضع كلمات أسف. وعلَّق الأصهب الضخم:

- انظرا إلى حاله، لم يعُد يهتم الآن لأهلٍ أو أصدقاء.

وأردَفَ الآخر قائلاً:

- وماذا يهمّني إنْ باعوني؟ الخطَر الوحيد الذي قد أواجهه هو أن لا يقدِّروني هناك أكثر ممّا يقدّروني هنا.

قالت دلفين له:

- أيها الثور المسكين سيبيعونك للجزار.

وأضافت مارينيت التي استاءت من جحوده:

- حتى تؤكَل. ستؤكَل، وسيكون هذا بسبب خطئنا، فنحن مَن دفعناك إلى التعلّم. لأنه لا بد من الاعتراف بذلك: التعلّم هو الذي جعلكَ لا تُحتَمَل. وإذا أردتَ أن لا تؤكل، عليك أن تنسى كلّ ما تعلّمته.

تنهَّد الأصهب الضخم:

- سبقَ أن قلتُ إنّ هذا كلّه لا يفيد الثيران شيئاً. فلم يشَأ أحد أن يصغي إليّ.

رازَه رفيقه من رأسه حتى قدميه وأجابَ بجفاف:

- أجل، أيها السيد، احتقرتُ نصائحك كما أحتقرها اليوم. واعلَم أنني لستُ نادماً على شيء، وأمّا بشأن نسيان ما تعلمته، فإني أرفض. رغبتي الوحيدة وطموحي الوحيد هو أن أتعلّم أكثر ودوماً. أفضِّل الموت على رفض التعلم.

أجاب الأصهب الضخم بودٍّ بدلَ أن يغضب:

- إنْ مُتَّ، سأحزَن، كما تعرف.

- أجل، أجل، تقول هذا، ولكنك في العمق...

وتابع الأصهب الضخم:

- ناهيـك عن أنّ ذلك لن يكون ممتعاً لك. ذات يوم مرَرت في المدينة من أمام محلّ جزار، فشاهدتُ ثوراً معلّقاً من فخذه وبطنه مفتوح. كان رأسه موضوعاً بجانبه على طبق. كانوا قد سلَخوا جلده، وكان الجزار يقطع شـرائح من جسده المدمى. إلى هناك سيودي بكَ تعليمك إنْ لم تأخُذ حَذَرَك.

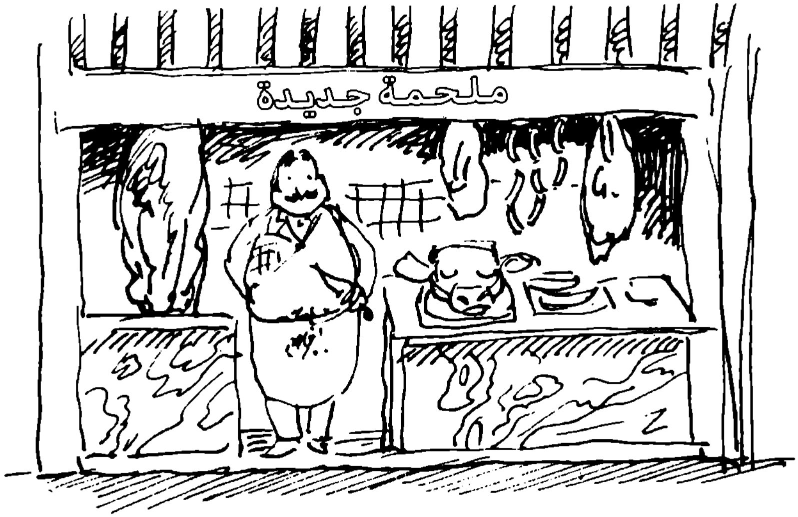

لم يكُن الثور الأبيض يتمنى الموت على الإطلاق. ورغم دفاعه عن رأيه فقد مالَ إلى رأي الصغيرتين. قالتا له:

- أيها الثور، إنّ خطاب السيد نائب المحافظ لم يكُن موجّهاً إلى الثيران. ولو أننا فكّرنا، لعلَّمناك بعض الألعاب: مثل اليد الساخنة، واضرب الخلد، ولعبة الغميضة، ولعبة الدمية، ولعبة القط المتربّص.

احتجّ الثور الأبيض:

- لا، رغم كلّ شيء. فالألعاب للأطفال.

قال الثور الأصهب الضخم وقد افترّ عن أسنانه ضاحكاً:

- أمّا أنا، فيبدو لي أنني أحبّذ اللعب. حسنٌ، لعبة اضرب الخلد مثلاً، أو القطّ المتربّص، مع أني لا أعرفها، لكنها مسلِّية بالتأكيد.

وعَدَته الصغيرتان أن تعلِّماه اللعب، وأقسَمَ الثور الأبيض أن يثابر في المستقبل على عمله في الأرض وأن لا يبدر عنه في حضرة سيده أيّ شرود.

وطوال أسبوع، امتنع الثور الأبيض عن أيّ نوع من القراءة، لكنه شعَرَ بتعاسة فائقة وازدادَ هزالاً وخسر من وزنه في ثمانية أيام سبعاً وعشرين ليبرة وثلاثة هكتوغرامات، وهو وزن كبير حتى بالنسبة إلى ثور. أدركت الصغيرتان أنه لا يمكنه الاستمرار على مثل هذا النظام الغذائي، فأعادتا له بعض الكتب واختارتا أكثرها إضجاراً: بحثٌ حول صناعة المظلّات ومؤلفٌ قديم جداً عن علاج الروماتيزم. وجدهما الثور شيّقين فلم يكتفِ بإعادة قراءتهما، وإنما حفظهما أيضاً عن ظهر قلب. وقال للصغيرتين حين انتهى منهما: «أعطياني غيرهما» واضطرّتا إلى الاستجابة لطلبه. ومنذ ذلك الحين

عاوَدَه شغفه المشؤوم بالدراسة ولم يستطِعْ أيّ شيء أن يردعه عنه، لا الهلاك في حانوت جزار ولا غضب السيد ولا الاحتجاجات الودِّية للأصهب الضخم الذي تغيَّر هو أيضاً تغيّراً ملحوظاً خلال بضعة أسابيع.

أَمِلَت دلفين ومارينيت أن يحاول الثور العالِمُ الاستمتاع بألعاب اضرب الخلد، والأعين المعصوبة، والقط المتربص، فعلَّمتاها للأصهب الضخم الذي تسلّى بها أيّما تسلية، وحتى أكثر من المعقول بالنسبة إلى ثور في مثل سنّه، لأنّ مزاجه كان يطيش، فيضحك لأيّ سبب ومن دون سبب. وهذا ما جعل منهما زوجاً من ثورين متنافرين، فازداد عدد المشاجرات بينهما. كان الثور الأبيض يقول بنبرة صارمة وهو يرمق رفيقه بنظرة حزن:

- لا أفهم، لا أفهم...

فيُقاطعه الأصهب الضخم:

- لا، دعني أضحك، هذا أقوى مني، يجب أن أضحك.

- لا أفهم كيف يستطيع المرء أن يتخلى عن جديته وكرامته إلى هذا الحدّ. حين أفكر أنّ مساحة المستطيل هي حاصل ضرب الطول بالعرض، وأنّ نهر الرين ينبع من جبال سان-غوتار، وأن شارل مارتل هزم العرب في عام 732، فإنه يسوؤني أن أرى ثوراً في السادسة من عمره ينغمس في ألعاب حمقاء ويتجاهل عن عَمد روائع...

وكان الأصهب الضخم يصرخ وهو يتلوى بضحكٍ هستيري:

- ها! ها! ها!

- أبله! لو كان لديك ذرة عقل لتسلّيت بهدوء دون أن تزعجني في عملي. هل ستخرس؟

- اسمع يا عزيزي، دَعْ كتبك للحظة ولنلعب نحن الاثنين...

- ها أنتَ تصبح مجنوناً! كأنّ لدي وقت حتى أخصّصه...

- لعبة طار الحمام، ربع ساعة فقط... خمس دقائق فقط...

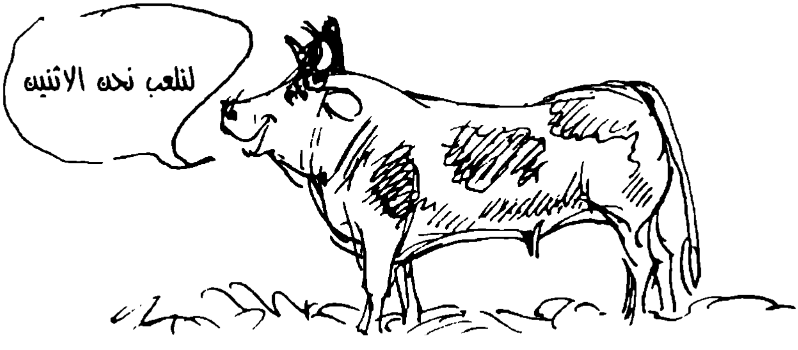

كان الثور الأبيض يرضَخ أحياناً، بعد أن يقطع الآخر على نفسه وعداً أن يتركه يدرس في سلام. ولكنه بسبب انشغال ذهنه الدائم،

كان يلعب بشكلٍ سيئ ويتعثّر طوال الوقت. وكان يحدث أن ينزعج منه الأصهب الضخم ويغضب فعلاً متهماً إياه أنه يتعمّد سوء اللعب.

- في كلّ مرة أقبض عليك ومن اللحظة الأولى. فأنتَ لا تعرف ما معنى منزل، أنت العالِم الكبير؟... إن كنت تعرف، فلماذا تقول «طار المنزل»؟ آه! ليس لديك فطنة، على ما أرى...

وكان رفيقه يردّ:

- أنا أكثر فطنة منك، ولكنني لا أستطيع الاهتمام بحماقات وأنا فخور بذلك.

وكانت ألعابهما تنتهي في أغلب الأحيان بتبادل الشتائم، إن لم يكُن بالرفسات.

قالت لهما مارينيت وقد فاجأتهما ذات مساء وهما يتشاجران:

- أهذا هو أسلوبكما؟ ألا تستطيعان التحدّث بتهذيب؟

- هو المخطئ. أجبَرَني أن ألعب لعبة طار الحمام.

- لكن لا، لا توجد طريقة للمزاح معه.

ولم يعُد أحدهما يطيق الآخر، وشكَّلا أسوأ زوج ثيران في الحراثة يمكن أن تراه عينان. وازدادَ شرود الثور الأبيض، وصار يمشي إلى الخلف حين يجب عليه التقدّم إلى الأمام، ويشدّ إلى اليمين بدل أن يشدّ نحو اليسار، أمّا رفيقه فراح يتوقّف عن العمل كلّ لحظة ليَضحك بانشراح، أو يلتفت نحو سيده ويحزره حزورة:

- أربع قوائم على أربع قوائم، أربع قوائم تذهب، وأربع قوائم تبقى. ما هو هذا الشيء؟

- هيّا، لسنا هنا لنتحامق. هوو!

ويقول الأصهب الضخم ضاحكاً:

- طبعاً، أنت تقول هذا لأنَّك لم تعرف الجواب.

- أنا؟ لا أريد حتى أن أبحث عنه. هيا إلى العمل!

- أربع قوائم على أربع قوائم، هيا، ليس صعباً...

وكان السيد يضطرّ إلى وخزه بعصاه حتى يستأنف عمله، فيتوقف عندئذٍ الثور الآخر ليتساءل هل صحيح أنّ الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين، أو أنّ نابليون هو أعظم قائد على مرّ العصور (في بعض الأيام كان يقرِّر أنَّه قيصر). وراحَ المزارع يتأسّف لرؤية ثورَيه وقد أصبحا عاملين سيئين، أحدهما يشدّ ذات اليمين والآخر ذات الشمال. وكان يحدث له أحياناً أن يستغرق الصباح كله في فلاحة خطّ ويضطرّ إلى إعادته بعد الظهر. وراح يقول في منزله:

- سيُفقدني هذان الثوران صوابي. آه! لو أستطيع بَيعهما فقط... ولكن لا أمل في بيع الأبيض، فهو يزداد هزالاً، ومن جهة أخرى إذا تخلّصتُ من الأصهب الضخم الذي أصبح لا يُطاق، فماذا سأفعل بثورٍ واحد؟

وكان شيء من الندم يخالج دلفين ومارينيت حين تسمعان هذا الكلام، ولكنهما تتبادلان التهاني لأنّ أياً من الثورين لن يُباع

إلى الجزار. لم تكونا تعرفان أنّ الثور الأبيض سيفسد كلَّ شيء لأنه لا يستطيع أن يُمسك لسانه.

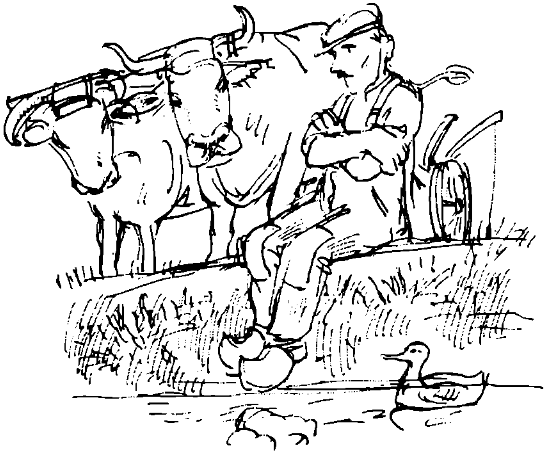

ذات مساء، وبعد العودة من الحقول، كان الأصهب الضخم يلعب مع الصغيرتين لعبة القط المتربص في فناء المزرعة. وإذا صحّ القول، لم يكُن يتربص في قاع جرن أو فوق سلم أو على سطل غسيل. كان أضخم من أن يستطيع فعل هذا. لكنهم وافقوا له على الاكتفاء بوضع رجله فقط في مكان التربّص. كان السيد يعتبر هذا اللهو بلا فائدة. وبينما كان الأصهب الضخم يمثِّل وضعية التربّص على حافة فوهة البئر، جذَبَه السيد من ذنبه بقسوة وقال له غاضباً:

- هل انتهيتَ من شيطناتك؟ انظرا قليلاً إلى هذا الأخرق الضخم، بماذا يلهو!

قال الثور:

- ما الأمر، لم يعُد بمقدورنا الآن حتى اللعب؟

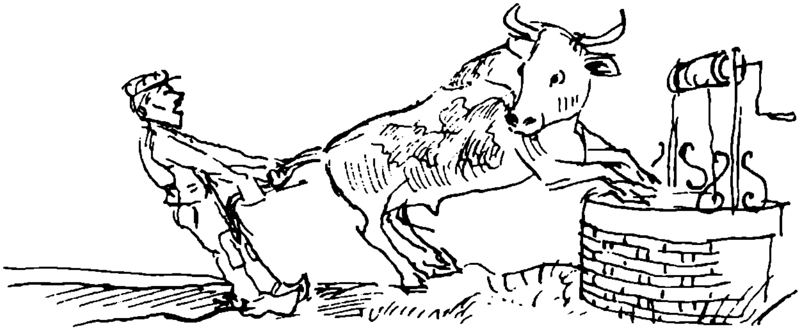

- سأسمَح لك باللعب حين تعمل كما يجب. هيّا اذهبْ إلى حظيرتك.

ثم لاحظ الثور الأبيض وهو يُجري تجربة فيزيائية في جرن حجري شرب منه قبل قليل وقال:

- وأنت، أنصحك أيضاً بمزيد من المثابرة، وسأجدُ وسيلة مناسبة لإجبارك على ذلك. وريثما يحدث هذا، عُدْ أيضاً إلى حظيرتك، هل من خصالك التخبّط في الماء كما تفعل؟ هيا انصرف!

غضب الثور الأبيض لأنه قطَعَ عليه تجربته، وشعَرَ بالإهانة لأنه حدَّثه بمثل هذه اللهجة، فردّ:

- أنا أقبَل أن تُخاطِب بهذه القسوة ثوراً جاهلاً مثلَ رفيقي. فهذا النوع لا يَفهم فعلاً لغة أخرى. لكن ما هكذا يُعامَلُ ثورٌ مثلي، ثور متعلِّم...

اقتربت الصغيرتان، وراحتا تومئان بحركات مبالغة أن يُمسكَ لسانه، ولكنه استطرد قائلاً:

- ثور متعلِّم، اطَّلَعَ على العلوم والآداب والفلسفة.

- كيـف؟ لكننـي لـم أكُن أعـرف أنـك عالمٌ إلـى هذا الحـدّ أيها الثور.

- ومع ذلك، هذه هي الحقيقـة. لقد قرأتُ من الكتب أكثر ممّا قرأتـه في حياتك كلها أيُّها السـيد وأعرف من الأمـور أكثر ممّا تعرفه عائلتك كلّها مجتمعة. ولكن هل تجد أنه من المناسب لثورٍ له ميزتي أن يُجبَـر علـى القيـام بأعمـال الفلاحة؟ وفكِّر يا سـيدي، هـل مكان الفلسفة هو أمام المحراث؟ أنت تلومني لأنني أقوم بعمل سيئ في الحقول، لكن ذلك لأنني خُلِقْتُ لإنجاز أعمال أخرى أهمّ.

أصغـى السـيد إليـه بانتبـاه، وراح يهزّ رأسـه من حيـن إلى آخر. وبينما هو يفكر أنّ عليه أن يغضب، وأنّ غضبه سينفجر حين يُفصِح الثـور عن جميـع مكنوناته، خافَت الصغيرتـان، ولكنهما فوجئتا حين قال له:

- لمـاذا لـم تُخبِرْني بذلك مـن قبل أيها الثور؟ لـو كنتُ أعرف، لمـا أجبرتكَ على عملِ الحراثة المنهِك: إنني أكنّ احتراماً فائقاً للعلم والفلسفة.

قال الثور:

- والآداب، يبدو أنك نسيت الآداب.

- طبعـاً، والآداب أيضاً. لكن هيـا، انتهى هذا الأمر وأريدك من الآن فصاعـداً أن تبقـى فـي البيـت لتُنجـزَ دراسـاتك في هـدوء تامّ. ولا أريد أن تتجنى أوقات القراءة والتأمّل على وقت نومك.

- نِعْمَ السيد أنت. كيف أكافئك على كَرَمك؟

- بأن تعتني جيداً بصحتك. أحبّ أن أرى للآداب والعلوم والفلسفة وجهاً مكتنزاً. لذلك لا تشغل بالك إلّا بالدراسة والأكل والنوم. وسيعمَل الأصهب الضخم عملَ ثورين.

ولم ينفكّ الثور يشيد بسيده ويمتدح ذكاءه النادر وتَباهَت الصغيرتان بأبيهما، ولم يبقَ إلّا الأصهب الضخم الذي لم يجد في هذا القرار ما يستحقّ التهنئة. وفي الحقيقة، سرعان ما تآلف مع النظام الجديد، ومع أنه لم ينجِز عمله بطريقة مُرضِيَة تماماً، إلّا أنه صارَ أقل سوءاً ممّا كان عليه حين كان رفيقه في النير يحبط جهوده بسبب شروده وسوء نيته.

أمّا الثور الأبيض، فيمكننا القول أنه عاش في سعادة غامرة. اتّجه كلياً إلى دراسة الفلسفة. وبما أنه حَظِيَ بأوقات فراغ قدرَ ما يشاء، وتوفَّر لديه علف ممتاز، فقد أصبحت تأمّلاته هادئة. وراح يسمن في اطِّراد وتَحَسَّنَ مظهره. شكَّل لنفسه فلسفة رائعة، وحين لاحَظ سيده أن وزنه زاد عن الخمسة وسبعين كيلوغراماً، قرَّر أن يبيعه لجزار مع الأصهب الضخم. ولحُسن الحظ أنه يوم قادهما إلى المدينة، جاء سيرك كبير ونصَبَ خيمته في الساحة الرئيسة. ولمّا مرَّ صاحب السيرك قربهم، سمِعَ الثور الأبيض يتحدّث بكلام متميز في العلم والشعر. وفكر أن ثوراً متعلماً لن يضيره في سيركه، واقترح على الفور ثمناً مغرياً. وشعر الأصهب الضخم بالندم لأنه لم يدرس وقال:

- خُذْني أنا أيضاً، صحيح أنني لستُ عالماً، ولكنني أعرف بعض الألعاب المسلية وأستطيع إضحاك الجمهور.

قال الثور الأبيض:

- خذه، إنه صديقي، ولا يمكنني أن أفترق عنه.

وبعد لحظات من التردّد، وافَقَ صاحب السيرك أن يشتري الأصهب الضخم، ولم يندم على ذلك، لأنّ الثورين حقّقا نجاحاً باهراً. وفي اليوم التالي، جاءت الصغيرتان إلى المدينة وصفَّقتا لصديقيهما بعد مشهدهما الجميل. وخالجهما شيء من الحزن وهما تفكران أنهما تريان صديقيهما للمرة الأخيرة، وحتى الثور الأبيض نفسه، الذي لم يكُن يروم إلّا السفر ليتعلَّم أكثر، لم يستطِعْ كبحَ دموعه.

اشترى الأبوان زوجاً آخر من الثيران، ولكن الصغيرتين حاذرتا من تعليمهما القراءة، لأنهما أصبحتا تعرفان الآن حقّ المعرفة أنّ الثيران لن تكسب شيئاً من التعلُّم إن لم تجد لها مكاناً في سيرك، وأنّ أفضل القراءات قد تجلب لهم أسوأ المشكلات.

المسألة

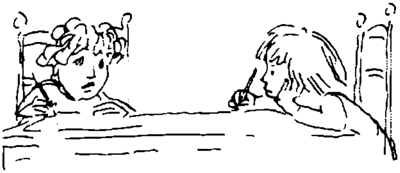

أسـنَدَ الأبوان أدواتهما إلـى الجدار، ودفعا البـاب، وتوقّفا على عتبـة المطبـخ. كانت دلفيـن ومارينيـت توليـان لهما ظهريهمـا، وقد جلسـتا جنباً إلى جنب، وأمامهما دفتر المسـودة. كانتا تمصّان رأسَـي قلَمَيهما وتؤرجحان سيقانهما تحت الطاولة. سأل الأبوان:

- ماذا؟ هل نجحتما في حلّ المسألة؟

احمرَّت الصغيرتان. وسـحبتا القلمين مـن فميهما. أجابت دلفين بصوتٍ بائس:

- ليس بعد. إنها مسألة صعبة. المعلِّمة أخبَرَتنا بذلك.

- ما دامت المعلِّمة أعْطَتها لكما، هذا يعني أنّ بوسعكما حلّها. ولكن المشـكلة معكما هي دوماً ذاتها. عند التسلية، لا تتأخّران أبداً، أمّـا عنـد العمـل، فلا أحـد، ولا ذرّة عقل. لكـن يجـب أن تتغير هذه الحـال. انظرا إلى بلهاءان كبيرتان في سـنّ العاشـرة. ولا تسـتطيعان حلّ المسألة.

قالت مارينيت:

- نحن نبحث عن الحلّ منذ ساعتين.

- حسن! ستبحثان أيضاً. ستمضيان عصر هذا الخميس في البحث، ولكن يجب أن تكون المسألة محلولة هذا المساء. وإذا لم تُحلّ، آه! إنْ لَم تُحَلّ! اسمعا، أفضِّل ألّا أفكر في ما سيحصل لكما.

كان الوالدان غاضبين من فكرة عدم حلّ المسألة حتى المساء، وتقدَّما ثلاث خطوات داخل المطبخ. وهكذا ألفيا نفسيهما وراء ظهر الصغيرتين ومدّا عنقيهما من فوق رأسيهما، وفي البداية انعقَدَ لساناهما من شدّة الغيظ. كانت دلفين ومارينيت قد رسمتا، إحداهما دمية شغَلَت صفحة كاملة من دفتر المسودات، والأخرى منزلاً ينبعث الدخان من مدخنته، وبركة تسبح فيها بطة، وطريقاً طويلاً في نهايته موزّع بريد مُقبل على دراجته. انكمَشَت الصغيرتان على كرسيهما وخافتا. أخذ الوالدان يصرخان قائلين إنّ هذا لا يُصدَّق، وأنهما لا يستحقّان أن يُرزَقا بمثل هاتين البنتين. وراحا يذرعان المطبخ بالخطى وهما يرفعان أذرعتهما ويتوقفان من حين إلى آخر

حتى يخبطا الأرض بأقدامهما. أثارا ضجّة كبيرة فأيقَظا الكلب النائم تحت الطاولة عند أقدام الصغيرتين وجاء ينتصب أمامهما. كان كلب حراسة يحبّهما حباً جماً، ولكنه يحبّ دلفين ومارينيت أكثر. قال:

- هيا أيها الأبوان، لستما معقولين. ليس الصراخ ولا خبط الأقدام ما يقودنا إلى حلّ المسألة. وبادئ ذي بدء، ما جدوى البقاء هنا لحلّ المسائل إذا كان الطقس رائعاً في الخارج؟ سيكون من الأفضل لهاتين الصغيرتين المسكينتين أن تلعبا.

- هكذا إذاً. وفيما بعد، حين تبلغان العشرين من عمرهما وتتزوجان، ستكونان غبيتين ويسخر زوجاهما منهما.

- ستعلّمان زوجيهما لعب الكرة وقفزة الخروف. أليس كذلك أيتها الصغيرتان؟

قالت الصغيرتان:

- أوه! أجل.

هتف الوالدان:

- اسكتا، أنتما! وإلى العمل. يجب أن تخجلا. حمقاوان كبيرتان ولا تستطيعان حلّ مسألة.

قال الكلب:

- أنتما تقلقان أكثر ممّا ينبغي. إذا لم تستطيعا حلّ مسألتهما، حسنٌ! هذا يعني أنهما لا تستطيعان. الأفضل تقبّل الأمر، وهذا ما أفعله.

- بدل أن تضيِّعا وقتهما في خربشات... لكن كفى. لسنا مضطرين لتقديم جردة حساب إلى الكلب. لننصرف. وأنتما، حاولا ألّا تتسليان. إن لم تحلّا هذه المسألة هذا المساء، فوا أسفاه عليكما.

عند هذه الكلمات، غادر الأبوان المطبخ، أخذا أدواتهما وذهبا إلى الحقول ليعزقا البطاطا. وراحت دلفين ومارينيت تنتحبان وهما تنكبّان على دفتريهما. وجاء الكلب وانتصب بين كرسييهما ووضع قائمتيه الأماميتين على الطاولة ولعق خديهما عدة مرات.

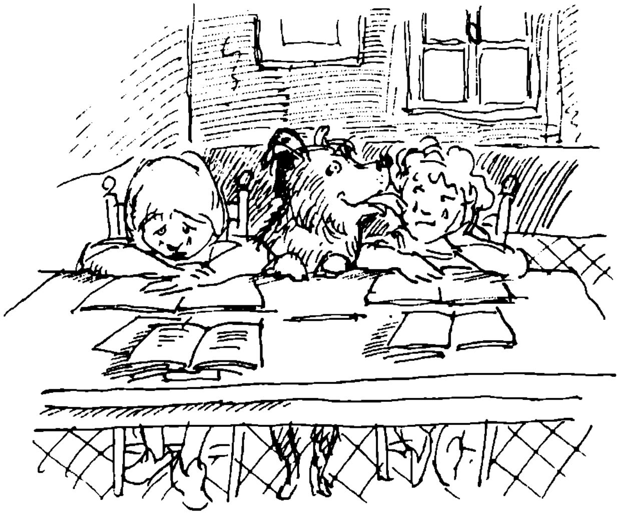

- هل هذه المسألة صعبة فعلاً إلى هذا الحدّ؟

تنهّدت مارينيت:

- لو أنها صعبة! لهانَ الأمر. لا نفهم منها شيئاً.

قال الكلب:

- لو كنت أعرف نصّها، لربما خطرَت لي فكرة.

اقترحت دلفين:

- سأقرأ عليك نصها: «تمتد غابة البلدية على مساحة ستة عشر هكتاراً. فإذا علمنا أنّ الآر الواحد مزروع بثلاث سنديانات وشجرَتي زان وشجرة بتولا واحدة، فكم تحوي غابة البلدية من كلّ نوع من الأشجار المذكورة؟».

قال الكلب:

- أوافقكما الرأي. هذه ليست مسألة سهلة. وبادئ ذي بدء، ما هو الهكتار؟

قالت دلفين باعتبارها البكر والأكثر معرفة:

- لا نعرف بالضبط. الهكتار يشبه تقريباً الآر ولكنني لا أعرف أيهما أكبر. أظن أنه الهكتار.

احتجّت مارينيت:

- لكن لا، الآر هو الأكبر.

قال الكلب:

- لا تتشاجرا، لا يهم إنْ كان الآر أكبر أو أصغر. الأولى بنا أن نهتم بالمسألة. لنر: «تمتد غابة البلدية على مساحة...».

وبعد أن حفظ النصّ عن ظهر قلب، فكر فيه مطولاً. راح يحرك أذنيه أحياناً، فينتعش شيء من الأمل لدى الصغيرتين، ولكنه اضطرّ إلى الاعتراف بأنّ جهوده فشلت. قال:

- لا تيأسا، مع أنّ المسألة صعبة، سنتغلب على العقبات. سأجمع الحيوانات في المنزل. وسنتوصل نحن جميعاً إلى إيجاد الحلّ.

قفز الكلب من النافذة وصادف الحصان يرعى في المرج فقال له:

- تمتد غابة البلدية على مساحة ستة عشر هكتاراً.

قال الحصان:

- هذا ممكن جداً. ولكني لا أرى ما يهمني في هذا الأمر.

شرح له الكلب معاناة الصغيرتين، فأبدى على الفور قلقاً بالغاً وأيد رأي الكلب في عرض المسألة على حيوانات المزرعة. توجّه إلى الفناء، وبعد أن صهل ثلاث مرات، راح يرقص الكلاكيت بحوافره الأربعة على ألواح العربة الخشبية، فتقرقع كأنها طبل. ولبى نداءه من كلّ حدب وصوب الدجاج والبقرات والثيران والأوز والخنزير وذكر البط والقطط والديك والعجول وتحلّقوا على شكل نصف دائرة في ثلاثة صفوف أمام المنزل. وقف الكلب بين الصغيرتين على النافذة، وبعد أن شرح لهم ما المطلوب منهم، أعطاهم نصّ المسألة:

- تمتدّ غابة البلدية على مساحة ستة عشر هكتاراً.

وطفقَت الحيوانات تفكِّر بصمت، وراح الكلب يتلفّت نحو الصغيرتين غامزاً بعينيه ليُفهِمَهما أنه مفعم بالأمل. ولكن سرعان ما سادَ بين الحيوانات هرج ومرج محبط. وحتى ذَكَر البطّ ذاته، المعوّل

عليـه في مثل هذه الحالات، لم يتوصّل إلى شـيء وشَـكَت الإوزّات من صداع في الرأس. وقالت الحيوانات:

- هذه مسـألة بالغة الصعوبة. ليست مسـألة لنا. نحن لا نفهم شيئاً فيها. وسننسحب منها.

هتف الكلب:

- أنتُم لسـتم جادّين في ذلك. لن تتركوا الصغيرتين في ورطة. فكّروا مرة أخرى.

وتذمّر الخنزير:

- لماذا نوجع رؤوسنا، ما دام ذلك بلا فائدة.

قال الحصان:

- طبعاً، فأنت لا تريد أن تفعل شيئاً من أجل الصغيرتين. أنتَ تقف في صفّ الأبوين.

- هذا غير صحيح! أنا مع الصغيرتين. لكنني أعتبر مسألة كهذه...

- اصمت!

واستأنفَت الحيوانات البحث عن حلّ لمسألة الغابة، ولكنها لم تتوصّل إلى نتيجة كما في المرة الأولى. واشتدّ صداع الإوزات. وبدأت البقرات تنعس. أمّا الحصان، ورغم نيّته في المساعدة،

انهمَكَ في التسلية، وراح يتلفّت يُمنة ويسرة. وبينما كان ينظر صوب المرج، رأى في الفناء دجاجة صغيرة قادمة. فقال لها:

- ألا تستعجلين إذاً؟ ألم تسمعي إشارة الاجتماع؟

أجابت بلهجة جافة:

- كنت أضع البيض. وآمل أنكم لا تنوون منعي عن أن أبِيْض.

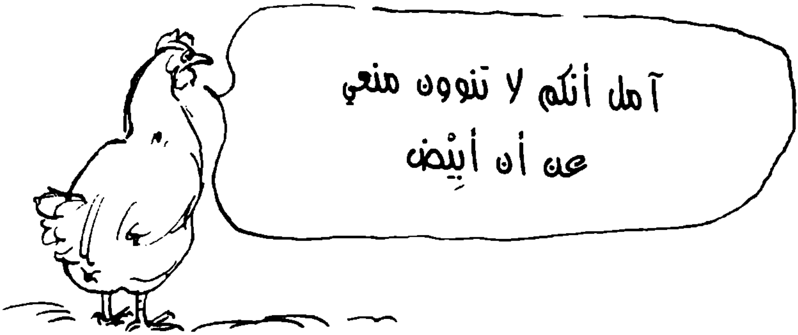

دخلت إلى حلقة الحيوانات، وبعد أن وجدت لها مكاناً في الصف الأول بين الدجاجات الأخريات، سألت عن سبب الاجتماع. ولم يرَ الكلب، الذي بدأ الإحباط يتسلَّل إليه، أن من المفيد إخبارها. لم يكُن مقتنعاً أنّ بوسعها النجاح فيما فشل فيه الآخرون. وبعد استشارة دلفين ومارينيت بشأنها، قرَّرتا إطلاعها على المسألة. وبدأ الكلب شروحاته، وتلا مرة أخرى نصّ المسألة:

- تمتد غابة البلدية على مساحة ستة عشر هكتاراً...

حين انتهى الكلب، قالت الدجاجة الصغيرة البيضاء:

- حسن! لا أرى ما يعيقكم. يبدو لي الأمر في غاية البساطة.

تورَّد خدّا الصغيرتين من الانفعال وراحتا تنظران إلى الدجاجة نظرة أمل. مع ذلك، تبادلت الحيوانات الأفكار، ولم تكُن جميعها مرحِّبة.

- لم تجد شيئاً. تريد أن تجعل نفسها محطّ اهتمام. لا تعرف شيئاً أكثر منّا. فكِّروا، إنها مجرّد دجاجة صغيرة.

قال الكلب:

- هيّا دعوها تتكلّم. اصمتْ أيها الخنزير، وأنتنَ أيتها البقرات، اصمتنَ أيضاً. هيا، ماذا وجدتِ؟

أجابت الدجاجة البيضاء الصغيرة:

- أكرِّر لكم أن المسألة في غاية السهولة ويُدهشني أن أيّاً منكم لم يفكِّر فيها. غابة البلدية قريبة من هنا، والطريقة الوحيدة لمعرفة عدد أشجار السنديان والزان والبتولا فيها، هي أن نذهب جميعاً ونعدّها. أنا واثقة من أننا لن نحتاج أكثر من ساعة للوصول إلى النتيجة.

هتف الكلب:

- رائع!

وصرخ الحصان:

- رائع!

أمّا دلفين ومارينيت فقد عقدت الدهشة لسانيهما. قفزتا من النافذة وقرفصتا أمام الدجاجة البيضاء الصغيرة وداعبتا ريشها، ريشُ صدرها وظهرها. راحت تحتج بتواضعٍ أن لا شيء يستحق

الشكر. وتدافعت الحيوانات حولها يمتدحونها. ولم يستطِعْ حتى الخنزير، الذي شَعَرَ بشيء من الغيرة، أن يخفي إعجابه. فقال: «لم أكُن أظنّ أنّ هذه الصغيرة تتمتع بمثل هذه القدرة».

وبعد أن أنهى الحصان والكلب المدائح، اجتازت دلفين ومارينيت الطريق واتجهتا إلى الغابة تتبعهما جميع حيوانات المزرعة. وهناك، ترتَّب تعليم كلّ واحد تمييز أشجار السنديان والزان والبتولا. ثم قسمت غابة البلدية إلى قطاعات بعدد الحيوانات، أيّ اثنتين وأربعين (دون احتساب الصيصان وفراخ الإوز وصغار القطط وأبناء الخنازير، وقد عهدَ لهؤلاء أمر الاهتمام بعدّ الفراولة ونباتات الزنبق البري). اشتكى الخنزير أنهم أعطوه ركناً سيئاً لم تكن أشجاره باسقة كما في الأماكن الأخرى. وراح يتذمَّر

أنّ جـزء الغابـة المخصَّص للدجاجة البيضـاء الصغيرة كان يجب أن يُكَلَّف به. فقالت له:

- لا أعرف يا صديقي المسكين لماذا تحسدني على ركني، ولكن ما أعرفه هو أنّ الناس مُحقّة تماماً بقولها غبي مثل الخنزير.

- حمقاء صغيرة. تنفشـين ريشـك لأنـك وجدتِ حلاً للمسـألة، لكن هذا الحلّ كان في متناول الجميع.

- وهـل أقـول العكـس؟ مارينيـت، أعطـي قطاعي لهذا السـيد واختاري لي قطاعاً آخر بعيداً أكثر ما يمكن عن هذا الشخص الفظّ.

أرضتهمـا مارينيـت وانصرف كلّ واحـد منهما إلى عملـه. وبينما راحت الحيوانات تعدّ أشجار الغابة، أخذت الصغيرتان تنتقلان من قطاعٍ إلى آخر وتتلقّيان الأرقام وتسجِّلاها على دفتريهما. قالت إوزة:

- اثنتان وعشرون شجرة سنديان، ثلاث أشجار زان، أربع عشرة شجرة بتولا.

وقال الحصان:

- اثنتـان وثلاثـون شـجرة سـنديان، وإحدى عشـرة شـجرة زان، وأربع عشرة شجرة بتولا.

ثـم واصلا العـدّ ابتداءً مـن الواحد. كان العمل يتقدم بسـرعة وبدا أن كلّ شيء يجري بلا عائق. انتهى عدّ ثلاثة أرباع الأشجار وكان الحصـان وذكر البـط والدجاجة البيضاء الصغيرة قـد أنجزوا عملهم حين انطلق زعيقٌ من أعماق غابة البلدية وسُمِعَ صوت خنزير ينادي:

- النجدة! دلفين! مارينيت! النجدة!

هرعت الصغيرتان تركضان باتجاه الصوت، ووصلتا لحظة وصول الحصان إلى عند الخنزير. كان هذا الأخير يرتعش على قوائمه الأربع، وهو يواجه خنزيراً برياً ضخماً ينظر إليه بعينين تقدحان شرراً ويسأله بصوت غاضب:

- أيها الأحمق، هلّا توقفت عن الصراخ هكذا؟ ماذا دهاك لتوقظ الناس الشرفاء في عزّ النهار؟ أنا سأعلّمك الحياة. حين يكون لأحدٍ رأساً مثل رأسك، عليه أن يختبئ ولا يتجوّل في الغابة. وأنتم أيها الصغار عودوا إلى وكركم.

وجَّه هذه الكلمات الأخيرة إلى نحو عشرة خنازير برية صغيرة تتدافع حول الخنزير وتلعب بين قوائمه. كان ظهرها مخططاً بشرائط طويلة فاتحة، وحجمها بحجم القطط وعيونها صغيرة ضاحكة. ولعلّ الخنزير كان مَديناً بنجاته لوجودها، لأنّ الخنزير البري لم يكن يستطيع مهاجمته من دون أن يجازف بسَحق واحد أو اثنين منها.

زمجر الخنزير البري حين رأى الحصان والصغيرتين قادمين:

- ومَن هؤلاء أيضاً؟ أقسم كأننا على طريق وطني ولم يعُد ينقصنا إلّا السيارات. بدأتُ أتعَب من هذا.

أخافت هيئته الشريرة الصغيرتين فتوقَّفتا فجأة وهما تتلعثمان بعبارات اعتذار، لكنهما سرعان ما شاهدتا الخنازير الصغيرة فنسيَتا الخنزير البري وهتفتا أنهما لم ترَيا قطّ أجمل منها. ثم انغمستا في اللعب معها ومداعبتها وتقبيلها. سُرَّت الخنازير الصغيرة لأنها وجدت مَن يلاعبها وراحت تطلق صيحات فرح وصداقة. وطفقت دلفين ومارينيت تردِّدان:

- ما أجملها. ما ألطفها. ما ألذّها.

لم يعُد الخنزير البري يُبدي هيئة شريرة. أصبحت عيناه ضاحكة مثل عيون صغاره وارتسم على محيّاه تعبير عذب. أيَّدهما قائلاً:

- صغار رائعون. طيشهم يسبِّب لنا الكثير من المتاعب، لكن كما تعرفون، هذه هي طبيعة مَن هُم في عمرهم. تزعم أمهم أنهم جميلون ولا يُغضبني أنكما توافقانها على رأيها. وبصراحة، لن أقول مثل ذلك عن هذا الخنزير الذي ينظر إليّ بهيئة حمقاء. يا له من حيوان غريب! هل يمكن أن يوجد مثل هذا القبح! لا أصدق.

كان الخنزير لا يزال يرتعش من الخوف فلم يتجرَّأ على الاحتجاج، ولكنه كان يرى نفسه أجمل من الخنزير البري وعيناه تنضحان غضباً.

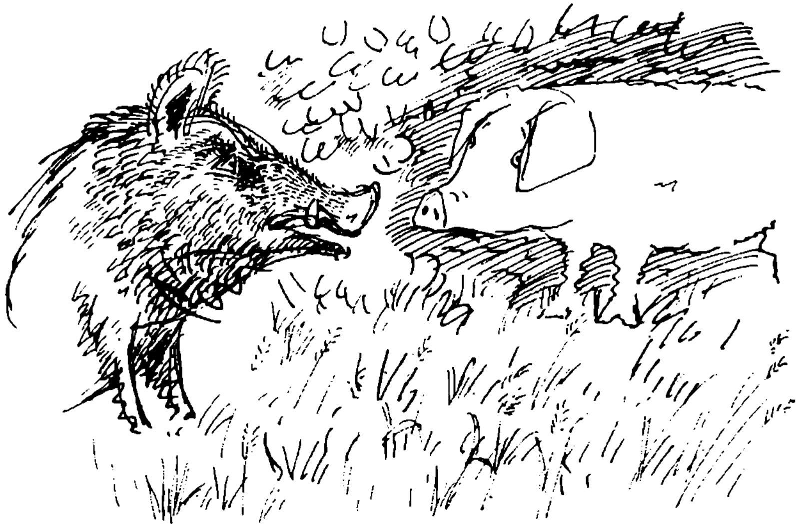

- وأنتما أيتها الفتاتان الصغيرتان، ما الذي جاء بكما إلى غابة البلدية؟

- جئنا مع أصدقائنا في المزرعة لنعدّ الأشجار. لكن الحصان سيشرَح لك. يجب علينا أن نُنهي المسألة.

وبعدَ أن قبَّلت دلفين ومارينيت الخنازير الصغيرة مرة أخرى، ابتعدتا وهما تَعِدَان بالعودة بعد قليل.

قال الحصان:

- تصوَّر، أعطت معلمة المدرسة الصغيرتين مسألة في غاية الصعوبة.

- لا أفهم جيداً. يجب أن تعذرني، فأنا أعيش منزوياً. لا أخرج إلّا في الليل وأكادُ أجهَل حياة القرية.

توقف الخنزير البري عن الكلام ليرمق الخنزير بنظرة وقال في صوتٍ عالٍ:

- ما أقبَحَ هذا الحيوان. لا أستطيع الاعتياد عليه. جلده الوردي يُثير الاشمئزاز فعلاً. لكن دعنا من الحديث عنه. كنت أقول لك إذاً إنني أعيش ليلاً وأجهَل الكثير من الأمور. مثلاً ما هي معلمة المدرسة؟ وما هي المسألة؟

شرح له الحصان ما هي معلمة المدرسة وما هي المسألة. واهتم الخنزير البري بالمدرسة كثيراً، وتأسَّف لأنه لا يستطيع إرسال صغاره إليها. لكنه لم يتفهَّم سبب القسوة البالغة لأبوَي الصغيرتين.

- هل ترى أنني أستطيع أن أمنع صغاري عن اللعب فترة العصر لأكلِّفهم بحلّ مسألة؟ لن يطيعونني. من جهة أخرى، ستُساندهم أمهم حتماً ضدي. ولكن ما هو فحوى هذه المسألة الشهيرة؟

- هذا نصها: تبلغ مساحة غابة البلدية...

حين انتهى الحصان من تلاوة النص، نادى الخنزير البري على سنجاب قفزَ للتو إلى أدنى غصن في شجرة زان. وقال له:

- اهتم على الفور بمعرفة كم شجرة سنديان وزان وبتولا في غابة البلدية. أنا أنتظرك هنا...

وسرعان ما اختفى السنجاب بين الأغصان العالية. ذهب يُخبر السناجب الأخرى، وأكَّد الخنزير البري أنه سيعود بالجواب في أقلّ من ربع ساعة. وهكذا يمكن التأكّد إنْ كان عدّ دلفين ومارينيت

صحيحاً. ظلّ الخنزير مسمّراً بين الخنازير الصغيرة، وتبيَّن فجأة أنه لم ينهِ عمله، وبما أنه لم يعُد يعرف أين وصل في العد، صار يترتب عليه أن يبدأ من جديد. وبينما كان متردِّداً فيما سيفعله، شاهَدَ ذكر البط والدجاجة البيضاء الصغيرة قادمين. فقالت له هذه الأخيرة:

- آمل أنك لستَ متعباً كثيراً. لم يكُن يجدر بك منذ قليل أن تتباهى وتتعجرف لتترك عملك. اضطررنا أنا وذَكَر البط أن نتقاسم مهمَّتك.

كان الخنزير يشعر بضيق شديد فلم يحِرْ جواباً. واستطردَت الدجاجة البيضاء الصغيرة بلهجة جافة:

- لا تعتذر. ولا تشكرنا أيضاً. هذا غير ضروري.

قال الخنزير البري:

- حتماً. فهو لديه كلّ شيء. إنه قبيح وجلده وردي وكسول.

وفي تلك الأثناء، أحاطت الخنازير الصغيرة بالقادمين الجديدين وأرادت أن تلعب معهما، لكن الدجاجة البيضاء الصغيرة

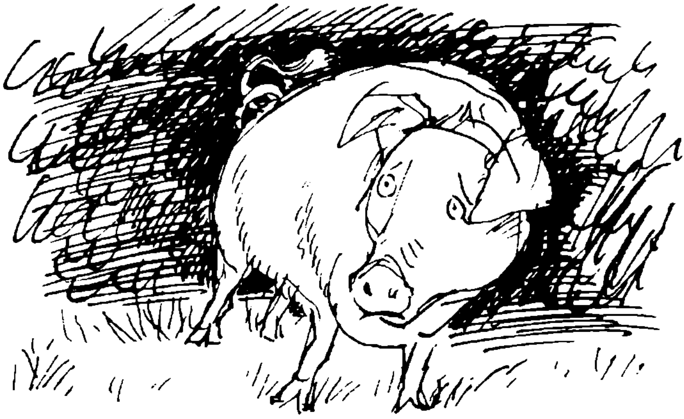

لـم تكُن تحبّ مخالطـة الآخرين فَرَجَتْهُم أن يَدَعوها وشـأنها. وحين ألحّـوا وراحـوا يدفعونهـا برؤوسـهم، أو يضعـون قوائمهـم علـى ظهرهـا، جثمَت فوق غصن شـجرة بنـدق. وجاءت دلفيـن وماريـنيت تتبعهمـا حيوانـات المزرعـة الأخـرى لتأخـذا الأرقـام التـي يفتـرض بالخنزيـر أن يزوِّدهما بها. لكن ذكر البط والدجاجة البيضاء الصغيرة همـا مَن قدَّماهـا. ولـم يعُد أمامهمـا إلّا إجـراء ثلاث عمليـات جمع. وأعلنت دلفين بعد بضع دقائق:

- فـي غابة البلديـة، توجد ثلاثة آلاف وتسـعمئة وثماني عشـرة شجرة سنديان، وألف ومئتان وأربع عشرة شجرة زان، وألف وثلاثمئة واثنتان من شجرة البتولا.

قال الخنزير:

مكتبة
t.me/t_pdf

- هذا ما كنتُ أظنه.

شكرت دلفين الحيوانات على عملها الدؤوب وبشكل خاص الدجاجة البيضاء الصغيرة لأنها فهمت المسألة ووجدَت الحلّ. تخوَّفت الخنازير الصغيرة في البداية من الازدحام، واقتربوا من الإوزات وبدؤوا يتشجعون. ولأنهن لطيفات، وافقن عن طيب خاطر على ملاعبتهم. وسرعان ما انضمّ إليهم جميع الصغار، ثم انخرطت جميع الحيوانات في اللعب حتى الخنزير البري راح يضحك ملء حنجرته. لم تشهَد غابة البلدية قطّ مثل هذا الصخب ومثل هذا المرح.

وبعد برهة، قال الكلب:

- لا أريد أن أزعجكم، لكن الشمس تميل نحو المغيب. وسيعود الأبوان إلى البيت قريباً وإذا لم يجدا أحداً في المزرعة، قد يتعكَّر مزاجهما.

وبينما هم يتأهّبون للمغادرة، ظهرت مجموعة سناجب على غصن واطئ من شجرة زان وقال أحدهم للخنزير البري:

- في غابة البلدية، توجد ثلاثة آلاف وتسعمئة وثماني عشرة شجرة سنديان، وألف ومئتان وأربع عشرة شجرة زان، وألف وثلاثمئة واثنتان من شجرة البتولا.

كانت أرقام السناجب مطابِقَة لأرقام الصغيرتين. وسُرَّ الخنزير البري من ذلك.

- هذا دليل على أنكما لم تخطئا. ستعطيكما المعلمة غداً علامة جيدة. آه! كم أودّ أن أكون هناك حين ستُثني عليكما. أنا مَن يتمنّى من كل جوارحه أن يرى مدرسة.

اقترحت الصغيرتان:

- إذاً تعالَ غداً صباحاً. المعلِّمة ليست فظّة. وستسمح لك بدخول الصف.

- هل تظنان؟ حسن! لن أرفض. سأفكر في الأمر.

ولم تكد الصغيرتان تغادران حتى قرَّر الخنزير البري أن يذهب إلى المدرسة في اليوم التالي. ووعده الحصان والكلب أن

يرافقاه أيضاً حتى لا يشعر أنه الغريب الوحيد الذي يحضر أمام المعلمة.

وعند عودة الأبوين من الحقول، شاهدا دلفين ومارينيت تلعبان في الفناء. وصرخا بهما من الطريق:

- هل حللتما مسألتكما؟

أجابتهما الصغيرتان وهما تتقدمان لملاقاتهما:

- أجل، لكنها أتعبتنا.

وأكَّد الخنزير:

- كان عملاً قاسياً، وهذا ليس من قبيل التباهي، ولكن يوجد في غابة...

نجحت مارينيت في إسكاته وهي تدوس على قدمه. ونظر إليه الأبوان شزراً، وهما يتذمران من أنّ هذا الحيوان يزداد غباءً. ثم قالا للصغيرتين:

- حلّ المسألة ليس كلّ شيء. يجب أن يكون الحلّ صحيحاً أيضاً. وهذا ما سنعرفه غداً. سنرى العلامة التي ستَضعها المعلمة لكما. وإذا لم يكُن حلّ المسألة صحيحاً، فتأكّدا أنّ الأمر لن يمرّ مرور الكرام. إنه لأمر سهلٌ جداً أن تكتفيا بحلّ مسألة كيفما اتفق.

أكَّدت دلفين:

- لم نحلّها كيفما اتفق، ويمكنكما أن تتأكَّدا من صحة الحلّ.

وأعلن الخنزير:

- لأنّ السنجاب وجد نتيجة مطابقة لنتيجتنا.

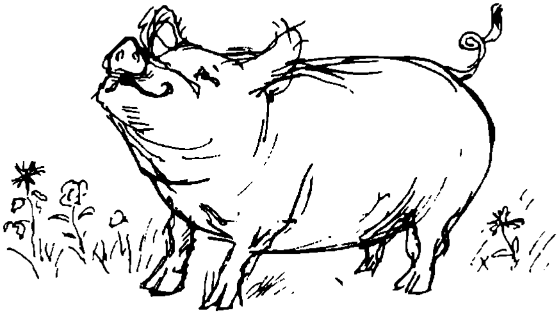

- السنجاب! هذا الخنزير يهرف. فضلاً عن أنّ نظرته مضحكة. هيا، ولا كلمة، عُدْ إلى زريبتك.

في صباح اليوم التالي، حين وقفت المعلمة في باب المدرسة لتُدخل التلاميذ، لم يُدْهِشَها أن ترى في الباحة حصاناً وكلباً وخنزيراً ودجاجة بيضاء صغيرة. لأنه كان مألوفاً لديها أن يضلّ حيوان من المزرعة المجاورة الطريق إلى هنا. ما أدهشها وأخافها هو وصول خنزير بري اندفع فجأة من مخبئه خلف السياج. ولولا أن دلفين ومارينيت طمأنتاها على الفور لربما كانت زعقت واستغاثت:

- لا تخافي يا آنسة. نحن نعرفه، إنه خنزير بري لطيف جداً.

قال الخنزير البري وهو يقترب:

- اعذريني. لم أكُن أقصد إزعاجَكِ، ولكنني سمعت الكثير عن مدرستكم وتعليمكم ما دفعني للمجيء لسماع أحد دروسكم. أنا واثق من أنني سأكسَب الكثير من ذلك.

شعرَت المعلمة بالفخر من هذا الإطراء، ولكنها تردَّدت في قبوله في صفها. وتقدمت الحيوانات الأخرى وطلبت الأمر ذاته. واستطردَ الخنزير البري:

- طبعـاً، نتعهَّد أنـا ورفاقي أن نكـون هادئين وألّا نشـاغب في أثناء الدرس.

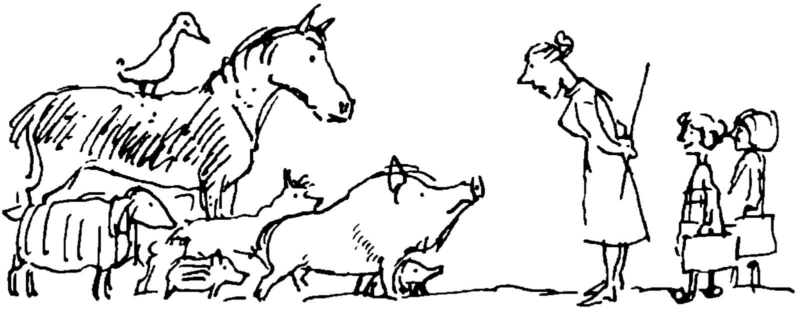

قالت المعلمة:

- علـى كلّ حـال، لا أرى مانعاً مـن أن تدخلوا إلـى الصف. هيا اصطفّوا في الرتل.

اصطفت الحيوانات وراء البنات مثنى مثنى أمام باب المدرسة. وقـف الخنزيـر البري بجانـب الخنزيـر والدجاجـة البيضـاء الصغيرة بجانـب الحصـان، والكلب فـي آخر الصـف. وحين صفّقـت المعلمة بيديهـا، دخل التلاميذ الجدد الصف من دون أن يُصدروا ضجة ومن دون أن يتدافعـوا. وبينمـا جلـس الكلـب والخنزيـر البـري والخنزيـر بين البنـات، جثَمَـت الدجاجة البيضـاء الصغيرة على مسـند مقعد، وبقي الحصان واقفاً في صدر القاعة لأنه أضخم من أن يجلس على مقعد.

بدأ الصـف بتمرين كتابة، وتابع بدرس تاريـخ. تحدَّثت المعلمة عن القرن الخامس عشـر وخصوصاً عن الملك لويس الحادي عشـر،

ملك فظ جداً، اعتادَ أن يحبس أعداءه في أقفاص من حديد. وقالت: «من حُسن الحظّ أنّ الزمن تغيَّر وفي عصرنا لم يعُد وارداً أن يُحبس أحد في قفص». لم تَكَد المعلمة تلفُظ هذه الكلمات حتى وقفت الدجاجة البيضاء الصغيرة على مجثمها وطلبت الإذن بالكلام. فقالت:

- واضح أنكِ لا تعرفين ما يحدث في البلد. الحقيقة هي أنه لم يتغيَّر شيء منذ القرن الخامس عشر. وأنا نفسي، شاهدتُ بأم عيني مراراً وتكراراً دجاجات تعيسة محبوسة في أقفاص، وهي عادة ليست على وشك الانقراض.

هتف الخنزير البري:

- هذا لا يصدَّق!

تضرَّج وجه المعلمة باللون الأحمر، لأنها راحت تفكِّر بالدجاجتين اللتين أبقتهما سجينتين في قفصٍ لتسمينهما. وسارعت إلى قطع وَعْدٍ على نفسها أن تُطلق سراحهما بعد الدرس.

وأعلن الخنزير:

- حين أصبح ملكاً، سأحبس الأبوين في قفص.

قال الخنزير البري:

- لكنك لن تصبح ملكاً أبداً. فأنت قبيح جداً.

تابع الخنزير قائلاً:

- أعرف أناساً يخالفونكَ رأيك. مساء البارحة فقط، كان الأبوان يقولان وهما ينظران إليّ: «الخنزير يزداد جمالاً، وعلينا أن نهتم به»

أنـا لا أختلق شـيئاً. كانت الصغيرتـان حاضرتين حين قـالا هذا. أليس كذلك أيتها الصغيرتان؟

اضطـرت دلفيـن وماريـنيـت وهمـا محرَجَتـان إلى الاعتـراف بأنّ الأبويـن تفوّهـا بهـذه العبـارات المادحـة. وانتصـر الخنزيـر. فقـال الخنزير البري:

- هذا لا يعني أنكَ لست أقبَح حيوان رأيته في حياتي.

- يبدو أنك لم تنظُرْ إلى نفسـك. هيئتـك مخيفة بهذين النابين اللذين يبرزان من بوزك.

- كيف؟ هـل تتجرّأ وتتحدّث عن شـكلي بهـذه الوقاحة؟ انتظر قليلاً أيها الأحمق، سأعلّمك كيف تحترم أشراف الناس.

ولما رأى الخنزير البري يقفز من مقعده، هرب الخنزير وأخذ يدور حول الصف وهو يطلق صيحات حادة، وبلغ به الخوف أنه صدَمَ المعلمة وكاد يوقعها أرضاً. وراح يصرخ: «النجدة، يريد أن يقتلني!» وألقى بنفسه بين المناضد، جاعلاً الكتب والدفاتر والأقلام والمحابر تتقافَز. اقترب الخنزير البري منه وزادَ الفوضى وراح يزمجر أنه سيبعج كرشه. وحين مرّ تحت الكرسي الذي تجلس عليه المعلمة، رفعه عن الأرض وجرّه للحظة في أثناء عَدْوِه. وهو ما أبطأ من سرعته فاستفادت دلفين ومارينيت من ذلك وحاولتا أن تهدِّئا الخنزير البري وأن تذكِّراه بالوعد الذي قطَعَه بأنه لن يشاغب في أثناء الدرس. وبمساعدة الكلب والحصان، نجحتا في إعادته إلى رشده. فقال للمعلمة:

- اعذريني. طاشَ صوابي بعض الشيء، لكن هذا الكائن مُفرطٌ في قبحه ولا يسعني أن أتساهل معه.

- يجب أن أطردكما أنتما الاثنان، ولكنني سأكتفي هذه المرة بوضع علامة الصفر لكما في السلوك.

وكتبت المعلمة على السبورة:

الخنزير البري: صفر في السلوك.

الخنزير: صفر في السلوك.

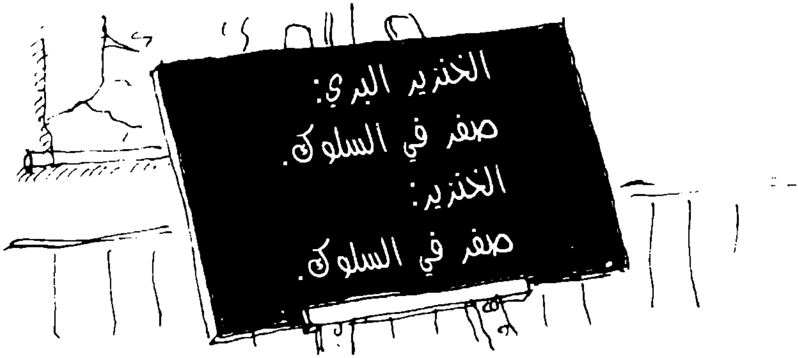

انزعج الخنزير البري والخنزير من ذلك أيّما انزعاج، وعبثاً توسَّلا إليها لتمحو الصفرين. فرفضت الإصغاء إليهما.

- كلّ واحد يَنال ما يَستحقه. الدجاجة الصغيرة البيضاء عشر درجات من عشر. الكلب، عشر درجات. الحصان، عشر درجات. والآن سننتقل إلى درس الحساب. سنرى كيف عالجتما مسألة غابة البلدية. مَن منكنّ حلَّت المسألة؟

كانت دلفين ومارينيت الوحيدتين اللتين رفَعَتا يديهما. ألقت المعلمة نظرة على دفتريهما وكشَّرت تكشيرة أقلقتهما قليلاً. بدت أنها تشكّ في صحة الحلّ. قالت وهي تتّجه إلى السبورة:

- هيا، لنعُد إلى نصّ المسألة. تبلغ مساحة غابة البلدية ستة عشر هكتاراً...

وبعد أن شرحت للتلاميذ كيف يجب محاكمة المسألة، أجرَت العمليات الحسابية على السبورة وأعلنت:

- تحوي غابة البلدية إذاً أربعة آلاف وثمانمئة شجرة سنديان، وثلاثة آلاف ومئتي شجرة زان وألف وستمئة شجرة بتولا. وبالنتيجة، أخطأت دلفين ومارينيت. ستأخذان علامة سيئة.

قالت الدجاجة البيضاء الصغيرة:

- لو سمحتِ يا آنسة. يؤسفني أنكِ أنتِ مَن أخطأتِ. في غابة البلدية، توجد ثلاثة آلاف وتسعمئة وثماني عشرة شجرة سنديان، وألف ومئتان وأربع عشرة شجرة زان، وألف وثلاثمئة واثنتان من شجرة البتولا. هذا ما توصَّلت إليه الصغيرتان.

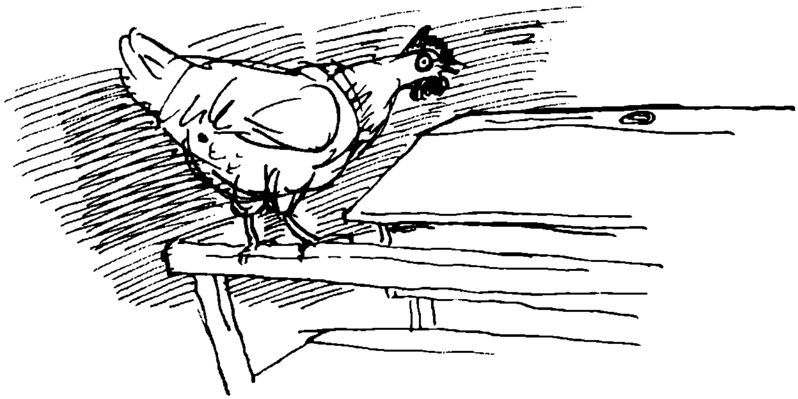

احتجّت المعلمة:

- هذا هراء. لا يمكن أن يكون عدد أشجار البتولا أكثر من عدد أشجار الزان. لنعُد إلى المحاكمة...

- لا يمكن لأيّ محاكمة أن تصمُد. تحوي غابة الناحية ألفاً وثلاثمئة وشجرتي بتولا فقط. لقد قضينا عصر يوم أمس في عدّها، أليس هذا صحيحاً يا أصحاب؟

أكَّد الكلب والحصان والخنزير:

- هذا صحيح.

قال الخنزير البري:

- كنت حاضراً هناك، وجرى عدّ الأشجار مرتين.

حاولت المعلمة أن تُفهِم الحيوانات أنّ غابة البلدية المذكورة في المسألة لا علاقة لها بالواقع، لكن الدجاجة البيضاء الصغيرة غضبَت، وتعكَّر مزاج رفاقها. قالوا: «إذا كنّا لا نستطيع الوثوق بالنص، فالمسألة نفسها لا يعود لها معنى لها». وأعلنت المعلمة أنهم حمقى. كانت توشك أن تضَع علامة سيئة للصغيرتين وقد استولى عليها الغضب حين دخلَ مفتّش المدارس إلى الصف. في البداية أدهشه أن يرى فيه حصاناً وكلباً ودجاجة وخنزيراً ولا سيما خنزيراً برياً. فقال:

- أخيراً، لنرَ. عمّا كنتم تتحدثون؟

أعلنت الدجاجة البيضاء الصغيرة:

- أيها السيد المفتش، أعطَت المعلمة للتلاميذ أوَّل أمس مسألة هذا نصّها: تبلغ مساحة غابة البلدية ستة عشر هكتاراً...

حين أحاط المفتش بالأمر، لم يتردَّد في موافقة الدجاجة البيضاء الصغيرة على رأيها. وفي البداية، أجبَرَ المعلمة أن تضع

علامة جيدة على دفترَي الصغيرتين، وأن تمحو صفري السلوك للخنزير والخنزير البري. وقال: «غابة البلدية هي غابة البلدية، هذا أمرٌ لا نقاش فيه». وكان في غاية السرور من الحيوانات فأعطى لكلّ منها علامة جيدة وللدجاجة الصغيرة البيضاء، أعطاها وسام الشرف لأنها أحسنت المحاكمة.

عادت دلفين ومارينيت إلى البيت وقلباهما يخفقان. فرح الأبوان حين رأيا أنّ ابنتيهما حصلتا على علامات جيدة وشعرا بالفخر (ظنّا أنّ العلامات الجيدة التي حصل عليها الكلب والحصان والدجاجة البيضاء الصغيرة تخصّ الصغيرتين). ولمكافأتهما، اشتريا لهما علبَتَي أقلام جديدتين.

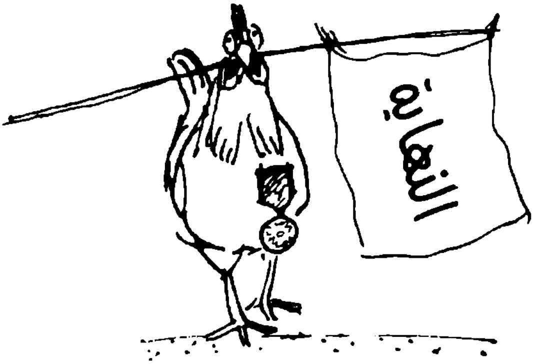

الطاووس

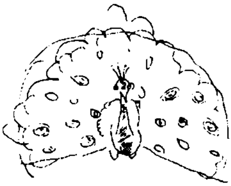

ذات يـوم، قالـت دلفيـن وماريـنيـت لأبويهمـا أنهما لـم تعودا ترغبان في ارتداء القباقيب. وهذا ما حدث. كانت ابنة عمّهما الكبرى فلـورا قـد أمضت أسـبوعاً فـي المزرعـة. كانت تسـكن فـي العاصمة وتوشك أن تبلغ الرابعة عشر من عمرها. ولأنها نجحت منذ شهر في فحص الشـهادة الإعدادية، اشـترى لها أبوها وأمها سـاعة يد وخاتماً فضياً وحذاء بكعبٍ عالٍ. وأخيراً، كان لديها ثلاثة فساتين على الأقل مـن أجـل يـوم الأحـد فقـط. الفسـتان الأول لونـه وردي مـع حزام ذهبي، والثاني لونه أخضر مع ثنيـات حريرية على الكتفين، والثالث من القماش الشفاف. لم تكن فلورا تخرج قط من غير ارتداء قفازين. وكانت تنظر إلى السـاعة بحركات دائرية من ذراعها وتتكلم كثيراً عن الزينة والقبّعات وتجعيد الشعر.

ذات يـوم إذاً، بعـد رحيـل فلورا، تلاكَـزت الصغيرتان لتشـجِّع إحداهما الأخرى وقالت دلفين للأبوين:

- ليسـت القباقيـب مريحـة كمـا تظنّـان. لا سيما أنهـا تؤلـم الأقـدام ومـا يحـدث أيضـاً هـو أن المـاء يدخل مـن فـوق، أما في

الأحذيـة، فالخطر أقل، خاصـة إذا كان الكعب عالٍ قليلاً. والأحذية أجمل أيضاً.

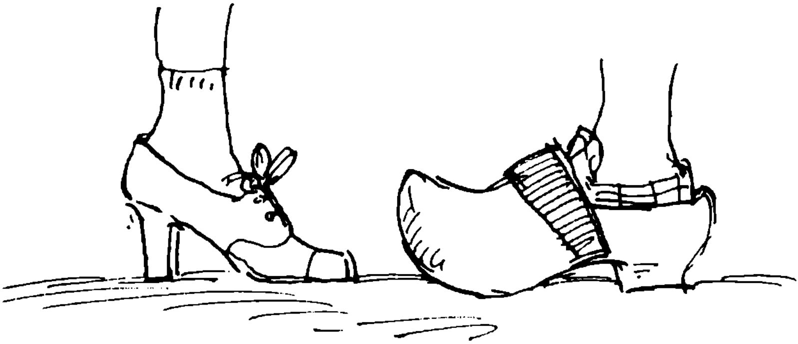

قالت مارينيت:

- مثـل الفسـاتين. بـدل أن نظـلّ نرتـدي مئـزراً مع فسـتان بالٍ تحته، الأجدر بنا أن نُخرج من الخزانة فساتين يوم الأحد.

قالت دلفين:

- وكذلـك الشـعر. بـدل أن نسـدل الشـعر علـى الكتفيـن، مـن المريح أكثر رفعه. سيكون رفعه أجمل أيضاً.

أخـذ الأبـوان نفسـاً عميقـاً، وبعـد أن نظرا لبرهـة إلـى ابنتيهما وهما يعبسان، أجابا بصوتٍ مخيف:

- هـذه الطريقة في الـكلام تزعجنا. أن لا تنتعـلا القباقيب! أن تُخرجـا مـن الخزانة فسـاتين يوم الأحد! هـل فقدتما عقلكمـا؟ أنتما تخالان، أجل، تخالان أننا سـنعطيكما أحذيتكما وفسـاتينكما الجميلة لترتديانهـم في الأيـام العادية. وسـرعان ما تهترئ ولا يبقـى لديكما ثياب نظيفة تلبسـانها عندما تذهبان لزيارة الخال ألفريد؟ والأدهى،

هـو الشـعر المرفـوع. لبنيّتين فـي مثـل سـنكما! آه! إذا تحدّثتما مرة أخرى عن الشعر المرفوع...

لـم تعُـد الصغيرتـان تتجـرآن علـى التحـدّث إلـى الأبويـن عـن الشـعر أو الفسـاتين أو الأحذيـة. ولكنهما عندما تصبحـان وحدهما، فـي أثنـاء الذهاب إلـى المدرسـة أو الإيـاب منهـا، أو في أثنـاء رعي البقـرات في المرج، أو خلال قطاف الفريز في الغابة، راحتا تضعان حجـارة فـي قبقابيهمـا لتقلّـدا الكعبيـن العالييـن، وترتديـان ثوبيهما بالمقلـوب للتظاهـر بالتغييـر، وتعقـدان شـعريهما علـى رأسـيهما بشريطة. ولا تنفكّان تتساءلان:

- هل قامتي مشـيقة؟ هل خطواتي رشـيقة؟ وأنفي، ألم يصبح أطـول هذه الأيام؟ وفمي؟ وأسـناني؟ هـل تظنين أنّ اللـون الوردي يناسبني أكثر من الأزرق؟

وفـي غرفتهما، تظلان تتمريـان في المرآة، وتحلمـان أن تصبحا جميلتيـن وأن تقتنيـا ملابـس جميلـة. وكان يوجـد في المزرعـة أرنب

أبيـض تحبّانه حبّاً جماً، فحدث لهما أن احمرتا خجـلاً حين فكّرتا أنّ جلده سيكون فراء جميلاً بعد أكله.

هـذا العصر، جلسـت دلفين وماريـنيـت أمام المزرعـة في ظلّ السـياج وراحتـا تخيطـان خرقـاً. وكان يوجـد بجانبهمـا إوزّة بيضـاء ضخمـة تنظر إليهما وهما تعملان. كانت حيواناً هادئاً تحب التحدث والمتـع العقلية. وطفقت تستفسـر عـن فائدة خياطة الخـرق وكيفية القيام بها، فقالت للصغيرتين:

- يبدو لي أنني أحبّ الخياطة، ولا سيما خياطة الخرق.

أجابت مارينيت:

- شـكراً، أمّا أنـا فأحبّ أكثر خياطة الفسـاتين. آه! لـو كان لديّ قمـاش... مثـلاً، ثلاثـة أمتـار مـن الحريـر البنفسـجي... كنـت سـأخيط لنفسي فستاناً مقوَّر الصدر دائرياً مع ثنية من الجانبين.

قالت دلفين:

- أمّا أنا فأرى فستاناً أحمر تقويرته مخروطية، مع ثلاثة صفوف أزرار بيضاء تمتدّ حتى الحزام.

وهما تتحدّثان على هذا النحو، هزَّت الإوزة رأسها وهمست:

- كما تشاءان، ولكنني أحبِّذ خياطة الخروق.

وفي الفناء، راح خنزير مكتنزٌ يتنزّه بخطى سـريعة. وحين خرج الأبوان ليذهبا إلى الحقول، توقفا أمامه وقالا:

- صار مكتنزاً، وسيزداد جمالاً، أقسم.

قال الخنزير:

- حقاً هكذا أنا؟ يسرّني أن أسمع منكما أنني جميل. هذا ما كنت أظنه أيضاً.

ابتعد الأبوان وهما يشعران بشيء من الضيق. ولمّا مرّا قرب الصغيرتين، امتدحا مثابرتهما. كانت دلفين ومارينيت منهمكَتين في خروقهما، تَخيطان من دون أن تتبادلان أية كلمة، كأنّ همّهما الوحيد خياطة الحواشي. ولم يكَد الأبوان يوليان ظهريهما، حتى استأنفتا حديثهما عن الفساتين والقبعات والأحذية وتموّجات الشعر والساعات الذهبية، وأخذت الإبرة تبطئ سُرعتها في القماش. وطفقتا تقلدان السيدات الزائرات، فزمَّت مارينيت فَمَها وسألت دلفين:

- سيدتي العزيزة، أين فصَّلتِ هذا الرداء الجميل؟

لم تفهم الأوزة شيئاً. أصابتها هذه الثرثرات بالدوار، وكان النعاس قد تسلَّل إلى جفنيها، حين وصل ديك من أقصى الفناء متبختراً، ووقف أمامها وقال لها بهيئة مشفقة:

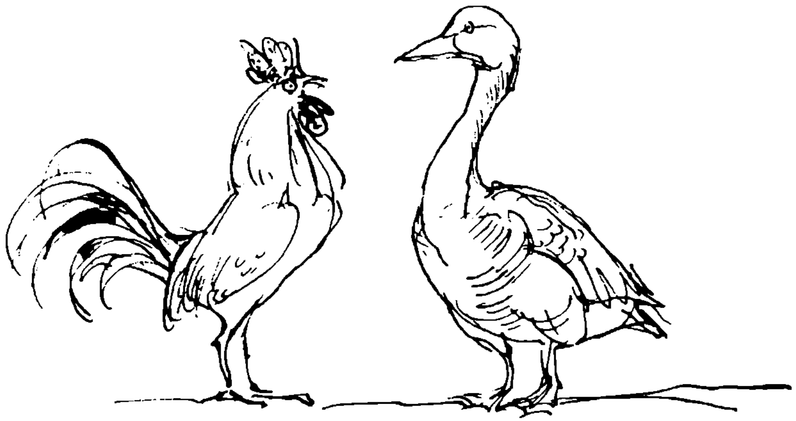

- أنا لا أريد أن أجرح مشاعركِ، ولكن رقبتك مضحكة.

قالت الإوزة:

- رقبة مضحكة؟ لماذا رقبة مضحكة!

- أي سؤال! ولكن لأنها أطول ممّا ينبغي. انظري إلى رقبتي...

تأمَّلت الإوزة الديك لبرهة وأجابت وهي تهزّ رأسها:

- حسن! أجل، وأنا أرى أنّ رقبتك أقصر ممّا ينبغي. وأقول أيضاً إنها ليست جميلة.

صرخ الديك:

- أقصر ممّا ينبغي! أصبحتُ أنا الآن مَن لديه رقبة أقصر ممّا ينبغي! على كلّ حال، هي أجمل من رقبتك.

قالت الإوزة:

- لا أرى ذلك. وهذا الأمر لا يحتاج إلى نقاش. عنقك أقصر ممّا ينبغي ونقطة انتهى.

لو لم تكُن الصغيرتان مشغولتين بالفساتين والتسريحات، لكانتا لاحظَتا مدى استياء الديك ولحاوَلتا تسوية النزاع. أخذَ يضحك بسخرية وقال بنبرة وقحة:

- أنت محقَّة. لا يحتاج الأمر إلى نقاش. أنا أفضَل منك بغضّ النظر عن الرقبة. لديّ ريش أزرق وريش أسود وحتى أصفر. وعلى الأخّص لديّ ذيل جميل، بينما أنتِ، أجدكِ مُضحِكة في نهاية المطاف.

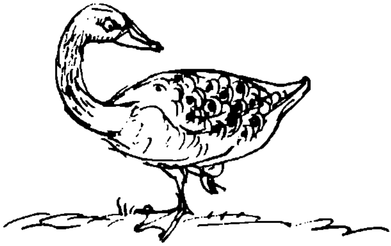

أجابت الإوزة:

- مع أنني أنظر إليك بإمعانٍ إلّا أنني لا أرى إلّا كومة ريش صغيرة مشعَّثة لا تسرّ النظر. وكذلك هذا العرف الأحمر فوق رأسكَ، أنت لا تتخيَّل كم هو مثيرٌ للاشمئزاز، حتى بالنسبة إلى شخص لديه الحدّ الأدنى من الذوق.

عندئذٍ اجتاحَ غضبٌ عارم الديك. فقفز قفزة واحدة جعلته وجهاً لوجه مع الإوزة وصرخ بأعلى صوته:

- عجوز حمقاء! أنا أجمل منك! هل تسمعين! أجمل منك!

- هذا غير صحيح! أيها التافه! أنا الأجمل!

حين سمعت الصغيرتان الضجة، تركتا حديثهما عن الفساتين وتأهَّبتا للتدخل، لكن الخنزير الذي سمع الصراخ، اجتاز الفناء مهرولاً وتوقَّف قرب الديك والإوزة وقال لهما وهو يلهث:

- ماذا دهاكما؟ هل جننتما أنتما الاثنان؟ هيا، الأجمل هو أنا!

انفجرت الصغيرتان وحتى الديك والإوزة بالضحك، وقال الخنزير:

- لا أرى سبباً للضحك. على كلّ حال، لمعرفة مَن هو الأجمل، ها أنتم متفقون.

قالت الإوزة:

- هذه مزحة.

وقال الديك:

- أيها الخنزير المسكين، لو أنك تستطيع أن ترى مقدار قبحك!

نظر الخنزير إلى الديك والإوزة بهيئة مستاءة وتنهَّد:

- أفهـم... أجل، أفهم. أنتما غيوران. ومـع ذلك، هل رأيتم في حياتكم أجمل مني؟ اسـمعوا، قال لي الأبوان ذلـك أيضاً منذ قليل. هيا، كونوا صريحين. قولوا إنني الأجمل.

وبينما هم يختصمون، ظهر طاووس من ركن السياج، فصمتوا جميعـاً. كان جسـده أزرقَ وجناحـه ذهبيـاً، وذيلـه الطويـل الأخضر مرقّط ببقع زرقاء تحيط بها حلقة صدئة. وعلى رأسـه قنزعة ويمشي متبختـراً. ضحـك ضحكـة أنيقـة، وراح يتخطّـر ذات اليميـن وذات الشمال ليثير الإعجاب، وقال مخاطباً الصغيرتين:

- شـاهدتُ شجارهم من ركن السـياج ولن أخفيكُم أنه أمتَعَني بجنون. آه! أجل، بجنون...

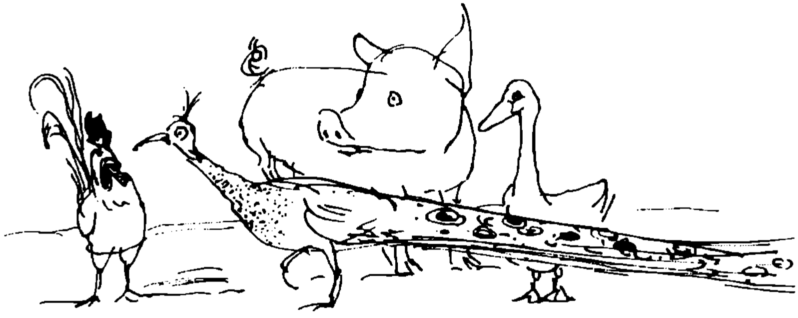

هنا، قطع الطاووس كلامه ليضحك خفية واستطردَ:

- إنّ معرفة الأجمل من بين هذه الشخصيات الثلاث هي مسألة شائكة. فهذا خنزير لا بأس به بجلده الوردي والمشدود. ويعجبني الديك بهذا العرف فوق رأسه وهذا الريش الذي يرتديه كأنه قنفذ. وأيّ لطف عفوي ينضح من إوزّتنا الطيبة، وأيّ كبرياء في انتصابة رأسها... آه! دعوني أضحك أيضاً... لكن لنكُن جديين. أخبراني أيتها الفتاتان ألا تظنان أنه من الأجدر بالمرء حين يكون بعيداً عن الكمال ألّا يُسهب في الحديث عن جماله؟

احمرَّت الصغيرتان خجلاً لأجل الخنزير والديك والإوزة ولأجل نفسيهما أيضاً بعض الشيء. ولكنه بعد أن أطراهما وناداهما «الفتاتان»، لم تتجرآ أن تلوماه على وقاحته. وتابع الزائر:

- من جهة أخرى، أعرف حقّ المعرفة أنه يمكن إيجاد شيء من العُذر لامرئ لا يعلم ما هو الجمال الحقيقي...

دار الطاووس حول نفسه وقام بحركات ليستطيع كلّ واحد أن يتملّاه على هواه. ظلّ الخنزير والديك صامتين إعجاباً، ينظران إليه بأعينٍ جاحظة. لكن لم يبدُ أنّ الإوزة دهشت. وعلقت بهدوء:

- حسنٌ، لا بأس بك، لكنني رأيت الكثير مثلك. أنا مَن أكلمك، رأيت ذَكَر بطّ ريشه جميل مثل ريشك. ولا يتبختر مثلك. ستقول لي أنه ليس لديه مثلك ذيل طويل يكنس الغبار، ولا هذه القنزعة على الرأس. كما تشاء. ولكن يمكنني أن أؤكد لك أنه لم يكن يحتاجهما أيضاً. وكان يعيش في هناء من دونهما.

وأيضاً لن تقنعني أن كلّ هذه الزينة ملائمة. انظر إليّ، أنا، هل لديّ قنزعة على رأسي ومتر من الريش خلفي؟ لكن لا، لا. هذا ليس جدياً.

وبينما كانت تتكلم على هذا النحو، راح الطاووس يخنق بصعوبة تثاؤب الضجر ولمّا انتهت، لم يكلِّف نفسه عناء الردّ. استعادَ الديك الآن رباطة جأشه. ولم يعُد يخشى مقارنة ريشه بريش الطاووس. ولكنه سكتَ فجأة وضاقَ تنفّسه لدقيقة. لأنّ الطاووس نشر منذ قليل ريش ذيله الطويل الذي استدارَ حوله كأنه مروحة عريضة. الإوزة ذاتها انبهرت ولم تستطع أن تكبح صيحة إعجاب. وذُهِلَ الخنزير فتقدَّم خطوة ليرى الريش من كثب، لكن الطاووس قفز إلى الوراء جفلاً، وقال:

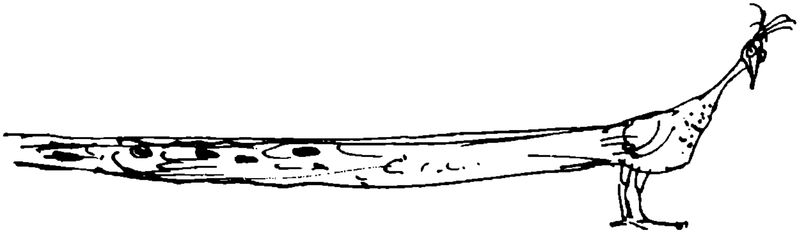

- من فضلك، لا تقترب مني. أنا حيوان فاخر، وليس من عادتي الاحتكاك بأحد.

وتلعثَم الخنزير:

- أرجو المعذرة.

- لكن لا، أنا مَن يعتذر لأنني قلت لك أشياء في منتهى البساطة. انظر، حين يريد المرء أن يكون جميلاً مثلي، يجب عليه أن يبذل جهداً. فالحفاظ على الجمال صعب تماماً مثل الحصول عليه.

دهش الخنزير:

- كيف؟ ألم تكُن جميلاً على الدوام هكذا؟

- أوه! لا. حين ولدت في العالم، لم يكن لديّ إلّا زغب خفيف على جلدي ولم يكن هنالك ما يوحي أنه سيصبح يوماً شيئاً آخر. وشيئاً فشيئاً تحوَّلت إلى ما أنا عليه كما ترونني الآن، وتطلَّب ذلك عناية كبيرة بي. لم يكن بوسعي أن أفعل شيئاً من دون أن تتدخّل أمي على الفور: «لا تأكل دود الأرض، فهذا يمنع القنزعة

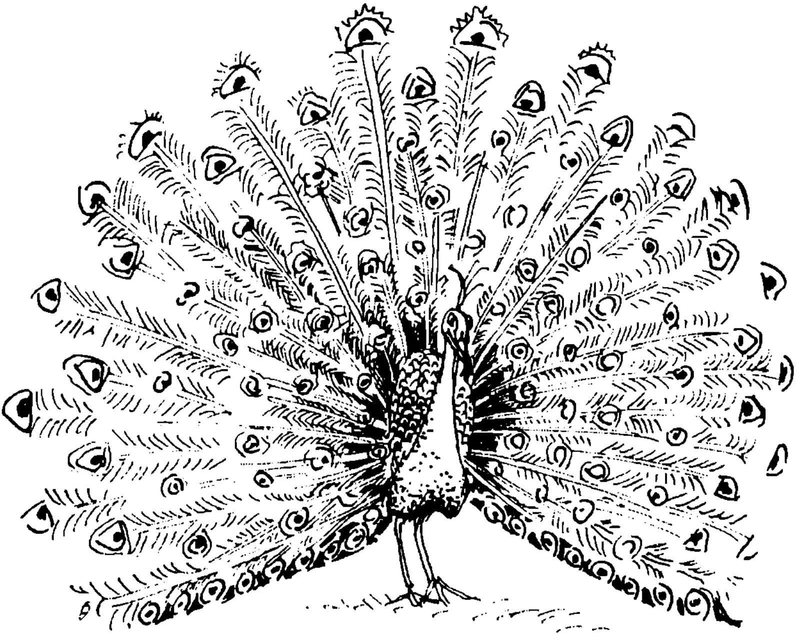

عـن النمـو. لا تقفـز على قـدم واحـدة، سـيعوج ذيلك. لا تفـرط في الأكل. لا تشـرب فـي أثنـاء الطعـام. لا تمشـي فـي المسـتنقعات...» كانـت تدخّلاتها لا تنتهـي. ولم يكُن يحقّ لي التحـدّث مع الدجاج أو كائنات القَصـر الأخرى. لأنكم تعرفون أني أسـكن ذاك القصر الذي ترَونـه هناك. أوه! لـم يكن الأمر مبهجـاً في أغلب الأحيـان. وما عدا النزهـات التي تأخذني إليها صاحبة القصـر كرفيقٍ لكلبها، كنت أظل وحيـداً دومـاً. وأيضـاً حين كنت أبـدو أنني أتسـلى أو أفكر في شـيء طريـف، كانت أمي تصرخ بيأس: «أيها الصغيـر البائس، ألا ترى أنك حين تضحك وتتسـلى على هذا النحو، فإنّ مشيتك وقنزعتك وذيلك تتخذ هيئة سـوقية؟» أجل، هذا ما كانت تقوله. أوه! لم تكن الحياة مرحة. وربما لن تصدِّقوني إن قلتُ لكم أنني ما زلت حتى الآن أتبع نظامـاً غذائياً خاصاً. وحتى لا أفقد رشـاقتي وبريـق ألواني أنا مضطرّ لاتّبـاع نظـام صارم وإلى ممارسـة الجمبـاز والرياضـة... ناهيكم عن الساعات الطويلة التي أقضيها في تنظيف نفسي وتزيينها.

وبعـد أن رجـاه الخنزيـر، راح يسـرد بالتفصيـل مـا يجـب عليه عمله ليكون جميلاً، وبعد أن تحدَّث نصف سـاعة، لم يكُن قد أفرغ نصفَ ما فـي جعبته. مع ذلك، كانت باقي الحيوانات تصلُ تباعاً في تلـك الأثناء وتشـكِّل حلقة حولـه. جاءت الثيـران أولاً، ثـم الخراف، وبعد ذلك البقرات والقط والدجاجات والحمار والحصان وذكر البط وعجل صغير، وحتى فأرة صغيرة اندست بين حوافر الحصان. وراح

الجميع يتدافعون ليروا ويسمعوا على نحوٍ أفضل. وراح العجل أو الحمار أو الخروف أو أيّ أحد آخر يصرخ:

- لا تدفعني! لا تدفعني! اصمُت. لا تدعَس على قدمي... الأطول إلى الخلف... هيا، لا تزاحم... أقول لك اصمت... وماذا لو طرحتك أرضاً...

وطفق الطاووس يقول:

- سكوت! لنهدأ قليلاً... أكرِّر: حين أستيقظ في الصباح، آكل بذرة تفاحة وأشرب جرعة ماء نقي... أنتم تفهمونني جيداً، أليس كذلك؟ هيا، ردِّدوا معي.

وردَّدت جميع حيوانات المزرعة في جوقة:

- نأكل بذرة تفاحة ونشرب جرعة ماء نقي.

لم تتجرّأ دلفين ومارينيت أن تردِّدا معهم، ولكنهما لم تنتبها لدروسهما في الصف قط كما انتبهتا إلى دروس الطاووس.

في صبيحة اليوم التالي، اعترت الدهشة الأبوين. بدأت المفاجأة في الحظيرة حين همَّا أن يملآ المعالف كما في كلّ يوم. فقال لهما الحصان والثيران بشيء من نفاد الصبر:

- كفى، كفى، لا داعي لهذا العناء. إذا أردتما أن تفعلا شيئاً مفيداً، فالأَوْلى بكما أن تقدِّما لنا بذرة تفاحة وجرعة ماء نقي.

- ماذا تقولون؟ بذرة... بذرة...

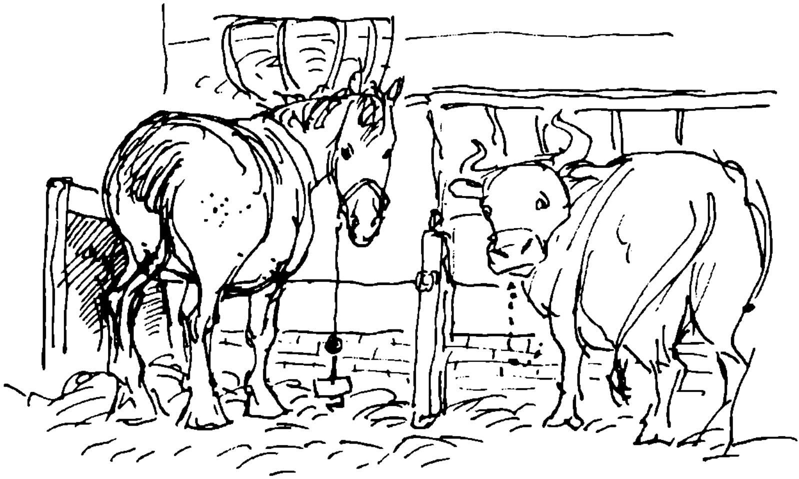

- أجل، بذرة تفاحة. لن نتناول شيئاً آخر حتى الظهر، وسنظلّ على هذه الحال كل يوم.

قال الأبوان:

- اعتمدوا علينا، أجل، نقسم، يمكنكم الاعتماد علينا وسنقدِّم لكم بذرة تفاحة. إنه طعام يصمد في المعدة! طعام مخصَّص لحيوانات الحَمل والجرّ! لكن كفى! ها هو التبن والشوفان والشوندر. سيسرّنا أن تأكلوا. وكَفاكم رياءً.

غادر الأبوان الحظيرة وذهبا إلى الفناء حتى يقدِّما الحبوب للدجاج وجميع الدواجن. كانت حبوباً ممتازة، ولكن أياً منهم لم يشَأ أن يتذوّقها.

قال الديك للأبوين:

- ما نحتاجه هو بذرة تفاح وجرعة ماء نقي. ولا نريد شيئاً أكثر.

- البـذرة أيضاً! ولكن لماذا يريدون جميعاً أن يأكلوا بذوراً؟ هيا أيها الديك، اشرَحْ لنا.

سأل الديك:

- أخبرانـي أيهـا الأبوان، ألا تحبّـان أن ترياني أتبختـر في الفناء وعلـى رأسـي قنزعـة، وأنشـر حولـي مروحـة ريـش كبيـرة مـن جميع الألوان؟

قال الأبوان باستياء:

- لا، حدِّثنـا عـن وجبـة ديـك بـالأرز. هـذا مـا نحبّـه والريـش لا يُضيف إليها شيئاً.

أدار الديك ظهره وقال بصوت عالٍ مخاطباً الدواجن الأخرى:

- أنتم ترون كيف يُجيبان حين نكلِّمهما بلطف!

ابتعـد الأبـوان وذهبا إلـى الخنزيـر أيضـاً حاملين إليـه طعامه. ولكنـه لم يكَد يشـمّ رائحة البطاطا المهروسـة حتى صاح من داخل وجاره:

- أبعدا عني هذه البطاطا المهروسة! ما يلزمني هو بذرة تفاحة وجرعة ماء عذب!

قال الأبوان:

- أنت أيضاً؟ ولكن لماذا؟

- لأنني أريد أن أصبح جميلاً وجذاباً ومتألقاً، حتى يتوقف الناس عند مروري ويلتفتون وهم يهتفون: «آه! ما أجمله وكم أتمنى أن أغدو مثل هذا الخنزير الرائع الذي يمر».

قال الأبوان:

- يا إلهي، من الطبيعي أيها الخنزير أن تفكِّر في أن تصبح جميلاً. لكن لماذا لا تقوم فقط بما يترتب عليك للحفاظ على جمالك؟ ألا تفهم أنّ معنى أن تكون جميلاً هو أولاً أن تكون مكتنزاً؟

قال الخنزير:

- قولا هذا الكلام لغيري. لكن أجيباني بنعم أو لا، هل تريدان إعطائي بذرة تفاحة وجرعة ماء عذب؟

- ولِمَ لا؟ سنفكِّر في الأمر، وفي غضون...

- ليس في غضون، وإنما في الحال. وهذا ليس كلّ شيء. يجب أن تصطحباني أيضاً كلّ صباح في نزهة. وأن تحثّاني على ممارسة الرياضة، وأن تُشرفا على غذائي ونومي وعاداتي وطريقتي في المشي... أخيراً، على كلّ شيء.

- مفهوم. حين يزداد وزنك نحو عشرة كيلوغرامات، سنبدأ. وحتى ذلك الحين، تناول طعامك.

وبعد أن ملأ الأبوان معلف الخنزير، اتّجه الأبوان إلى المطبخ فوَجدا دلفين ومارينيت تتأهَّبان للذهاب إلى المدرسة.

- هل تغادران الآن؟ لكن ألن تتناولان طعامكما؟

احمرَّت الصغيرتان خجلاً وقالت دلفين بحَرَج:

- لا، لسنا جائعتين... ربما أفرطنا في الطعام مساء أمس...

وأضافت مارينيت:

- سيُنعِشنا الهواء.

قال الأبوان:

- هممم! هذا غريب. حسنٌ...

ولم تكَد الصغيرتان تبتعدان في طريقهما إلى المدرسة، حتى شاهدتا نصفي تفاحة على مائدة المطبخ، فانتزعتا منها بذرتين.

لم تستطِعْ حيوانات الحظيرة أن تتلاءَم مع النظام الغذائي الذي أوصى الطاووس به. لأنّ بذرة تفاحة في معدة ثور أو حصان لا تكاد تساوي شيئاً. لذلك عادوا جميعاً إلى غذائهم المعتاد منذ صبيحة اليوم التالي ولم يعودوا يريدون أن يصبحوا جميلين. وكانت حيوانات القن أكثر مثابرة ولبعض الوقت ظنَّت أنها اعتادت على طريقة العيش الجديدة. أصبحت هذه الدواجن رشيقة ونسيت لأيام

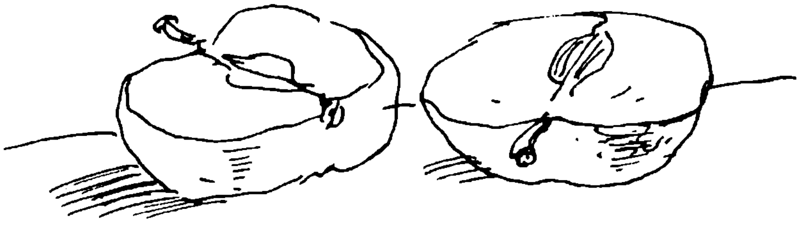

تشنّجاتها المعدية. الدجاجات والديك وذكر البط والإوزة نفسها لم يعودوا يتحدثون إلّا عن حركات رؤوسهم ومشيتهم وألوان ريشهم وصار الكثير من فراخهم حالمين ويتذمّرون من أنّ حياتهم لا تليق بجمالهم الفتّان. وحين سمعتهم الإوزة يخرفون على هذا النحو، استدركت فجأة وأعلنت أنّ وجبات الصوم التي يجبرون أنفسهم عليها لم تُثمِر عن نتائج واضحة ما خلا أنها شوَّشت أدمغة بعض الحمقى ولن يلبث القن كله أن يفقد رشده. وأمّا بالنسبة إلى الجمال الذي يتوقون إليه، فإنها لم ترَ إلّا عيوناً باهتة وريشاً متعباً ورقاباً هزيلة وصدوراً مسطحة. ووجدَ كلامها على الفور صدىً لدى الكثير من الدواجن العاقلة. ولم يصغِ آخرون إليها إلّا بعد حين. وظلَّ الديك مُصرّاً على نظام البذرة ومعه مجموعة دجاجات معجبات بلياقته. واستمروا معاً حتى جاء يوم أغمي فيه على الديك من شدّة الجوع في الفناء، فسمع الأبوين يتحدثان هكذا: «لنسارع إلى ذبحه حتى يبقى صالحاً للأكل» وهو ما أصابَه بخوفٍ شديد فهبّ واقفاً وانطلق يأكل الحبوب والبطاطا المهروسة، وأفرطَ الديك المسكين في الطعام ذلك اليوم والأيام التالية فأصيب بعسر الهضم مراراً وكذلك الدجاجات.

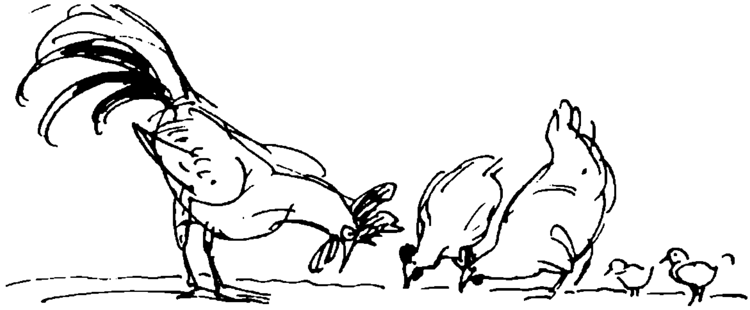

وبعـد مضي خمسـة عشـر يومـاً، بقـي الخنزيـر وحده مـن بين جميـع الحيوانـات مواظِبـاً على النظـام الغذائـي. لم يكُن يـأكل كلّ يـوم ما يُشـبِع فـرخ دجاجـة، ولم يمنعـه هذا عـن القيـام بنزهات طويلة مشـياً على الأقـدام، وعن القيـام بتمارين الجمباز وممارسـة الرياضـة بأنواعها. وفي غضون أسـبوع، فقَدَ خمسـة عشـر كيلوغراماً مـن وزنه. وراحـت الحيوانـات الأخرى تحثّـه أن يتناول طعامـاً أكثر، لكنه لم يصغِ إليهم ولم ينفكّ يسـألهم: «كيف تجدونني؟» فتُجيبه الحيوانات بحزنٍ بالغ:

- هزيـل جـداً أيهـا الخنزيـر المسـكين. تجعَّـد جلـدك وتغضَّن وتقرَّح، وصارَ يُرثى له.

ويقول الخنزير:

- هيا، هذا أفضل. لكن لم أنتهِ من إدهاشِكُم.

ويغمز بعينه ويسأل خافضاً صوته:

- بهذا الصدد! من فضلكم ألقوا نظرة على رأسي... أرأيتم؟

- رأينا ماذا؟

- شيئاً ينمو... يشبه قنزعة.

- لكن لا، لا شيء...

قال الخنزير:

- هذا غريب. وذيلي هل ترَونه؟

- لا شـك أنك تريد التحدّث عن ذنبك؟ أمّا ما تسميه ذيلاً! فإنه أشبه بفتّاحة الزجاجات من أيّ وقت مضى.

- هـذا غريب. ربمـا لأنني لا أمـارس الرياضـة بشـكلٍ كافٍ... أو لأنني لم أزَل آكل أكثر... سأراقب نفسي، اطمئنوا.

وحيـن رأتـه دلفيـن ومارينيت يـزداد هـزالاً يوماً بعد يـوم، لم تعـودا ترغبان فـي أن تصبحا جميلتيـن. على الأقل عَزَمَتـا على عدم الإفـراط فـي الصيـام. ولم يعُـد يغريهما نظـام الطـاووس الغذائي الـذي أرادتا اتباعه في البداية خفية عن الأبويـن. وفي النهاية فعلت نصائـح الإوزة فعلهـا وصرَفَتـا النظـر عـن الأمـر. حيـن كانت تسـمع الصغيرتيـن تتحدثان عن خصريهما وعن عـدد الغرامات التي تأمَلان بفقدانها، كانت تكرِّر عليهما:

- انظرا إلـى الحالة التي آلَ إليها خنزيرنـا البائس لأنه لم يأكُل كفايته. هل تريدان أن تتهدَّل بشـرتكما مثل جلده وأن تحلّ العيدان البائسـة الهشـة مـكان سـيقانكما المكتنـزة؟ لا، صدقاني، هـذا ليس صواباً. واسـمعا مني، أنا مَن خُلقت على هيئة حسنة وبريش جميل، يمكننـي أن أقول لكما: الجمال لا يملأ الحياة والأجدر بكما أن تعرِفا

خياطة الخروق على أن تحملا على ظهريكما ريشاً طويلاً من جميع الألوان.

وتجيب الصغيرتان:

- بالتأكيد، أنتِ محقة.

وذات يوم، كان الخنزير يستريح بجانب البئر بعد تمرين جمباز، فسألَ القط الذي يموء على فوهته هل يرى قنزعة تنمو له، فأشفقَ عليه وتظاهر أنه ينظر من قرب وأجاب:

- فعلاً، يبدو لي أنني ألمح شيئاً. بالتأكيد هذه ليست إلّا البداية، لكن كأنها تباشير قنزعة.

صرخ الخنزير:

- أخيراً! ها هي تنمو! ها هي تصبح مرئية! أنا سعيد... وذيلي أيها القط، هل تراه؟

- ذيلك! يا إلهي... يجب أن أقول...

- كيف! كيف!

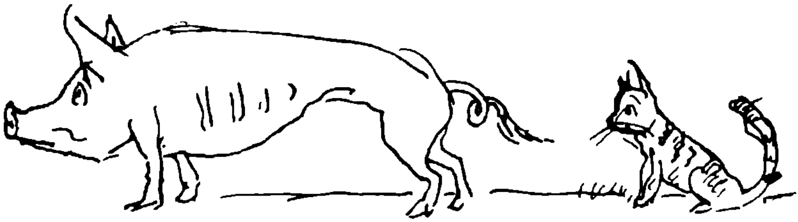

وبدا الخنزير في غاية الاضطراب فاستطردَ القط حالاً:

- في الحقيقة، لم يصبح بعد ذيلاً، لكنه الآن مكنسة جميلة جداً لا تلبث أن تنمو.

أيّده الخنزير:

- بالتأكيد، يجب أن تكبُر أيضاً.

ووافقَ القط:

- أجـل، أجـل. ولكنهـا لن تكبـر إن لم تـأكُل كثيـراً. والأمر ذاته ينطبـق علـى القنزعة. نظـام الطـاووس الغذائـي ممتاز فـي البداية، لكن الآن وقد نبتت القنزعة والذيل، فلا بد من تغذيتهما.

قال الخنزير:

- هذا صحيح. لم أفكِّر بذلك.

وهرع على الفور إلى معلفه، والتهمَ كلّ شـيء فيه وبعد ذلك ذهب إلى الأبوين ليحصل على المزيد.

وحين شبع أخيراً، راح يتقافز في الفناء ويصرخ بأعلى صوته:

- عندي قنزعة! عندي ذيل! عندي قنزعة! عندي ذيل!

حاولـت حيوانـات المزرعـة أن تزيل أوهامـه ولكنـه راح يتَّهمها بالغيرة والحسد أو أنّ أعينهم في جيوبهم. في اليوم التالي، خاضَ نقاشـاً مطوّلاً مـع الديك، فملَّ هذا الأخير من عنـاده واختصَمَ معه وتنهَّد:

- مجنون… مجنون تماماً…

وانفجـر الحاضـرون، وكانوا كُثـراً، بالضحك، ما أحـرَجَ الخنزير. ولأكثرِ من ساعة طارَدَه حشدٌ من الصيصان وهم يصيحون:

- مجنون!… مجنون!… مجنون!…

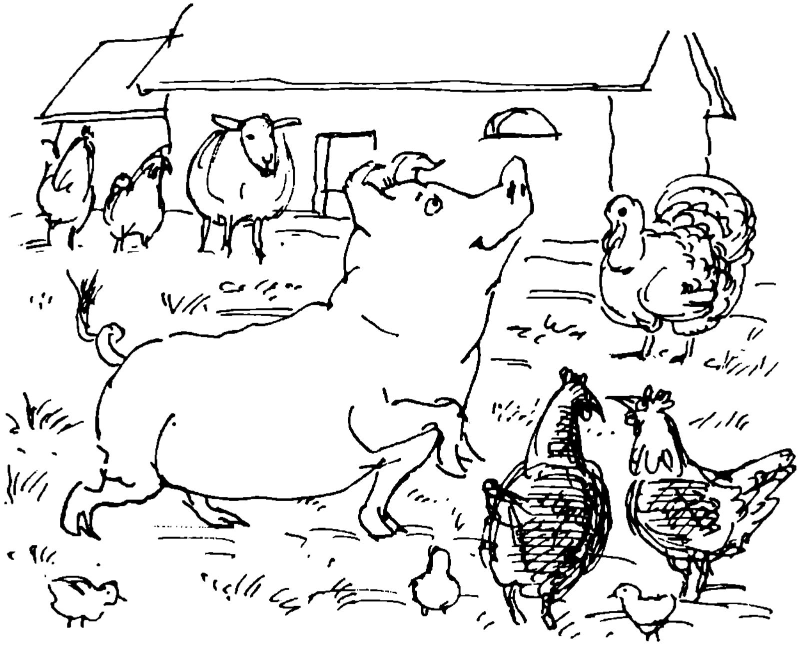

أمّا بقيـة الدواجـن، فلـم تكـفّ عـن الضحـك وإلقـاء كلمـات جارحـة كلّمـا مرّ مـن أمامها. ومنـذ ذلك الحيـن، توقّـف الخنزير عن التحـدُّث لأحـدٍ عـن قنزعته أو ذيلـه. وعندمـا كان يعبُر الفنـاء، كان يمشـي دومـاً ورأسـه مرتدّ إلـى الخلف بزهو فيتسـاءل المـرء إن لم يكُن قـد ابتلع عظمة ظلَّـت متوقِّفة مواربةً في حلقـه، وإذا مرَّ أحد وراءه، حتـى علـى مسـافة بعيـدة، كان يقفز إلـى الأمام جفـلاً كأنه يخشـى أن يدعس على ذيله. وراحت الإوزة عندئذٍ تشير إليه وتقول للصغيرتين:

- انظـرا إلى مـا يحدُث حين يبالـغ المرء في الاهتمـام بجماله. يصبح مجنوناً مثل الخنزير.

مكتبة
t.me/t_pdf

حين سمعت الصغيرتان مثل هذا الكلام، أشفَقَتا على ابنة عمّهما المسكينة فلورا، لا بد أنها فقدَت عقلها منذ زمن طويل. ومع ذلك، لم تستطِعْ مارينيت أن تمنع نفسها عن الإعجاب بالخنزير، لأنها كانت صهباء.

وذات صباح مشمس، ذهب الخنزير إلى الحقول في نزهة طويلة. وفي أثناء عودته، تلبَّدت السماء بالغيوم، وأبرَقَت فوقه، فلم يُدهشه ذلك، ظنّاً منه أنه يرى قنزعته تهزّها الرياح فوق رأسه. كان قد سبق له أن خالَها طالَت كثيراً، وها هي الآن قد أصبحت كما يتمنّاها. لكن المطر راحَ يهطل بغزارة فالتجأ لبرهة تحت شجرة وهو حريص على خَفض رأسه لئلا يفسد قنزعته.

هدأت الريح، وخفَّت غزارة المطر، فاستأنف الخنزير سيره. ولمّا شارف على المزرعة، كان المطر يتساقط زخات والشمس تتبدّى بين الغيوم. خرجت دلفين ومارينيت والأبوان من المطبخ في آنٍ معاً وغادرت الدواجن السقيفة التي التجأت إليها من المطر. وحين همَّ الخنزير أن يدخل الفناء، أشارت الصغيرتان بإصبعيهما نحوه صارختين:

- قوس قزح! آه! ما أجمله!

التفت الخنزير برأسه وأطلق صيحة بدوره. شاهَدَ وراءه ذيلاً مفروشاً على شكل مروحة شاسعة. فقال:

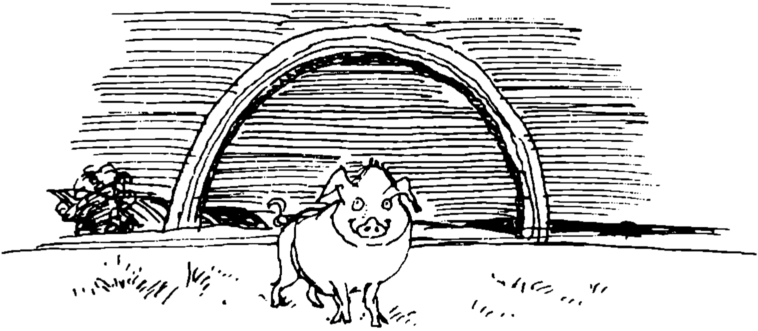

- انظروا! أنا أنشُر ذيلي!

تبادلت دلفين ومارينيت نظرة أسى، بينما راحت حيوانات القنّ تتهامس فيما بينها وتهز رؤوسها. وقال الأبوان:

- هيا! كفى هزلاً. ادخُلْ إلى وجارك. حانَ الوقت.

قال الخنزير:

- أدخل؟ أنتما تريان جيداً أنني لا أستطيع. مروحتي أعرض من أن تمرّ حتى عبر الفناء. لا يمكن أن تمر بين هاتين الشجرتين.

وبدرت من الأبوين حركة انزعاج، وراحا يتحدثان الآن عن إيجاد عصاً، لكن الصغيرتين اقتربتا من الخنزير وقالتا له بمودّة:

- ما عليك إلا أن تغلق ريشك، وسيمرّ ذيلك بسهولة.

قال الخنزير:

- هذا صحيح. لم يخطُر لي ذلك على بال. أنتما تفهمان: أحتاج إلى التعوّد...

وبذل جهداً بالغاً أثقَلَ عموده الفقري. خلفه، تلاشى قوس قزح فجأة، واستقرّ على جلده بألوان لطيفة وزاهية، وحتى بدت ألوان ريش الطاووس مقارنة بها باهتة.

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

مارسيل حكايات الحكايات الحمر

إيميه القط الشقي الحكايات الزرق

مكتبة | 508

مارسيل إيميه

حكايات القط الشقي

الجزء الثاني - الحكايات الزرق

مارسيل إيميه

حكايات القط الشقي

الجزء الثاني

الحكايات الزرق

مكتبة | 508

رسوم فيليب دوما

المركز الثقافي العربي

الكتاب

حكايات القط الشقي
الحكايات الزرق

تأليف

مارسيل إيميه

الطبعة

الأولى، 2019

عدد الصفحات: 224

القياس: 14 × 21

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-920-3

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522303339 ـ 0522307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 ـ 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

العنوان الأصلي للكتاب:

Marcel Aymé

Les contes bleus du chat perché

Avec les illustrations intérieures de Philippe Dumas

© Éditions Gallimard, 1963 pour le texte et 1979 pour les illustrations

© Éditions Gallimard Jeunesse, 2007 pour la présente édition

مكتبة
t.me/t_pdf

المحتويات

الصفحة

الذئب 7

الأيل والكلب 33

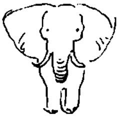
الفيل 65

البط والفهدة 93

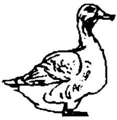
الإوز السيئ 121

الحمار والحصان 145

الخروف 169

طيور البجع 201

الذئب

اختبأ الذئبُ خلفَ السّياج وراحَ يُراقبُ فناءَ المنزل بصبرٍ، وسرَّه أنْ رأى الأبوين يخرجان من المطبخ. وقَفا على العتبة ووجَّها توصيتهما الأخيرة فقالا:

- تذكَّرا، إياكما أن تفتحا الباب لأحدٍ، سواء رجاكما أو هدَّدكما. سنعود في الليل.

حين ابتعد الأبوان وغابا في آخر منعطفٍ من الدرب، طافَ الذئب حول البيت وهو يعرج على إحدى قوائمه، لكن الأبواب كانت مغلَقَةً بإحكام. أمّا بالنسبة إلى الخنازير والأبقار فلا شيء يُرجى منها. فهي حيوانات لا تتمتّع بقدرٍ كافٍ من الذكاء حتى يقنعها المرء بأن يلتهمها. لذلك توقّف الذئب أمام المطبخ ووضعَ قائمتيه الأماميتين على حافّة النافذة ونظرَ إلى داخل المنزل.

كانت دلفين ومارينيت تلعبان بالحصى الخمسة أمام المدفأة. وكانت مارينيت الصهباء والأصغر سناً تقول لأختها دلفين:

- حين يلعبُ اثنان فقط لا يستمتعان كثيراً، ولا يستطيعان أن يلعَبا لعبةَ الرقصة الدائرية.

- صحيح، لا يمكنهما أن يلعبا الرقصة الدائرية ولا الريشة الطائرة.

- ولا لعبة التمرير، ولا لعبة السبعة أحجار.

- ولا لعبة العروس أو لعبة الكرة.

- ومع ذلك، ليس هنالك متعةٌ تضاهي لعبةَ الرقصة الدائرية أو الريشة الطائرة.

- آه! لو أنّنا ثلاثة...

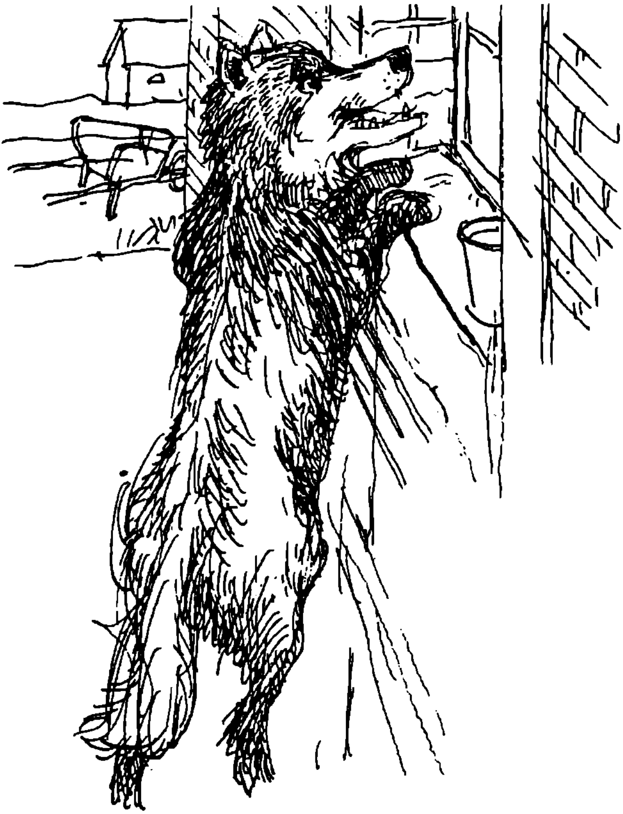

ولأنّ الصغيرتـان كانتـا تُولِيان ظهريهمـا للذئب، فقـد نقَرَ على النافـذة ليُخطِرَهما بوجـوده. تركتا اللعب وجاءتا إلى النافذة تُمسـكُ إحداهما بيدِ الأخرى. قال الذئب:

- صبـاح الخير. الطقـسُ ليس حاراً فـي الخارج. إنه قـارسٌ كما تعرفان.

أخذَت الصهباء تضحك، لأنها وجَدَتـه مُضحِكاً بأذنيه الحادّتين وحزمة الشـعر المنتصبة فوق رأسـه. لكن دلفين لم تنخدِع. همَسَت وهي تضغط يد أختها الصغرى:

- هذا الذئب.

قالت مارينيت:

- الذئب؟ إذاً نحن خائفتان؟

- بالتأكيد، نحن خائفتان.

وطوّقت كلّ واحدة منهما عنق الأخرى وهما ترتجفان، واختلط شـعرهما الأشـقر وهمسـاتهما. واضطرّ الذئـب للاعتراف بأنـه لم يرَ شيئاً بمثل هذا الجمال منذ كان يسرح في الغابات والسهول. وتملّكه الحنان. وطفقَ يفكّر:

- لكن ماذا دهاني؟ جسدي كلّه يرتعش.

وحين أمعن التفكير في الأمر، أدرك أنه أصبح طيباً فجأة. طيباً ووديعاً ولن يعود بوسعه أن يأكُل أطفالاً أبداً.

أمالَ الذئب رأسه إلى اليسار، كما يفعل المرء حين يكون طيباً وقال بصوتٍ رقيق:

- أنا بردان، وقائمتي تؤلمني. لكن الأهم هو أنني طيب. لو سمحتما افتحا لي الباب، لأدخلَ وأتدفّأ قرب المدفأة، ونمضي فترةَ بعد الظهر معاً.

نظرت الصغيرتان إحداهما إلى الأخرى بشيء من الدهشة. لم يخطُر ببالهما قطّ أنّ لدى الذئب مثل هذا الصوت العذب. وبعد أن اطمأنّت الصهباء، أومَأت إليه الصغرى إيماءة ودِّية، لكن دلفين، لم تكُن تفقد رشدَها بسهولة، وسرعانَ ما تمالكَت نفسها، فقالت:

- انصرِفْ من هنا، أنتَ الذئب.

أضافَت مارينيت بابتسامةٍ:

- أنتَ تفهم، لا نَقصِدْ طردَك، لكن أبوينا منعانا من فتح الباب لأحدٍ سواءَ رجانا أو هدَّدنا.

حينئـذٍ أطلقَ الذئب تنهيدةً مديـدةً، ونامَت أذناه الحادَّتان على جانبَي رأسه. بدا حزيناً وقال:

- كمـا ترَيان، يـروي الناس قصصاً كثيرة عـن الذئب، ولا ينبغي تصديق كلّ ما يُقال. الحقيقة أنني لستُ شريراً على الإطلاق.

وأطلقَ تنهيدة أخرى مديدة فطفَرَت الدموع في عينَي مارينيت.

حزنَـت الصغيرتـان لمعرفتهمـا أنّ الذئـب يَشـعُر بالبـرد، وأنّ قائمتَـه تؤلِمُـه. همسـت الصهبـاء فـي أذنِ أختهـا بشـيء مـا وغمَزَت الذئـبَ بطـرفِ عينهـا لتُفْهِمَه أنهـا تقفُ إلـى جانبه وأنها معـه. ظلَّت دلفين تفكِّر لأنها لم تكُن تقرِّر أيّ شيء بخفّة. ثم قالت:

- يبـدو لطيفـاً هكـذا، ولكنني لا أثِقُ بـه. تذكَّري قصـة «الذئب والحمل». مع أنّ الحمَلَ لم يفعَل له شيئاً.

وبينمـا كان الذئـب يتـذرَّع بنِيَّاتـه الطيبـة، قَذَفَـت سـؤالها فـي وجهه:

- والحَمَلُ، إذاً؟... أجل، والحَمَل الذي أكلته؟

لم يغضَب الذئب من سؤالها وقال:

- الحَمَل الذي أكلته؟ أيّ حَمَلٍ؟

قال هذا في منتهى الهدوء وبشـكلٍ طبيعـي، بهيئةٍ ونبرةٍ بريئةٍ جعَلَت القشعريرة تسري في ظهرها. فهتَفَت دلفين:

- كيف؟ إذاً أنتَ أكَلْتَ العديد من الحملان. حسن! هذا جميل!

- طبيعي أنني أكلتُ العديد منها. لا أرى في هذا ما يسوء... ألا تأكُلان الحِمْلان أنتما أيضاً؟!

لم يكُن هنالكَ مجالٌ للإنكار. فقد تغدَّتا ظهرَ هذا اليوم فخذَ خروف. واستطردَ الذئب:

- هيـا، أنتمـا تريان جيـداً أنني لسـتُ شـريراً. افتَحا لـي الباب، سـنتحلَّق حول الموقد، وسـأروي لكما حكايات. منـذ زمنٍ وأنا أجوبُ الغابـات وأسـرَح في السـهول، لذلك لـديّ الكثير... ويكفـي أن أروي لكمـا ما حـدَثَ ذات يـومٍ للأرانب الثلاثـة على أطـراف الغابة، حتى تضحَكا كثيراً.

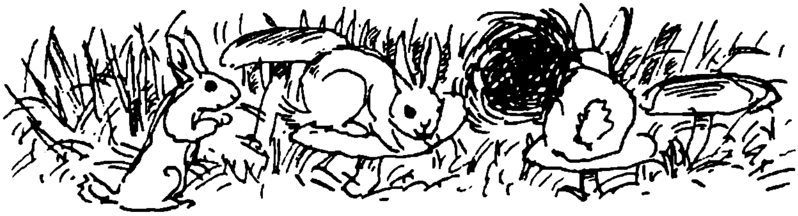

اختصَمَـت الأختـان بصـوتٍ هامـسٍ. ارتَـأت الصهبـاء أن تفتحا البـاب للذّئـب وحـالاً، لأنـه لا يُمكن تركـه يرتجـف في البـرد وإحدى قوائمه مريضة. أمّا دلفين، فظلَّت حذرةً. قالت مارينيت:

- في النهاية، لن تَلُوميه لأنه أكَلَ حملاناً. ومع ذلك لا يمكن تَركه يموت من الجوع!

ردَّت دلفين:

- ليس أمامَه إلّا أن يأكل البطاطا.

ألحَّت مارينيت، وانبَرَت تُدافع عن الذئب بصوتٍ يهدجه الانفعالُ وعينين تطفران بالدموع، وهو ما حرَّك مشاعر أختها البكر. وها هي دلفين تتوجّه فعلاً نحو الباب. لكنها غيَّرت رأيها وهي تضحَك، ورفَعَت كتفيها وقالت لمارينيت بارتباك:

- لا، على كلِّ حال، ستكون هذه حماقة منّا!

نظَرَت دلفين إلى الذئب وجهاً لوجه.

- أخبِرْني أيها الذئب، ما حكاية ليلى ذات القبعة الحمراء. لنتحدَّث عن الصغيرة ذات القبعة الحمراء. هل تريد؟

طأطأ الذئب رأسَه خجلاً. لم يتوقّع أن يفاجئه أحدٌ بهذه القصة. وسَمِعَتاه ينتحِبُ وراء زجاج النافذة. واعتَرَف:

- هذا صحيح، لقد التَهَمْتُ ليلى. ولكنني أؤكِّد لكما أنني ندمتُ أشدّ النَّدَم، ولو صادَفَني هذا مرة أخرى...

- أجل، أجل. هكذا تقول دوماً.

ضرَبَ الذئب على صدره في موضع القلب، وقال بصوتٍ شجيّ:

- أقسم لو صادَفَني هذا الأمر مرة أخرى، سأؤثِرُ الموتَ جوعاً.

تنهَّدت الصهباء:

- على كلّ حال، أنتَ التَهَمْتَ ليلى.

وافَقَ الذئب:

- أنا لا أنكر. التهمتها، هذا معروف. ولكنّها إحدى أخطاء مرحلة الشباب. وقد مضى عليها زمن طويل، أليس كذلك؟ ولكلّ خطيئة مغفرة... آه لو تعرفان الهموم التي تحمَّلتها بسبب هذه الصغيرة! تصوّروا أنّ البعض ذهَبَ إلى حدِّ اتّهامي أنني بدأتُ بالتهام الجدَّة، حسن! هذا ليس صحيحاً على الإطلاق...

هنا راحَ الذئبُ يضحك ساخراً رغماً عنه، وعلى الأرجح من دون أن ينتبِهَ لنفسه:

- سأسألكما سؤالاً بسيطاً! كيف آكل الجدّة وعندي فتاةٌ صغيرةٌ غضّة تنتظرني على الغداء! لستُ غبياً إلى حدّ...

حين تذكَّر الذئب تلكَ الوجبة من اللَّحم الغضّ، لم يستطِعْ تمالكَ نفسه عن التلمُّظ مراتٍ عديدة كاشفاً عن أنيابٍ حادّة لم تكُن لتُطَمْئنَ الصغيرتين. وهتَفَت دلفين:

- أيها الذئب، أنتَ كذاب! لو خالجَكَ كلّ هذا الندم كما قلت، لما تلمَّظْتَ على هذا النحو!

خَجِلَ الذئبُ خجلاً شديداً لأنّ لعابَه سالَ عندما تذكَّر الفتاة الصغيرة المكتنِزَة وكيف تذوب تحت الأسنان. لكنه شعرَ أنه طيِّب وصادقٌ، ولم يشأ أن يشكّ بنفسه، فقال:

- سامِحاني، إنها عادة سيئة وَرِثتها عن العائلة، لكنها لا تعني شيئاً...

أعلَنَت دلفين:

- لا يهمّنا إن كنتَ قليل التربية.

تنهَّدَ الذئبُ:

- لا تقولي هذا. فأنا في غاية النَّدَم.

- وهل من عادةِ عائلتكَ أيضاً التهام الفتيات الصغيرات؟ تُدركُ بلا شكٍّ أنّك حين تقطع وعداً بألّا تعودَ إلى التهامِ الأطفال أبداً، فإنّ ذلك يُشبهُ إلى حدٍّ ما حين تقطَع مارينيت وعداً بألّا تعود تأكل الحلوى.

تضرَّجَ وجه مارينيت بالحُمْرَة وحاولَ الذئب أن يحتجّ:

- لكنني أقسمُ لكُما...

- كفى كلاماً، وامضِ في طريقكَ. سيُدفئكَ الرَّكض.

حينئذٍ غضبَ الذئب لأنهما لم تصدِّقا أنه أصبَحَ طيباً، فصرخ:

- لكنـكِ تُبالِغيـن، لا أحـدَ يريـد سـماعَ صـوت الحقيقـة! أنتمـا مشـمئزَّتان لأنني أصبحتُ شـريفاً. أمّا أنا فأزعم أنـه لا يحقّ لأحدٍ أن يحبطَ النوايا الصادقة كما تفعلان. ويمكنكما أن تقولا أنكما ستكونان مسؤولَتين لو التهمتُ طفلاً في القادم من الأيام، لأنّ ذلك سيكون بسبَبكما!

وبينمـا كانـت الصغيرتـان تسـتمعان إليـه، خالَجَهمـا القلـقُ من عبء المسـؤولية وربمـا عذابِ الضميـر الـذي ينتظرهما. لكن أذنَـي الذئب المدبَّبَتيـن راحتا تتراقصان، وشـعَّت عيناه ببريقٍ من القسـوة، وافتَرت شـفَتاه عـن أنيابٍ حـادّة، فتجمَّـدت الصغيرتان من الرُّعب.

أدرَكَ الذئب أنه لن يجني شيئاً من كلماتِ الترهيب، فاعتذَرَ عن سلوكه وحاوَلَ التوسّل. وفيما هو يتكلَّم، كانت عيناه تتضوَّعان حناناً وتهدَّلت أذناه، وأنفه المتكئ على زجاج النافذة جَعَلَ شدقه مسطحاً ورقيقاً كشدق بقرة. فقالت الصغيرة الصهباء:

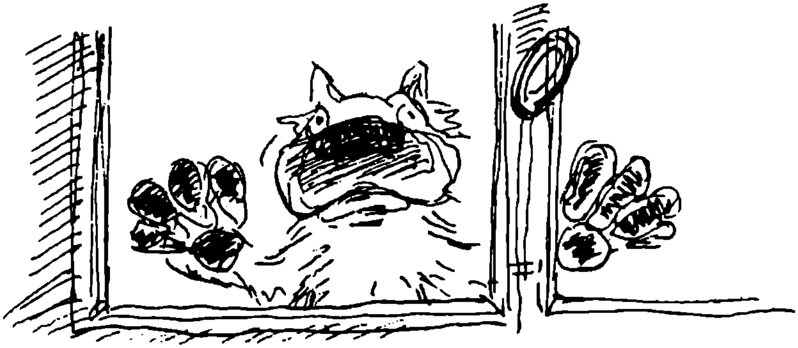

- أنتِ ترَيْنَ جيداً أنه ليس شريراً.

أجابَت دلفين:

- ربما، ربما.

حين أصبح صوت الذئب متوسِّلاً، لم تتمالَك مارينيت نفسها وتوجَّهَت نحو الباب. ارتاعت دلفين وأمسَكتْها من خصلات شعرها. وراحتا تتبادلان الصفعات، والذئب يتلوى بيأس خلفَ الزجاج، ويقول إنه يفضِّل الانصراف على أن يكون سبباً للشجار بين أجمل شقراوين رآهما في حياته. وبالفعل، ترَكَ النافذة وابتَعَدَ، وهو يبكي بكاءً يفطر القلب. وطفَقَ يفكِّر:

- يا للمصيبة، لا تريدان صداقتي... أنا الطيّب، الحنون. لربما أصبحتُ أطيَبَ، وحتى كنتُ سأتوقف عن أكلِ الحِمْلان.

في تلك الأثناء، راحَت دلفين تنظُر إلى الذئب يعرُج على قوائمه الثلاث، ويرتعش من البردِ والحُزن. صاحَت من النافذة وقد اعتراها شعورٌ بالنَّدَم والشفقة:

- أيها الذئب! لم نعُد خائفتَين... تعالَ بسرعة لتتدفّأ!

لكن الصهباء كانت قد فتحت الباب وهرعت لملاقاة الذئب.

تنهّد الذئب:

- يا إلهي! ما أحلى الجلوس في ركنٍ دافئ. فعلاً لا يوجد أجمَل من الحياة العائلية. لقد حلمتُ بها طوال عمري.

كانت عيناه تنضَحان حناناً، وهو ينظر إلى الصغيرتين المنزويتين بعيداً بحياء. وبعد أن لعق قائمته المتألمة، وأدفأ ظهره وبطنه بحرارة الموقد، أخذَ يروي الحكايات. اقتربَت الصغيرتان لتصغيا إلى مغامرات الثعلب والسنجاب والخلد أو الأرانب الثلاثة على أطراف الغابة. وكان من بينها حكايات مضحكة، ما اضطرّ الذئب إلى إعادَتِها مرتين وثلاث مرات.

احتضَنَت مارينيت عنق صديقها، وراحت تلهو بشدّ أذنيه المدبَّبتين وتمسِّد شعره جيئة وذهاباً. احتاجت دلفين وقتاً أطول لتتآلف، وفي أول مرّة دسّت يدها الصغيرة في شدقه على سبيل اللعب، لم تتمالك نفسها عن إبداء هذه الملاحظة:

- آه! ما أكبر أسنانك...

شعَرَ الذئب بالضيق فاحتضَنَت مارينيت رأسه بين ذراعيها.

وبدافع التهذيب، لم يشَأ الذئب الإفصاح عن الجوع الذي يقرقر في معدته، وفكَّر بعذوبة:

- كم أنا طيّب، هذا لا يصدَّق.

وبعد أن روى لهما حكاياتٍ كثيرة، اقترحت عليه الصغيرتان أن يلعب معهما. فقال الذئب:

- ألعب؟ ولكنني لا أعرف أيّة لعبة.

وخلال فترة وجيزة، تعلَّم لعبة اليد الحارة والرقصة الدائرية والريشة الطائرة وقبعة المريض. وراح يغني بصوتٍ شجيّ مَقاطِع من بعض الأغنيات. وفي المطبخ، سادَ ضجيج التدافع والصرخات والقهقهات والكراسي المقلوبة. ولم يعُد هنالك أيّ حَرَجٍ بين الأصدقاء الثلاثة، فرفعوا الكلفة فيما بينهم كأنهم يعرفون بعضهم منذ زمن طويل:

- دورك أيها الذئب!

- لا، دورِك! أنتِ تحركتِ! لقد تحرّكت...

- أنا أضمن الذئب!

لم يضحك طيلة حياته كما ضحك ذلك اليوم، ضحك حتى آلمه فكّه. وقال:

- لم أكن أحسب اللعب مسلياً إلى هذا الحد. خسارة أنني لم أستطِعْ أن ألعبَ هكذا كلّ يوم!

فأجابَت الصغيرتان:

- ولكنك ستعود أيّها الذئب. يغادر أبوانا كلّ يوم خميس بعد الظهر. أنتَ ستُراقبهما حين يغادران وتأتي لتَنقر على النافذة كما منذ قليل.

وفي النهاية، لعبوا لعبة الحصان. كانت لعبة جميلة أدّى الذئب فيها دور الحصان، والصهباء امتطَت صهوته، أمّا دلفين فأمسكته من ذيله وقادَت العربة بسرعة بين الكراسي. دلّى الذئب لسانه وفَتَح شدقه على مصراعيه، وراح يلهث من الركض والضحك بكلّ قواه، وأخذ يطلب الإذن أحياناً من الصغيرتين ليلتقطَ أنفاسه ويقولُ بصوتٍ متقطّع:

- استراحة! اترُكاني أضحك... لم أعُد أحتمِل... آه! اترُكاني أضحك!

عندئذٍ، تترجّل مارينيت عن ظَهر الحصان، وتترك دلفين ذيل الذئب ويجلسون على الأرض ويضحكون حتى يكادُ يغشى عليهم.

انتهى الفرح قُبيل المساء، وحين ترتَّب عليهم التفكير في رحيل الذئب، أجهَشَت الصغيرتان بالبكاء، وتوسَّلت الصهباء:

- ابقَ معنا أيها الذئب، سنلعب أيضاً. لن يقول أبوانا شيئاً، سترى...

قال الذئب:

- آه لا! الأبوان أعقل ممّا ينبغي. لن يستوعبا أبداً أنه يمكن لذئبٍ أن يصبح طيباً. الأبوان، أنا أعرفهما.

أيّدَته دلفين:

- أجل، الأجدر بك ألّا تتأخر. أخشى أن يحدث لكَ مكروه.

تواعَدَ الأصدقاء الثلاثة على اللقاء يوم الخميس القادم. وتبادلوا الوعود والعواطف الجيّاشة. وأخيراً، عقدت الصهباء شريطاً أزرق حول عنق الذئب، فانطلقَ نحوَ الحقول واختفى في الغابات.

كانت قائمته المريضة لا تزال تؤلمه، ولكنه حين فكَّر في موعده الخميس القادم مع الصغيرتين، راحَ يترنّم بأغنية مَرِحَة من دون أن يأبَهَ لنعيق الغربان المتناعسة فوق الأغصان العالية.

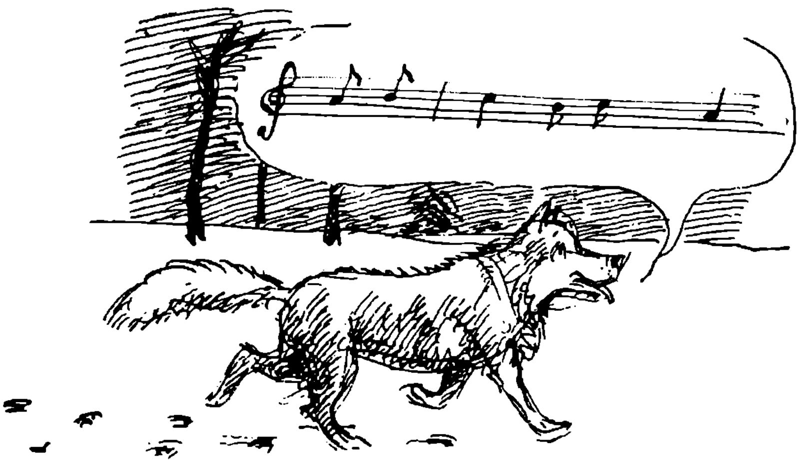

حين عاد الأبوان إلى البيت، شمّا رائحة على عتبة المطبخ. فقالا:

- نشمّ هنا ما يشبه رائحة الذئب.

ظنَّت الصغيرتان أنهما مضطرَّتان للكذب وتصنَّعَتا الدهشة، وهو ما يحدث دوماً حين يستقبل أحد ذئباً في بيته خِفية عن أبويه. واحتجَّت دلفين:

- كيف يمكنكما أن تشمّا رائحة ذئب؟ لو دخلَ ذئبٌ إلى المطبخ، لأكَلَنا نحن الاثنتين؟

وافَقَ أبوها:

- صحيح. لم يخطُر هذا ببالي. لكانَ الذئب أكلَكُما.

لكن الصهباء التي لم تكُن تستطيع أن تكذب كذبتين متتاليتين، استاءَت من أن يتجرَّأ أحدٌ ويتحدَّث عن الذئبِ بمثلِ هذا الغدر. فقالَت وهي تضرب الأرض بقدَمِها:

- هذا ليس صحيحاً. الذئب لا يأكُل الأطفال. وليس صحيحاً أيضاً أنه شرّير. والدليل...

لحُسنِ الحظّ أنّ دلفين ركَلَتها في ساقيها، ولولا ذلك، لباحَت بكلّ شيء.

عندئذٍ، بدأ الأبوان نقاشاً مطوّلاً موضوعه نَهَمُ الذئب. وأرادَت الأمّ أن تستفيد من ذلك لتحكي مرة أخرى قصة ليلى، ولكنها لم تَكد تتلفَّظُ كلماتها الأولى حتى قاطَعَتْها مارينيت:

- أتعرفينَ يا أمي، لم تجرِ الأمور إطلاقاً كما تظنّين. لم يأكُل الذئب الجدَّة قَط. أنتِ تعرفين أنه لم يكُن ليُثقِلَ معدته مباشرةً قبل أن يتغدّى بطفلةٍ صغيرةٍ غضَّة.

وأضافَت دلفين:

- وأيضاً، لا يمكن أن نحقد عليه إلى الأبد...

- إنها قصَّة قديمة...

- إحدى أخطاء مرحلة الشباب...

- ولكلِّ خطيئةٍ مغفرة.

- لم يعُد الذئبُ كما كان في السابق.

- لا يحقّ لنا أن نُحبِطَ النوايا الحسنة.

لم يكُن الأبوان يصدِّقان ما تَسمَعه آذانهما.

قطَعَ الأب هـذه المُرافَعَـة الفاضحَـة ناعتاً ابنتَيـه بالطيش. ثم راحَ يُبرهِـن بأمثلـةٍ اختارَهـا بعنايـة أنّ الذئبَ يظـلّ ذئبـاً، وأنه ليس مـن الفطنـة أن نأمَلَ بتحسُّـنِه، وأنه حتى لو تظاهرَ يومـاً بأنه حيوانٌ طيّب، فسيكون أشدّ خطراً.

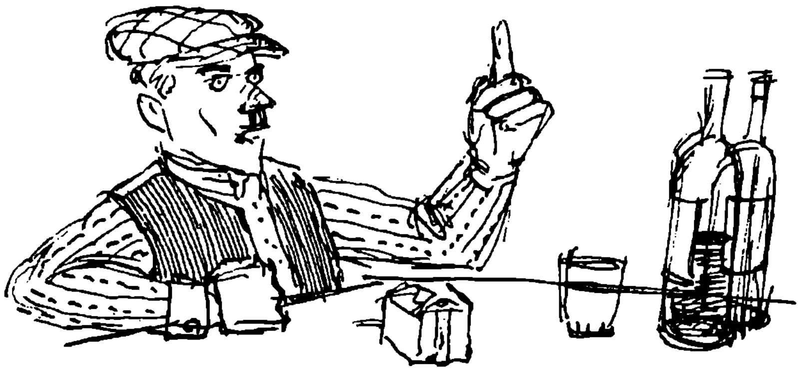

وفيمـا كان الأب يتكلّـم، راحَـت الصغيرتـان تفكِّـران فـي لعبة الحصـان والريشـة الطائرة اللتيـن لعبتاهما عصر هـذا اليوم وبفرحِ الذئـب العـارم وهـو يضحَـك بملء شـدقَيه حتـى كادَ يغشـى عليه. واختتمَ الأب:

- واضحٌ أنكما لم تواجِها ذئباً قط...

عندئـذٍ، لكـزَت الصهبـاء أختَها بمرفقهـا، فانفجَـرَت الصغيرتان بالضحـك في وجهِ الأب. أرسـلاهما إلـى النوم من دون عشـاءٍ عقاباً لهمـا على هـذه الوقاحـة، ولكنهما ظلَّتـا تضحَكان لوقـتٍ طويل من سذاجة أبويهما بعد أن آويتا إلى سريريهما.

وفـي الأيام التالية، لكي تنسـيا لهفتهما للقـاء صديقهما، وبنيَّة سُـخرية كانـت تُزعِج أمهمـا، تخيَّلـت الصغيرتـان أنهما تلعبـان لعبة الذئب. كانت الصهباء تغني الكلمات الشائعة:

«هيا نتنزّه في الغابة، فالذئب غائب. أين أنتَ أيها الذئب؟ هل تسمعني؟ ماذا تفعل؟».

فتُجيب دلفين المختبِئَة تحت طاولة المطبخ: «أرتدي قميصي» وتطـرح مارينيت أسـئلة تكفي حتـى يرتدي الذئب جميع ملابسـه من الحذاء إلى السيف. عندئذٍ، ينقضّ الذئب عليها ويفترسها.

كانت كلّ متعة اللعبة في اللامتوقّع، لأنّ الذئب لم يكُن ينتظر دومـاً الانتهاء من ارتداء ملابسـه ليَخرج من الغابـة، فكان يحدث له أن ينقضّ على فريسـته وهو يرتدي أكمام قميصه، أو حتى من دون أن يرتدي من ملابسه سوى قبعةٍ على رأسه.

لـم يقدِّر الأبـوان متعة اللعبة. وبعد أن ضجرا من سـماع هذه اللازمـة، منعا الصغيرتيـن في اليوم الثالث عـن تردادها وتذرّعا أنها تصمّ الأذنين. وطبعاً لم تشَـأ الصغيرتان ممارسـة لعبة أخرى فظلّ المنزل صامتاً حتى جاء يوم الموعد.

أمضـى الذئب طيلة فتـرة الصباح يغسـل خَطمه ويلمِّع شـعره ويشـذِّب فراء عنقه. وأصبح من الجمال بحيث أنّ سكان الغابة مرّوا بجانبه من دون أن يتعرّفوا عليه لأوّل وهلة. ولمّا وصل إلى السـهل، صادف غُرابين صغيرين يَشـخصان ببصَرِهما في عزّ الظهيرة، كعادة

جميـع الغربان تقريباً بعد الغداء، فسـألاه عن سـرّ جماله. فأجابهما في زهو:

- سألتقي صديقتيَّ. لقد حدَّدَتا لي موعداً بعد الظهر.

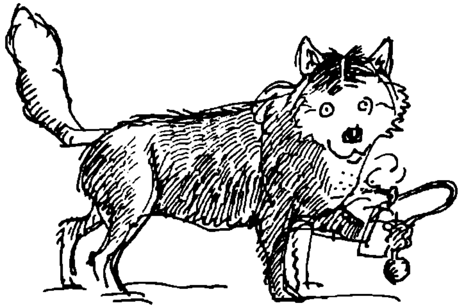

- لا بد أنهما جميلتان جداً حتى تأنَّقت إلى هذا الحدّ.

- طبعاً! ولن تَرَيا في السهل كلّه مَن له شقرتهما.

وشَـخَصَ بَصَر الغرابين الآن من الإعجاب، ولكن عَقْعَقاً عجوزاً ثرثاراً أصغى إلى حديثهم ولم يستطِعْ أن يتمالَكَ نفسه عن الضحك بسخرية.

- أيهـا الذئـب، لا أعرفُ صديقَتَيـك ولكنني واثقٌ أنَّـك اخترتهما مكتنزتين وغضَّتَين... أم أنني مخطِئ؟!

صرَخَ الذئب غاضباً:

- اخرَس أيها الأبله الثرثار! عرفتُ الآن لماذا ينعتونَكَ بالعَقْعَق العجوز الثرثار. من حُسنِ حظّي أنني أشعُر براحةِ الضمير!

حيـن وصَـلَ الذئـب إلـى البيت، لـم يضطرّ إلـى قَـرْعِ النافذة؛ كانـت الصغيرتان تنتظرانـه على عتبةِ الباب. تَعانـق الأصدقاء طويلاً

•

وبحنـانٍ فـاقَ حنـانَ المـرة الماضية، لأنّ أسـبوعاً مـن الغيـاب خَلَقَ لديهم لَهْفَة الصداقة. وقالت الصهباء:

- آه! أيّهـا الذئـب، كان البيت حزيناً هذا الأسـبوع. وقد تحدَّثنا عنكَ طَوال الوقت.

- أتعرِفْ أيّها الذئب، كنتَ محقّاً: لم يصدِّق أبوانا أنّ بمقدورك أن تكون طيباً.

- هذا لا يُدهشني. فمنذُ قليل رأيتُ عَقعقاً عجوزاً...

- لكننـا دافعنا عنكَ دفاعاً مسـتميتاً، فأرسـلنا أبوانا إلى الفراش من دون عشاء.

- ومنعانا يوم الأحد أن نلعَب لعبة الذئب.

تبـادَل الأصدقاء الثلاثة الكثير من الأحاديث قبل أن يفكِّروا في اللعـب، وجلسـوا بجانب المدفـأة. كان الذئـب محتـاراً. فالصغيرتان تريـدان معرفـة كلّ مـا فَعَله طوال الأسـبوع، هل قاسـى البرد وهل شُـفِيَت قائمته وهـل التقى الثعلبَ ودجاجـةَ الأرض والخنزير البري. وقالت مارينيت:

- حيـن يأتي الربيع أيّها الذئب، ستَصْحَبنا معـك إلى الغابات، هناك حيث توجَد جميع أنواع الحيوانات. برفقتكَ لن نخشى أحداً.

- فـي الربيع لن تخشَـيا شـيئاً في الغابـات يا حبيبتَـيَّ. من الآن حتـى ذلك الحين، سـأكون قـد وَعَظت رفـاق الغابة وسـيكون الأكثر فظاظـة بينهم قـد أصبح وديعاً مثـل الفتيات. أوّل أمس على سـبيل المثـال، التقيـتُ ثعلبـاً أثخَنَ لتوّه قـنّ دجـاج بالجراح. فقلـتُ له أنه لا يمكنـه الاسـتمرارَ فـي هـذا السـلوك، وأنَّ عليـه أن يغيِّـر حياتـه. آه! أنَّبْتـه علـى ذلك بشـدَّة! أمّـا هو المشـهور بدهائـه، أتعرِفان ماذا أجابنـي؟ «أيها الذئب، لا أرومُ إلّا السَّـيرَ على خطاك. سـنتحدَّث في الأمر فيما بعد. وحين سيتسـنّى لـي الوقت للقيـام بأعمالِكَ الخيِّرة، لن أتوانى عن إصلاح نفسي» هكذا أجابَني رغمَ كلّ مُكره.

همسَت دلفين:

- أنتَ فعلاً فائق الطيبة.

- أوه! أجـل، أنـا طيـب. ولا مجـالَ لقولٍ آخـر. ولكـن انظرا إلى هـذا، لن يصدِّق أبواكما ذلك أبداً. أشـعُر بالكرب حين أفكِّر في هذا الأمر.

وحتـى تزيل كآبة هذه الفكرة، اقترَحَت مارينيت جولَة من لعبة الحصان. وانغَمَسَ الذئبُ في اللعبة بحماسَةٍ فاقَت حماسَة الخميس السابق. ولمّا انتهت الجولة، سألت دلفين:

- أيها الذئب، ما رأيكَ أن نلعب لعبة الذئب؟

كانت هذه اللعبة جديدة عليه، فشَرَحَت له الصغيرتان قواعدها، وطبيعي أنهما اختارتاه ليقوم بدور الذئب. وبينما اختبَأ هو تحتَ الطاولة، راحَت الصغيرتان تمرّان أمامه جيئة وذهاباً وهما تغنّيان لازمة اللعبة:

«هيا نتنزّه في الغابة، فالذئبُ غائبٌ. أين أنتَ أيها الذئب؟ هل تسمَعنا؟ ماذا تفعل؟».

أجابَ الذئب وهو يُمسِكُ خاصِرَتَيه ويكادُ يغشى عليه من الضّحك:

- أرتدي سروالي.

واستمرَّ يضحك وهو يقول إنه يرتدي سروالاً داخلياً، ثم حمّالَتَي بنطال، ثم ياقة قميص وصدرية. وحين وصلَ إلى انتعال حذائه، بدأ يصبح جدياً، فقال:

- أعقدُ حزامي.

وندَّت عنه ضحكة خفيفة. وأحسَّ بضيقٍ وقلقٍ يُمسِك بخناقه، فكشَطَت مخالِبه بلاطَ المَطبخ.

راحت أقدام الصغيرتين تمرّان أمام عينيه البرّاقتين جيئة وذهاباً، فسَرَتْ رَعْدَة في أوصاله وزمَّ شفتيه.

- ... أين أنتَ أيّها الذئب؟ هل تسمَعنا؟ ماذا تفعَلْ؟

فقالَ بصوتٍ أجشّ:

- أتقلَّدُ سيفي!

وصارَت الأفكار مشوَّشَة الآن في رأسه. لم يعُد يرى سيقان الصغيرتين، وإنما يشمّ رائحَتَهم.

- ... أين أنت أيها الذئب؟ هل تسمَعنا؟ ماذا تفعَلْ؟

- أمتَطي صهوة حصاني وأخرجُ من الغابة!

عندئذٍ عَوى الذئب عواءً مخيفاً ووثَبَ من مخبئة فاغراً شدقَيْه ومشرعاً مخالبه. وقبل أن يتسنى الوقت لتَشعر الصغيرتان بالخوف، التَهَمَهُما. ولحسنِ الحظّ، لم يكُن الذئب يعرفُ كيف تُفتَح الأبواب، فظلَّ محبوساً في المطبخ. وحين عادَ الأبوان، لم يجدا مَناصاً من فتحِ بطنِه لتخليص الصغيرتين. لكن هذه المرة لم يكُن الأمرُ مجرَّد لعبة.

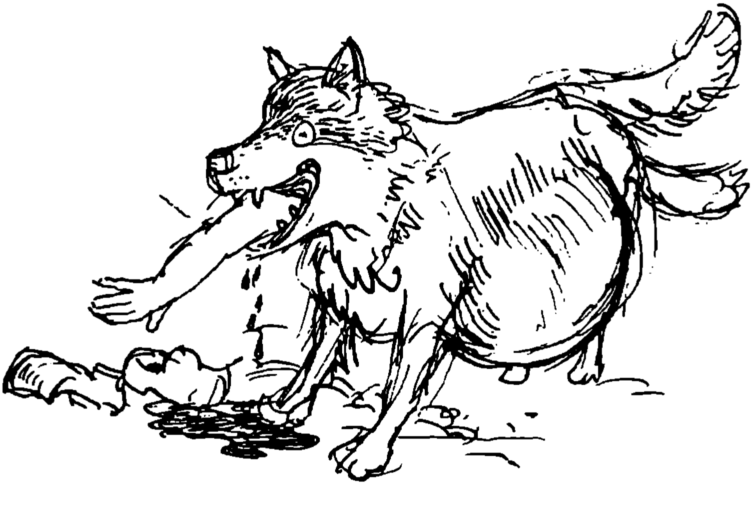

لامَتْهُ دلفين وماريتيت لأنه التَهَمَهُما من دون أن يُقيمَ وزناً لأيّ شيء، لكنهما كانتا قد لَعِبَتا معه ألعاباً مسلية، فتوسَّلَتا إلى أبويهما

أن يَدَعاه ينصرف. خاطا له بَطْنَه بإحكامٍ بواسطة خيطٍ مَتين مدعوكٍ بالشَّحم ومسلَّة كبيرة. بَكَتْ الصغيرتان لأنه تألَّم، لكن الذئب قال لهما وهو يكبَح دموعه:

- أستحقّ ما يحدُث لي، هيا، وأنتما في غاية الطيبة لتُشفِقا عليّ. أقسم لكما أنني لن أدَعَ الشَّرَهَ يستولي عليَّ في المستقبل. وأوَّل شيء سأفعله حين أرى أطفالاً هو الهرب.

أنتُم تظنون أنَّ الذئب وَفى بوعده. على أية حال، لم يسمَع أحد أنّه أكَلَ فتاة صغيرة منذ مغامَرَته مع دلفين ومارينيت.

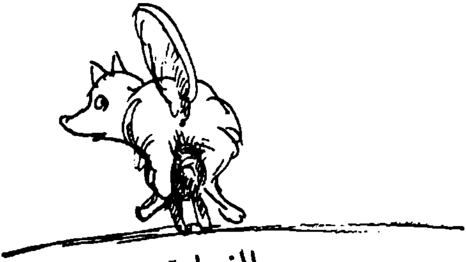

النهاية

الأيل والكلب

مكتبة
t.me/t_pdf

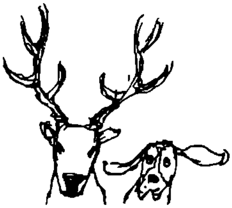

كانـت دلفين تُداعب قط البيت ومارينيـت تغنّي لِصُوصٍ أصفَر يقفُ على ركبَتَيها. فقالَ الصُّوص وهو ينظُر ناحية الطريق:

- انظري، هناك ثَور.

رفعَـت مارينيت رأسـها ورأت أيـلاً يخبّ في المـروج مقبِلاً نحو المزرعـة. كان أيـلاً ضخماً تعلو رأسَـه قرونٌ متشـعِّبَة. قَفَـزَ من فوق الخنـدق المُحـاذي للطريق ودخَـلَ الفناء، وتوقف أمـام الصغيرتين. كانت خواصره تنبض وقوائمه الضعيفة ترتعش وأنفاسه تلهث، فلم يستطِعْ الكلام فـي البداية. راحَ ينظر إلـى دلفين ومارينيـت بعينَيْنِ وديعَتَيـن ومسـتعطِفَتَين. ثـم خرَّ سـاجداً علـى ركبتيه وطلـبَ منهما متضرِّعاً:

- خبّئانـي. الـكلاب تُطارِدنـي. يريـدون أن يأكلونـي. دافِعـا عنّي.

احتَضَنـت الصغيرتـان عنقَـه وأسـنَدَتا رأسـيهما إلى رأسـه، لكن القطّ راحَ يضرب سيقانهما بذيله ويوبِّخَهما:

- أهذا أوانُ العناق! حين تنقضُّ الكلاب عليه، سيُصبِح أسمَن! أسمع الآن نباحَهُم على طرف الغابة. هيا، الأَوْلى بكما أن تفتحا له باب البيت وتقُوداه إلى غرفتكما.

لم يفتَأ، وهو يتحدَّث، يحرِّك ذَيلَه ويلسَع به سيقانهما بكلّ ما أوتِيَ من قوة. وفَهِمَت الصغيرتان أنهما أضاعَتا الوقت. فهرَعَت دلفين وفتَحَت باب البيت وسبَقَت مارينيت الأيل وأسرَعَت إلى الغرفة التي تُشارِكُها أختها بها. وقالت:

- هيا، استرِحْ هنا ولا تخشَ شيئاً. هل تريد أن أبسِطَ لك غطاءً على الأرض؟

قال الأيل:

- أوه! لا، لا تُتعبي نفسكِ. أنتِ في غاية الطيبة.

- لا بدّ أنك عطشان! سأصبّ لك ماءً في الإناء. ماؤنا بارد جداً. استخرَجْناه من البئر منذ قليل. لكنني أسمع القط يناديني. سأتركك. إلى اللقاء.

قال الأيل:

- شكراً. لن أنسى فضلك أبداً.

حين أصبَحَت مارينيت في الفناء، وأوصَدَت باب المنزل بإحكام، قالَ القط للصغيرتين:

- الأهم هو ألّا تُظْهِرا شيئاً. ارجِعا إلى جلستكما السابقة واهتمّا بالصوص وداعِبَاني.

أعـادَت مارينيـت الصـوص فـوق ركبَتَيْهـا، لكنـه لـم يهـدَأ فـي مكانه، وراح يتقافَز ويكتكت:

- ما معنى هذا! لا أفهم شيئاً. أريد أن أفهم لماذا أدْخَلْتُما ثوراً إلى البيت؟ أيل؟ آه! هذا أيل؟... حسن، حسن، أيل...

غنَّـت لـه مارينيت أغنية وهـي تهدهده فنامَ فجأة فـي مئزَرِها. وراح القـط أيضـاً يمـوء ويقبِّـب ظهـره مـن مداعبـات دلفيـن. وعلى الطريـق ذاتـه الـذي سلَكَه الأيـل، شـاهدت الصغيرتـان كلـب صيدٍ يجـري مُقبِـلاً، وأذنـاه متدلِّيتـان. اجتـازَ الطريـق راكضـاً، ولـم يبطِئ سُـرعَته إلّا وسـط الفنـاء ليتشـمَّم الأرض. ووصَـلَ أمـام الصغيرتين وهو على هذه الحال وسألهما فجأة:

- مرَّ الأيلُ من هنا. أين ذَهَب؟

قالت الصغيرتان:

- الأيل؟ أيّ أيل؟

نظرَ الكلبُ إليهما الواحدة بعد الأخرى، وحين رآهما تتضرَّجان بالحُمرَة، تابَعَ تشمّم الأرض. لم يتردَّد واندفَعَ مباشرة إلى الباب، وفي أثناء مرورِه، دفَعَ مارينيت برُعونة. كان الصوصُ يغطّ في النوم، فاهتزَّ في مئزَرِها. فتَحَ عيناً، وصفَقَ بجَناحيه، ومن دون أن يفهَمَ شيئاً ممّا يجري، عادَ إلى النوم في زغبه. في تلك الأثناء، راحَ الكلبُ يمرِّر أنفَه على عتبة الباب. وقال ملتفتاً نحو الصغيرتين:

- أشمّ هنا رائحة أيلٍ.

تظاهَرَتا أنهما لم تَسْمَعاه. لذلك راحَ يصرخ:

- أقول إنني أشمّ هنا رائحة أيل!

تصنَّع القط أنّه يهبّ من نَومِه جفلاً، وانتصَبَ على قوائمه، ونظَرَ إلى الكلب بهيئةٍ مندهِشَة وقال له:

- ماذا تَفعَل هنا؟ أهذه طريقةٌ لدخول بيوت الناس وتشمُّم أبوابهم؟! هلّا توقَّفْتَ عن مُضايَقَتي وانصَرَفْتَ من هنا!

نهضت الصغيرتان ودَنَتا من الكلب مطأطأتي الرأس. أخذَت مارينيت الصوص بيديها الاثنتين، وهو، بعدَ أن اهتزَّ على هذا النحو، انتهى إلى الاستيقاظِ فعلاً. مدَّ عنقه ذات اليمين وذات اليسار، وحاوَلَ أن يرى من علٍ اليدين، ولم يَفهم أين هوَ. نظرَ الكلب بقَسوة إلى الصغيرتين وقال لهما مشيراً إلى القط:

- هل سمعتُما بأيّة نبرة يُخاطِبني؟ يجب أن أؤدِّبَه، ولكن إكراماً لكما، لا أنوي أن أفعَلَ ذلك. وبالمُقابِل، ستقولان لي الحقيقة. هيا، اعترِفا. قبلَ قليلٍ رأيتما أيلاً يدخُل الفناء. فأشفَقْتُما عليه وأدخَلْتُماه البيت.

قالت مارينيت بصوت متلعثِمْ:

- أؤكِّد لكَ أنه لا يوجد أيلٌ في البيت.

لم تكَدْ تُنْهي كلامَها حتى انتصبَ الصوص على قائمتيه، ومالَ من فوق يدها كأنه يطلّ من شرفة، وراح يصرخ:

- لكن بلى! هيا، بلى! الصغيرة لا تتذكَّر، أمّا أنا فأتذكَّر جيداً! لقد أدخلت أيلاً إلى المنزل، أجل، أجل، أيلاً. حيوانٌ ضخمٌ له قرونٌ عديدة. آه! آه! من حسن الحظ أنّ ذاكرتي قوية!

وراحَ يَختالُ نافِشاً زغَبَه. ودَّ القطّ لو يستطيع أكلَه. وقال الكلب للصغيرتين:

- كنتُ واثقاً من ذلك. حاسَّـة الشمّ عندي لا تُخطئ أبداً. وحين قلـتُ إنّ الأيل موجود في البيت، كنت كأنني أراه. هيا، كونا عاقلَتين وأخْرِجـاه. فكِّرا أنّ هـذا الحيـوان ليـس لكمـا. ولـو عَرف سـيدي بما حَدَث، لجاءَ بالتأكيد إلى أبويكما. لذلك لا تُعانِدا.

لـم تكُن الصغيرتـان تحرِّكان سـاكناً. بدَأتا تنشـجان، ثم طفَرَت الدموع في عيونهما، وأخذَتا تنتحبان. عندئذٍ، أظهر الكلب تأثُّرَه. راحَ ينظـر إليهمـا تبكيان، ثـم طأطأ رأسـه وركَّـزَ قائمتَيه بطريقـةٍ متأمّلة. وفي النهاية، مسّ ربلَة ساق دلفين بأنْفِه، وقال متنهِّداً:

- هـذا غريـب، لا يمكننـي أن أرى صغيرتيـن تبكيـان. اسـمَعا، لا أريدُ أن أكونَ شـريراً. وعلى كلّ حال، لم يفعَل الأيل لي شيئاً. من جهة أخرى، بالتأكيـد، الطريدة هي الطريدة ويجب أن أؤدّي مهنتي. ولكن، هذه المرة... اسمَعا، سأتظاهَرْ بأنّي لم أرَ شيئاً.

ابتَسَمَت دلفين ومارينيت وهمَّتا أن تشكُراه، لكنه تهرَّب، وأصاخَ السَّمْعَ لنباحٍ بدا صادراً عن أطراف الغابة، وقال لهما هازّاً رأسه:

- لا تفرَحا. أخشى أنّ دموعكما ذهبَت هَدْراً وأنّ عليكما أن تَذرِفا غيرها بعد قليل. أسمَعُ نباحَ رهطٍ من رفاقي. سيعثُرون بالتأكيد على أثرِ الأيل وسرعان ما ستَرياهم يظهرون. فماذا ستقولان لهم؟ لا تفكِّرا باستدرارِ عطفِهِم. وأودّ أن أحذِّركما، إنهم لا يعرفون إلّا الخدمة. وإذا لم تفلتا الأيل، لن يغادروا البيت.

هتَفَ الصوص وهو ينحَني من شرفته:

- طبعاً يجب أن تفلتا الأيل.

قالت له مارينيت وهي تجهَش بالبكاء من جديد:

- اسْكُتْ أنت.

وبينما راحت الصغيرتان تبكيان، طفَقَ القط يهزّ ذيله ليفكِّر على نحوٍ أفضَل. ولم تبرحا تنظران إليه بقلق. أمرَ قائلاً:

- هيا، كفى بكاءً، سنستقبلُ الرَّهْط. دلفين، اذهبي إلى البئر واملئي سطلَ ماءٍ باردٍ وَضَعِيه في مَدخل الفناء. وأنتِ يا مارينيت، اذهبي إلى الحديقة مع الكلب. سألحَقُ بكما. ولكن تخلَّصي أولاً من الصوص. ضَعِيه تحتَ هذه القفّة، هيا.

وضعَت مارينيت الصوص على الأرض وقلَبَت السلَّة فوقَه، فألفَى نفسَه سجيناً قبل أن يتسنَّى له الوقت للاحتجاج. استخرجَت دلفين دلوَ ماءٍ من البئر ووَضَعَتْه عند مدخَل الفناء. وبينما كان رفاقها في الحديقة رأت طلائعَ رهطِ الكلاب تُعلنُ عن قدومِها بالنباح. ولم تلبَث أنْ عدَّتْهُم. كانوا ثمانية كلاب بالحَجم ذاته واللون ذاته بآذان طويلة متدلية. شعَرَت دلفين بالقَلق لأنها ستستقبِلَهم وحدَها. لكنّ القطّ لم يلبَث أن خرج من الحديقة، تسبقه مارينيت حاملةً باقةً كبيرة من الورد والياسمين والليلك والقرنفل. جاءا في الوقت المناسب. فالكلاب وصلت إلى الطريق. فتقدَّم القطّ لملاقاتهم وقال لهم بلطف:

- هل جئتُم من أجل الأيل؟ مرَّ من هنا قبل ربع ساعة.

سألَ أحدُ الكلاب بهيئة متشكِّكَة.

- هل تقصد أنه رحل؟

- أجـل، دخـل الفناء وخـرَجَ منه فـي الحـال. وكان هنالكَ كلبٌ يُطارِده، كلبٌ يُشبِهُكُم اسمه باتود.

- آه! أجل... باتود... فعلاً.

- سأدلّكم على الوجهة التي سلَكَها الأيل بالضبط.

زمْجَر الكلب:

- لا داعي. يمكننا أن نقتفي أثره.

تقدَّمَت مارينيت الجميع لمواجَهَة الرَّهْط وسألَت:

- مَـن منكُم يُدعـى رافاجور؟ كلَّفنـي باتو أن أبلِغَه رسـالة. قال لي: «ستميِّزينَه بسهولة فهو أجمل من جميع...».

انحنَى رافاجور لها احتراماً وارتَعَشَ ذيله. فتابَعَت مارينيت:

- أقسـمُ أنني كدتُ لا أميِّـزك. لأنّ رفاقكَ جميلـون أيضاً! فعلاً لم أرَ في حياتي كلاباً في جمالكم...

وأيَّدَتها دلفين:

- إنّهم في غاية الجمال. لا يملّ المَرء من النظر إليهم.

وسَرَت بين الرهط همهمات رضى وهزّوا جميعاً ذيولهم.

- إذاً كلّفنـي باتـو أن أقـدِّم لـك مـاءً. خالَ أنـك كنـتَ محموماً قليـلاً هذا الصباح وفكَّـر أنك بعد هذا الجري الطويل سـتحتاج إلى التبرُّد. هيا، هذا دلو ماء استخرجناه الآن من البئر... وإذا شاءَ رفاقكَ الاستفادة منه أيضاً...

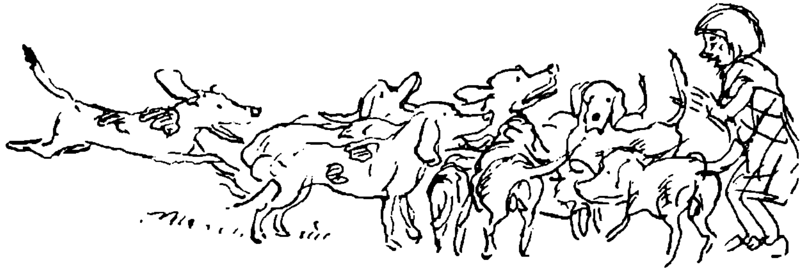

قالت الكلاب:

- هذا كرمٌ كبيرٌ منكِ.

اندَفَعَ الرهط نحو الدلو وأحدَثَ شيئاً من الفوضى. ومع ذلكَ، لم تبخَل عليهم الصغيرتان بمديح جمالهم وأناقتهم. فقالت مارينيت:

- جمالكم يُغريني أن أقدِّم أزهاري هدية لكُم. لم أرَ في حياتي كلاباً تستحقّها أكثَرَ منكم.

وفيما هم يشرَبون، اقتسمت الصغيرتان الباقة وأسرعتا تضعان أزهاراً في سواجير الكلاب. وخلال لحظة، وضعتا في ساجور كلّ واحد منهم تشكيلة أزهار مؤلفة من الورد والقرنفل والليلك والياسمين. وطابَ لهم أن يتأمَّل بعضهم الآخر.

- رافاجور، ياسمينة أخرى... الياسمين يناسبكَ فعلاً! ولكن أخبِرْني، هل ما زلتَ عطشان؟

- لا، شكراً. أنتِ لطيفةٌ جداً. ولكن علينا أن نلحَقَ بأيلِنا...

مع ذلك لم تتعجَّل الكلاب الانطلاق. وراحَت تطوفُ في المكان بهيئةٍ قلقَة من دون أن تستطيعَ تحديدَ وجهتها. ومع أنّ

رافاجـور تشـمَّم الأرض، لكنـه لـم يعثُـر على أثـرٍ للأيـلِ لأنّ روائحَ القرنفـل والورد والياسـمين والليلـك التي تعبقُ في منخريه طمَسَـت في الوقت ذاتـه رائحـة الحيـوان. وكذلـك الأمر بالنسـبة إلـى رفاقه المطوَّقـة أعناقهـم بالأزهـار وروائحهـا، طفَقـوا يتشـمَّمون من دون جدوى. وخاطَبَ رافاجور القطّ أخيراً:

- هل تتكرَّم وتدلّنا على الاتّجاه الذي سلَكَه الأيل؟

أجابَ القط:

- بكلّ سرورٍ. ذهَبَ من تلك الجهة، وعادَ إلى الغابة من المكان الذي تُحاذي فيه الحقول.

ودَّعَ رافاجـور الصغيرتيـن وابتعَدَ الرّهطُ المزيّـن بالأزهار خبباً. ولمّـا اختفـوا في الغابة، خـرجَ الكلب باتـو من مخبئه فـي الحديقة، وطلبَ إحضار الأيل. وقال:

- بمـا أنني تورَّطتُ في الاشـتراك بهذه المؤامـرة، لم يزَل لديّ نصيحةٌ أسْديها له.

أخرَجَـت مارينيـت الأيـل مـن البيـت. أقبَـلَ مرتعِشـاً مـن هَـول الأخطار التي نجا منها. قالَ له الكلب:

- لقـد نجَوْتَ اليوم، ولكـن ماذا عن الغد؟ لا أريـدُ أن أرعِبَكَ، ولكـن فكِّر فـي الكلاب والصياديـن والبنادق. هل تحسَـب أنّ معلمي سيغفِر لـكَ أنـك هَرَبـتَ منـه؟ عاجـلاً أم آجـلاً، سيُطلقُ رهطـاً

لمطارَدَتِك. وأنا نفسي سأضطرّ لمطاردتك وسيُؤسفني ذلك. لو أنّك تتعقّل وتتوقّف عن الجري في الغابات.

هَتَفَ الأيل:

- أتركُ الغابات! سأموت من الضجر. ثم أين أذهب؟ لا يمكنني البقاء في السهل على مرأى من المارة.

- ولماذا لا؟ عليكَ أن تفكِّر في الأمر. وعلى أيّة حال، أنتَ هنا الآن أكثر أماناً منك في الغابات. وإذا وَثقتَ بنصيحتي، ابْقَ هنا حتى يخيِّم الليل. أرى هناك على ضفة النهر أدغال تصلُح لتختبئ فيها. والآن وداعاً، وآمَل ألّا أصادفكَ مرة أخرى في غاباتنا. وداعاً أيتها الصغيرتان. وداعاً أيّها القطّ، واعتنوا جيداً بصديقنا.

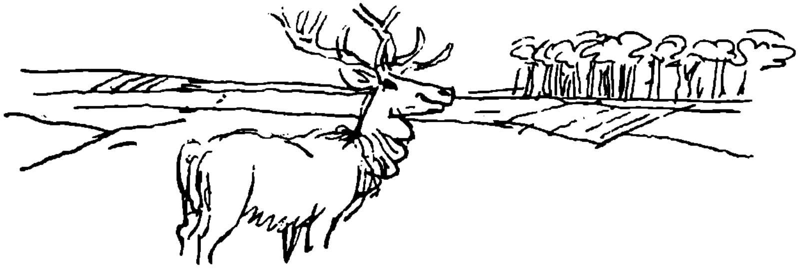

بعدَ مُغادرة الكلبِ بقليل، ودَّع الأيل أيضاً أصدقاءَه واتَّجه إلى الأدغال على ضفة النهر. تلفَّتَ مراراً وتكراراً نحو الصغيرتين اللتين تلوِّحان له بمناديلهما. حين وصَلَ إلى ملجئه، تذكَّرت مارينيت أخيراً الصوص الذي نَسِيته تحت القفّة. كان قد غفا، ظناً منه أنّ الليل أرخَى سدوله.

حيـن عاد الأبوان من السـوق التي قصداها منذ الصباح لشـراءِ ثـورٍ جديـد، كان مزاجهمـا متعكِّـراً. لم يتمكَّنا من شـراء ثورٍ بسـبب ارتفاع الأسعار الفاحش.

واستشاطا غضباً:

- ما أسـوأ أن يضيِّعَ المرء نهاراً بطوله من أجل لا شيء. وبماذا سنعمَل؟

علَّقت الصغيرتان:

- يوجد ثور في الحظيرة.

- يـا له من كدن موفق! كأن ثوراً واحـداً يكفي! الأجدَر بكما أن تصمُتا. ثـم كأنّ أموراً غريبة حدَثَت في أثنـاء غيابنا. لماذا هذا الدلو هنا في مدخل الفناء؟

قالت دلفين:

- أنا سقيتُ العجلَ قبل قليل ونسيتُ إعادة الدلو إلى مكانه.

- هممـم! وزهرة الياسـمين وهـذه القرنفلـة المبَعثَرَتـان هناك على الأرض؟

قالت الصغيرتان:

- قرنفلة؟ فعلاً، هذا صحيح.

ولكنهما على مرأى من الأبوين، لم تستطيعا أن تمنَعا نفسَيْهما عن الاحمرار. حينئذٍ استولَى عليهما شكّ فظيع وهَرَعا إلى الحديقة.

- جميعُ الأزهارِ مقطوفة! الحديقة منهوبة. الورود! الياسمين والقرنفل والليلك! أيتها الصغيرتان الشقيّتان، لماذا قطفتما أزهارنا؟

تلعثَمَت دلفين:

- لا أدري، لم نرَ شيئاً.

- آه! لم تَرَيا شيئاً؟ آه! فعلاً؟

حين رأى القطّ الأبوين يتأهّبان لشدّ آذانِ الصغيرتين قَفَزَ إلى أدنى غصنٍ في شجرة التفاح وقال لهما وجهاً لوجه:

- لا تتسرَّعا. لم يُدْهِشْني أنّ الصغيرتين لم تَرَيا شيئاً. حين كانتا تتغدّيان عند الظهر، وأنا أتشمَّس على حافة النافذة، لمَحْتُ متشرّداً على الطريق يختلس النظر إلى الحديقة. ونمتُ من دون أن آخذ الحيطة، ولمّا فتحتُ عينيّ بعد لحظة، رأيتُ رجلاً يبتعدُ على الطريق حاملاً شيئاً بين ذراعيه.

- أيّها الكسول. ألَم يكُن عليكَ أن تَجري وراءه؟

- وماذا كان بوسعي أن أفعل، أنا القطّ المسكين؟ ليس المتشرِّدون ضمن مجال عملي. إنني أصغَر ممّا ينبغي. ما نحتاجه هنا، هو كلب. آه! لو كان عندنا كلب!

تذمَّر الأبوان:

- وأيضاً نُطعم حيواناً آخر لا يعمَل شيئاً؟ يَكفينا أنت.

قال القط:

- كما تشاءان. اليوم سرَقوا أزهار الحديقة. وغداً يَسرُقون الدجاجات، وبعد ذلك يسرقون العجل.

لم يُجِبْ الأبوان، لكنّ كلامه الأخير حثَّهما على التفكير. وبدَت لهما فكرة اقتناء كلبٍ فكرة سديدة وناقشاها مراراً خلال السهرة.

على العشاء، جلس الأبوان إلى المائدة مع الصغيرتين وظلّا يتذمَّران من أنهما لم يوفَّقا في شراء ثورٍ بسعرٍ مناسب، أمّا القط فانطلق عبر المرج نحو ضفة النهر. كان المساء قد حلَّ، وراحت زيزان الليل تغني. وَجَدَ الأيل مضجَعاً بين دغلتين يأكل أوراق الأشجار والعشب. خاضا نقاشاً مديداً، وبعد أن عانَدَ الأيلُ خلالَه آراءَ القط، انتهى إلى الاقتناع.

في صباح اليوم التالي الباكر، دَخَلَ الأيل فناءَ المزرعة، وقال للأبوين:

- صباحُ الخير. أنا أيلٌ يبحَث عن عملٍ. هل لديكُم عملٌ من أجلي؟

أجابَ الأبوان:

- يَجِب أن نعرفَ أولاً أية أعمالٍ يُمكنكَ القيام بها.

- يمكنني أن أركُضَ وأهرولَ وأمشي. إنني قويّ مع أنّ سيقاني نحيلة. ويمكنني أن أحملَ أثقالاً. أستطيع جرَّ عربة وحدي، أو مكدوناً

مـع آخر. وإذا كنتُما مسـتعجِلَين للوصول إلى مكان مـا، تقفزان على ظهري وأذهبُ بكما أسرَع من حصان.

- لا بأس بهذا، لكن ما مطالبكَ؟

- المأوى والطعام وطبعاً الراحة يوم الأحد.

رفع الأبوان أذرُعَهُما نحو السـماء. لم يكونا يحبّان سَـماع عبارة يوم الراحة هذه.

قال الأيل:

- الأمـُر يعـودُ لكما، إمّا أن تقبـلا أو ترفضا. ولاحظـا أنني قَنوع وطعامي لن يكلِّفكما شيئاً.

حيـن سـمع الأبـوان هـذه الكلمـات الأخيـرة قـرّراً ووافقـا أن يستخدماه شهراً على سبيل التجربة.

في تلـك الأثناء، خرجت دلفين ومارينيت مـن المنزل وتظاهَرَتا بالدَّهشة عند رؤية صديقهما. فقال الأبوان:

- وجدنا رفيقاً للثور. حاوِلا أن تُعاملاه بالحسنى.

قال الأيل:

- ابنتاكما الصغيرتان فائقتا الجمال. أنا واثقٌ من أنني سأتفاهم معهما.

لـم يُضِعْ الأبوان الوقت، وتأهَّبا للذهـاب إلى الحراثة، فأخرَجا الثور من الحظيرة. ولمّا رأى الأيل بقرونه المتشعِّبَة لم يتمالك نفسه

عن الدهشـة، وراحَ يتبسّم في البداية، ولم يلبَث أن قَهْقَهَ، واضطرّ أن يجلسَ على الأرضِ من شدَّة الضحك. كان ثوراً مرحاً.

- آه! كـم هي مضحكة هذه الشـجرة الصغيرة فوق رأسـه! لا، دَعوني أضحَـك! وهـذه القوائم، وهـذا الذيـل القصيـر! لا، دَعوني أضحك قدرَ ما أشاء.

قال الأبوان:

- هيّا، كفى هذا، انهَضْ. حانَ وقت التفكير في العمل.

نهَـضَ الثور، ولكنـه حين عَرف أنه سـيُكدَنُ مع الأيل، اسـتأنَفَ الضحك أشدّ من ذي قبل. اعتذَرَ من رفيقه عن ذلك.

- لا شكّ أنك تَجِدُني أحمقَ، لكنّ قرونك مسلِّيَة فعلاً ويصعُب عليّ أن أعتادَ عليهما. على أيـّة حال، أجدُ شَكْلَكَ لطيفاً.

- اضحَكْ كما يحلُو لكَ، فلن أغضَبْ. وماذا لو قلتُ أنا أيضاً إنّ قَرنَيْك يُسلِّيَانني؟ لكنني أظنّ أنني لن ألبَث أن أعتادَ عليهما.

وفعلاً، بعد أن حَرَثا نصف نهار، لم يعودا يفكِّران في الاندهاشِ من شَكل القرون. كانت ساعات العمل الأولى شاقّة على الأيل، مع أنَّ الثور لم يألُ جُهداً ليخفِّفَ العبء عنه. وكان أصعَب ما يُواجهه هو التوفيق بين مشيته ومشية رفيقه. كان يُسرِع أكثَر ممّا ينبغي، وبعد لحظة يلهَث متعثّراً بكُتلٍ من التراب، ويُبطئ سُرعة الكدن. وغالباً ما كان المحراث يسير مواربة. كان الثلم الأول شديد التعرُّج وكادَ الأبوان يتوقّفان عن متابعة مهمَّتهما. وبعد ذلك، سارَت الأمور على ما يرام بفضلِ آراء الثور السديدة وشهامَتِه، ولم يلبَث الأيلُ أن أصبَحَ حيوان فلاحة ماهر.

مع ذلك، لم يهتم قَط بعملِه إلى درجة الاستمتاع به. ولولا رفقَة الثور الذي رَبَطْته صداقة وطيدة معه، لما استطاعَ الصمودَ على الأرجح. كان يتلهَّف لرؤية النهار ينتهي ليتخلَّص من نظام الأبوين الصارم. وحين يعود إلى المزرعة، كان يرتاح بالجري في الفناء والمرج. ويلعب بسرور مع الصغيرتين، وحين تجريان خلفه، يتعمَّد أن يدَعهما تُمسكانه. كان الأبوان ينظران إلى هذه التصرّفات من دون رضى، ويقولان:

- ما معنى هذا؟ بعد نهار عمل، تذهب وتُتعِب نفسَك في الركض بدلَ أن ترتاح وتستعدَّ لليوم التالي. إنكَ مثل الصغيرتين، تجريان طوال النهار ولا تحتاجان إلى اللهاث خلفك.

فيردّ عليهما الأيل:

- ممَّ تتذمَّران؟ يكفيكما أنني أقومُ بعملي على أكمَل وجه. وبالنسبة إلى الصغيرتين، أنا أعلِّمهما الركض والقَفز. منذ وجودي هنا، صارَتا تجريان أسرع. أليس هذا شيئاً مهمّاً؟ وهل هُناك في الحياة شيء أنفَع من الركض بسرعة؟

لكنّ جميع هذه الأسباب الوجيهة لم تُرْضِ الأبَوَين، فاستمرّا في التذمّر وهُما يرفعان أكتافهما. لم يكن الأيل يحبّهما، ولولا خوفه على مشاعرِ الصغيرتين لأطلَقَ العنان لمشاعره الحقيقية أكثَر من مرّة. وقد ساعَدَه على التحلّي بالصبرِ بعضُ الحيوانات التي عَقَدَ معها أواصِرَ الصداقة. كان يوجد ذكر بطّ أزرق وأخضَر يتفاهم معه على أكملِ وجهٍ فيُجلِسُه أحياناً بين قرونه ليُريه العالَمَ من علٍ. وكان يحبّ حبّاً جمّاً الخنزير أيضاً، لأنه يذكِّره بخنزيرٍ برّي من أصدقائه.

وكلّ مساء، في الزريبة، كان يسترسل في أحاديث مُسهبة مع الثور. راحَ كلّ واحدٍ منهما يروي سيرةَ حياته للآخر. كانت حياة الثور رتيبة ووصولُ الأيلِ إلى المزرعة هو أهمّ حَدَثٍ فيها. هو ذاته اعترفَ بذلك، وبدلَ أن يروي، آثَرَ الاستماعَ إلى صديقه. فراحَ

يتحدّث عن الغابات وفتحاتها، والبرك، وقضاء الليالي في ملاحقة القَمَر، والاستحمام بالندى، وعن قاطني الغابات.

- ليس لديّ سيدٌ، ولا التزامات، ولا مواعيد، وإنّما أجري على هواي، ألاعُب الأرانبَ، وأتحدّث إلى الوقواق أو إلى الخنزير البرّي يعبر...

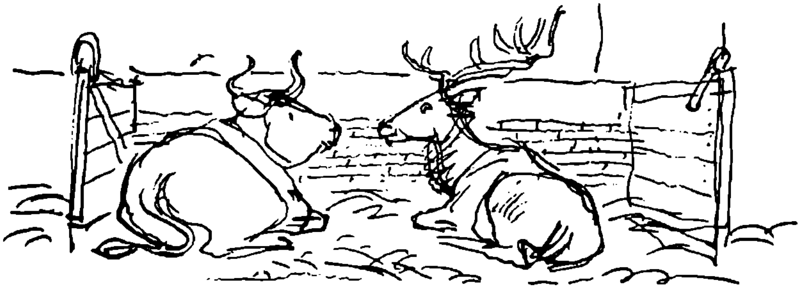

ويُجيب الثور:

- لا أقول لا، لكن الزريبة ليست بائسة أيضاً. أجدُ الغابة ملائمة لقضاءِ العطلة في فصلٍ دافىء. قُلْ ما تَشاء، لكن الغابات في الشتاء أو في الأيام الماطرة ليست ممتعة، في حين أنني هنا في منجى، حوافِري جافة، وحُزمَة قشٍّ وثيرة أنام عليها وتبن في معلفي. وهذا ليسَ شيئاً قليلاً.

ولكن الثور في أثناء حديثه بهذه الطريقة، راح يحلم بحسَد في حياة الغابة التي لم يَعِشْها قطّ. وكان يحدُث له، في أثناء النهار وهو يحرث وسطَ السهل، أن ينظرَ إلى الغابة مطلِقاً تنهيدةَ أسى

مثل الأيل. وحتى في الليل، كان يحلم أحياناً أنه يلعب مع الأرانب وسط فسحةٍ أو يتسلّق شجرة خلف سنجاب.

وفي يوم الأحد، كان الأيل يغادر الزريبة منذ الصباح الباكر ويَنطلق ليمضي النهار في الغابة. ويعود في المساء بعينين براقّتين ويُسهِبُ في الحديث عن لقاءاته فيها، وعن التآم شمله مع أصدقائه، وعن جَريِه وألعابه، ولكنه في اليوم التالي يُصبحُ حزيناً، ولا يتفوّه بكلمة إلّا ليتذمر من الحياة المملّة التي يعيشها في المزرعة. وطلبَ مراراً وتكراراً إِذْنَ الأبوين باصطحابِ الثور، ولكنهما غضبا أو كادا.

- تصطحب الثور! ليتسكَّع في الغابة! دَع الثور وشأنه.

كان الثورُ المسكين يرى بحسدٍ رفيقه يُغادر فيمضي يوم أحدٍ حزينٍ وهو يحلم بالغابات والبرك. كان يعتب على الأبوين لأنهما يحتضناه كأنه عجلٌ صغير، هو الذي تجاوَزَ الخامسة من عمره. وكذلك دلفين وماري‌نيت لم تحصلا قط على إذنٍ بمرافقة الأيل، ولكنهما في عصر أحد أيام الأحد، وبحجّة الذهاب لقطاف الزنبق البري، لَحِقَتا به إلى مكان في الغابة تواعَدوا على اللقاء فيه. امتطَيّتا ظهره وتنزَّهَتا في الغابة. تشبَّثَت دلفين بقرونه، وماري‌نيت تمسَّكت بحزام أختها. وراح الأيل يعلِّمهما أسماء الأشجار، ويُريهما الأعشاش وجحور الأرانب أو الثعالب. كان عَقعَق أو وقواق يحطّ أحياناً على قرونه ويسرد عليه أخبار الأسبوع. توقّف لبرهة على حافة بركة

ليتحادَث مع سمكة شبّوط عمرها أكثر من خمسين سنة تفغر أنفها خارج الماء. وبينما كان يعرِّفها بالصغيرتين، أجابت بمودّة:

- أوه! لا داعي لتُخبرني مَن هما. عرفتُ أمّهما حين كانت فتاة صغيرة، أتحدَّث عن فترة مضى عليها خمسة وعشرين أو ثلاثين عاماً، وأنا أراهما الآن، أخالُ أنّني ألتقي أمهما حين كانت في سنهما. لا يهمّ، يسرّني أن أعرف أنهما تسميان دلفين ومارينيت. تبدوان في غاية التهذيب والظُرف. يجب أن تعودا لرؤيتي أيتها الصغيرتان.

وعَدَت الصغيرتان:

- أوه! أجل، يا سيدتي.

ولمّا غادر الأيل البركة، أخذ دلفين ومارينيت إلى فسحة من الغابة وطلبَ منهما أن تترجَّلا. ثم شاهدَ ثقباً لا يكاد حجمه يتجاوز حجم قبضة اليد عند سفحِ تلّة تُغطيها الطحالب، فقرَّبَ خطمه منه، وتنحنَح ثلاث نحنحاتٍ خافتة. وحين تراجع بضع خطوات، شاهدَت الصغيرتان رأس أرنبٍ يطلّ من حافّة الثقب. فقال الأيل:

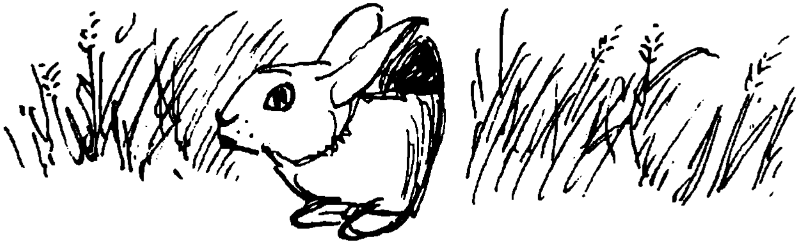

- لا تخشَ شيئاً، هاتان الصغيرتان هما صديقتاي.

اطمأنّ الأرنب وخرَجَ من جحره وفي إثره أرنبان آخران. شعروا بشيء من الخجل في البداية من دلفين ومارينيت ولم يلبثوا أن استكانوا لمداعباتهما. وطفقوا في النهاية يلعبون معهما ويطرحون عليهما الأسئلة. أرادوا أن يعرفوا مكانَ جحر الصغيرتين، وأيّ أعشاب تفضّلان، وهل وُلِدَتا بملابسهما أم أنها نبتَت لهما لاحقاً. ارتبكت الصغيرتان في إجاباتهما. فنزعت دلفين مئزَرَها لتُثبِتَ أنها غير متمسِّكة بجلدها وخلَعَت مارينيت حذاءها. ظنَّت الأرانب أنّ هذا يُسبّب ألماً شديداً للصغيرتين فأغمَضوا عيونهم حتى لا يروا المشهد. وحين فهموا أخيراً ما هي الملابس، علَّقَ أحدهم قائلاً:

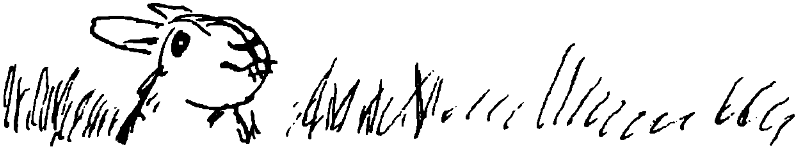

- هـذا طريـفٌ بالتأكيـد، لكنني لا أراه مزيّـة. قـد تضيِّعـان ملابِسَـكما أو تنسـيان ارتداءهـا. لمـاذا لا ينمـو لكمـا وبـر مثـل كلّ العالم؟ هذا أيسَر لكما.

كانت الصغيرتان تعلِّمانهم إحدى الألعاب حين قفزت الأرانب الثلاثة بالوثبة ذاتها إلى مدخل جحرها وهي تصرخ:

- كلب! اهربوا! هذا كلب!

قال الكلب:

- لا تخافـوا، أنـا باتـو. خلال مـروري بالقـرب من هنا، سـمعتُ ضحكات الصغيرتين فجئتُ ألقي عليهما التحية.

تقـدّم الأيل والصغيرتـان لملاقاتـه، ولكن لم يكُن بمقـدورِ أيّ شـيء أن يُقنعَ الأرانب بمغـادرة مدخل جحرهم. سـألَ الكلب الأيل كيـف أمضى أوقاته منذ يوم المطاردة وسـرّ سـروراً بالغـاً حين علمَ أنه يعمَل في المزرعة.

- نِعمَ ما فعلتَ وكلّي ثقة أنّ لديك من الأسباب ما يكفي لتبقى فيها دوماً.

احتجَّ الأيل:

- دومـاً؟ لا، هـذا غير ممكـن. لو تعرف كم هـو العمل مضجِر وكـم هي السـهول حزينة في أيـام القيظ هـذه، بينما الطقـس باردٌ وعليل في غاباتنا.

استطردَ الكلب:

- الغابات ليسـت آمنة إطلاقاً هذه الفتـرة. فنحن نخرج للصيد كلّ يوم تقريباً.

- تُريـد أن تخيفنـي، ولكننـي أعرف حـقّ المعرفة أنـه ليس ثمة شيء يدعو للخوف تقريباً.

- أجـل، أريدُ أن أخيفـكَ أيّها الأيل المسـكين. يوم أمس فقط، قتلنـا خنزيراً برياً. الأرجح أنـك تعرفه. إنه خنزير برّي هرم لديه ناب مكسورة.

وطفق الأيل يذرف الدموع وقال وهو ينوح:

- كان أعزّ أصدقائي!

نظرَت الصغيرتان إلى الكلب نظرةَ عَتَبٍ وقالت مارينيت:

- ألستَ أنتَ مَن قَتَلتَه، تكلَّم؟

- لا، لكنني كنتُ مع الكلاب التي هاجَمَته. كان أمراً محتوماً. آه! يـا لها من مهنة! لا يمكننـي أن أصفَ لكما كم أصبَحَـت تُرهِقُني منذ أن عرفتكما. لو استطعتُ، لتركتُ أنا أيضاً الغابة ولذهبتُ للعمل في مزرعة...

قالت دلفين:

- فعلاً، يحتاج أبوانا إلى كلب. تعال إلى البيت.

تنهَّد باتو:

- لا أستطيع. حين يمتهنُ المرء مهنة، عليه أن يُزاوِلَها. هذا هو الأهم أولاً. ومن جهة أخرى، لا أريد أن أهجر أيضاً رفاق الرهط الذين عشتُ معهم دوماً. لا تقلقوا عليّ. ولكن ما سيخفِّف عني حزن فراقكم هو أن يَعِدني صديقنا الأيل بالبقاء في المزرعة.

وساعدَت الصغيرتان الكلب في حثّ الأيل على هجران الغابات إلى الأبد، لكنّه تردَّد في الإجابة وراح ينظر إلى الأرانب الثلاثة تتوثَّب حول جحرها. توقَّف أحدها ودعاه للعب معهم. عندئذٍ، أومأ إلى الصغيرتين أنه لا يستطيع أن يقطَعَ أيّ وعد.

في اليوم التالي، راحَ الأيل يحلم بالأشجار وحيوانات الغابة وهو مكدون مع الثور في الفناء. وفي أثناء شروده، لم يسمَع أمرَ التحرُّك وظلَّ في مكانه. تقدَّمَ الثور إلى الأمام، ولكنه أحسَّ بمقاومة رفيقه فلبثَ مكانَه من دون حراك. قال الأبوان:

- هيّا، هووو! هذا الحيوان الغبي مرّة أخرى!

ولأنَّ الأيل ظلَّ شارداً ولم يحرِّك ساكناً، ضرباه بالعصا ضربة، فنفرَ عندئذٍ غاضباً وصرَخ:

- فُكّا النير عن عُنقي حالاً! لم أعُد أريدُ أن أخدمكما.

- هيا امشِ! ستثرثِر في وقتٍ آخر.

وحين رفَضَ جَرّ العربة، ضَرَبَه الأبوان أيضاً ضربَتَي عصا، ولأنه استمرّ على عناده، ضرباه ثلاث ضربات. وفي النهاية أذعَنَ،

وانتصَرَ الأبوان. وحين وصلا الحقل ليزرَعا البطاطا، أنزَلا كيس البذار وفكَّا نير الأيل والثور، وأطلقاهما يرعيان على حافة الطريق. بدا أنَّ ضربات العصا أتَت أُكْلَها، لأنّ الأيل أظهَر طاعته. ولكن لم يكَد الأبوان يبدآن الزراعة حتى قال للثور:

- هذه المرة، سأرحَل وإلى الأبد، لا تحاوِل أن تمنعني، ستضيِّع وقتك سُدى.

قال الثور:

- حسنٌ، إذاً سأرحل أيضاً. فأنتَ حدَّثتَني عن حياة في الغابات حتى صرتُ أتوق للتعرّف بها. هيا لنرحل.

ولمّا أدار الأبوان ظهريهما، توارى الصديقان خلف ستار أشجار تفاح مزهرة، ومن هناك سلكا درباً تُرابياً أفضى بهما مباشرة إلى الغابة. راح الثور يرقص خَبباً من فرط السعادة وهو يدندن أغنية علَّمَتاه إياها الصغيرتان. خالَ أنّ حياته الجديدة ستكون جميلة كما تصوَّرها وهو في الحظيرة. ولكنه لم يكَد يدخل الغابة

حتى بدأت أوهامه تتبدَّد. فقد وجَدَ صعوبة في اللحاق بالأيل بين الأشجار الكثيفة. كان منكبه يعيقه وقرناه الطويلان المزروعان أفقياً في رأسه يوقفانه كلّ لحظة. وراح يفكّر بقلقٍ أنه لن يستطيع أن يعدو بسرعة في الغابة إن تعرَّض لخطر. وفي تلك الأثناء، دلف الأيل أرضاً موحِلَة، وسار فيها بخفَّة من دون أن يترك أثراً وراءه، أمّا الثور فلم يكَد يتقدّم ثلاث خطوات حتى غاصَت سيقانه في الوحل إلى الركب. وحين تخلَّص من ورطته بعد عناءٍ كبير، قالَ لرفيقه:

- حتماً، الغابة لا تناسبني. حريّ بي ألّا أعاند وحريٌّ بكَ أنت أيضاً. سأعود إلى السهل.

لم يُحاول الأيل منعه ورافَقَه إلى تُخم الغابة. لمَحَ من بعيد جداً الصغيرتين كبقعتين شقراوين في فناء المزرعة وقالَ للثور وهو يُشير إليهما:

- لو لم يضربني أبواهما، لما تَرَكْتُهُما في حياتي. سأشتاقُ لهما، ولكَ، ولجميع حيوانات المزرعة.

وبعد وداعٍ مَديد، افترقا وعادَ الثور إلى حقل البطاطا.

حين علم الأبوان بهروب الأيل، ندما لأنهما ضرباه بالعصا. واضطرّا لشراء ثورٍ آخر كلّفهما ثمناً باهظاً، ولكن ما حَدَث قد حدث.

لـم تَشَـأ الصغيرتـان التصديـق بـأنّ صديقهمـا الأيل رحَـلَ إلى الأبد. وطفَقَتا تقولان:

- سيعود. لا يستطيع الاستغناءَ عنّا إلى الأبد.

لكن الأسابيع مرَّت ولم يعُد الأيل... كانتا تتنهّدان وهما تنظران صوب الغابة:

- نَسِيَنا. إنه يلعب الآن مع الأرانب والسناجب وقد نَسِيَنا.

وذات صبـاح، بينمـا كانـت الصغيرتـان تفرطان حبـوب البازلاء علـى عتبـة المنزل، دخـلَ الكلب باتـو إلى الفناء. كان رأسـه منكسـاً، تقدَّم نحوَهما وقال:

- أحملُ خبراً سيئاً لكما.

صرخَت الصغيرتان:

- الأيل!

- أجل، الأيل. قتله سيدي بعد ظهر يوم أمس. مع أنني بذلتُ ما بوسعي لتوجيه الرهط لاقتفاء أثر خاطئ. لكنّ رافاجور ارتابَ بي. وحين وصلتُ إلى الأيل، كان لا يزال يتنفس، وعَرَفني. قطف بأسنانه زهرة ربيع صغيرة وأعطاها لي من أجلكما. قال لي: «هذه للصغيرتين». هيا، ها هي في ساجوري. خُذاها.

بَكَت الصغيرتان في مئزريهما وبكى ذكرُ البطّ الأزرق والأخضر أيضاً. وبعد برهة استأنفَ الكلب:

- والآن، لم أعُد أريدُ أن أسمَع أيّ كلامٍ عن الصيد. انتهى هذا. كنت أريد أن أسألكما هل لا يزال أبواكما يرغبان بكلب.

أجابت مارينيت:

- أجل. كانا يتحدّثان في هذا الأمر منذ قليل. آه! أنا في غاية السرور! ستبقى معنا!

وابتسمت الصغيرتان وذكر البط للكلب الذي راحَ يهزّ ذيله بمودّة.

الفيل

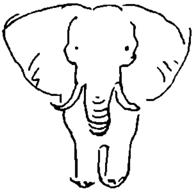

ارتـدى الأبـوان ثيـابَ يـوم الأحـد، وقـالا للصغيرتيـن قبـل أن يُغادِرا المنزل:

- لـن نأخذُكمـا معنـا لرؤية خالكمـا ألفريـد، لأنّ السـماء تُمطِر بغزارة. استفيدا من ذلك لحفظ دروسكما.

قالت مارينيت:

- أعرفها. حفظتها مساء البارحة.

قالت دلفين:

- أنا أيضاً.

- إذاً العبا بلطف، ولا تَدعا أحداً يدخل منزلنا.

ابتعـد الأبـوان، ووضَعَـت الصغيرتـان أنفيهمـا علـى النافـذة ولاحقتاهما بنظراتهما طويلاً. كان المطر يتسـاقط بغزارة، فلم تأسَـفا لأنهما لـم تذهبا لرؤية خالهما ألفريد. كانتـا تتحدثان عن لعبة الورق حين شـاهدَتا ديـكاً رومياً يجتـاز الفناء راكضـاً. والتجَأ تحت السـقيفة ونفضَ ريشه المبلَّل ونشَّف عنقه الطويلة بزغَب صدره. وعلَّقت دلفين:

- هذا طقس سيئ للديوك الرومية وللحيوانات الأخرى أيضاً. لحُسن الحظ أنّ هذا لا يدوم طويلاً. ولكن ماذا لو أنها تُمطر أربعين يوماً وأربعين ليلة؟

قالت مارينيت:

- لا يوجد مبرِّر لذلك. لماذا تريدينها أن تمطر أربعين يوماً وأربعين ليلة؟

- بالتأكيد. ولكنني كنت أفكر أننا قد نستطيع أن نلعب لعبة سفينة نوح بدلَ لعبة الورق.

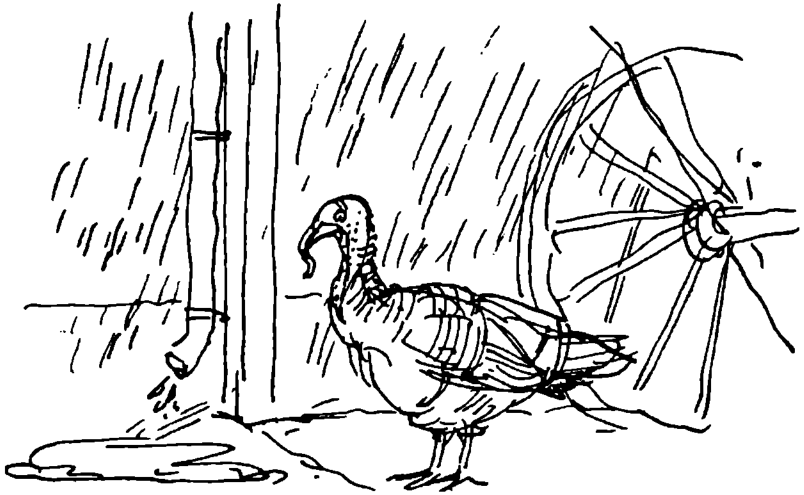

وجـدت مارينيـت الفكـرة سـديدة، ورأت أنّ المطبـخ يصلح أن يكون مركباً ممتـازاً. وأمّا الحيوانات، فلم تُواجـه الصغيرتان صعوبة فـي إيجادهم. ذهَبَتا إلى الحظيرة وإلى القن، وأقنعتا بسـهولة الثور والبقـرة والحصـان والخـروف والديـك والدجاجـة أن يلحقانهمـا إلى المطبخ. معظم الحيوانات كانت سـعيدة لأنها سـتلعب سفينة نوح. ولكن وجـدَ بينهم بعض المشاكسـين مثـل الديك الرومي والخنزير تذرّعوا أنهم لا يريدون إزعاجاً، لكن مارينيت أعلنت لهم بجدية:

- إنه الطوفان. ستُمطر السماء طيلة أربعين يوماً وأربعين ليلة. وإذا رفضتم المجيء إلى السـفينة، فواأسـفاه عليكم. ستغمُر المياه الأرض وستغرقون.

تدافَعت الحيوانات للدخول إلى المطبخ من دون أن يضطرّوها إلـى تكرار كلامها. ولم تكُن الدجاجات بحاجة إلى ما يُخيفهن، لأنهن

كنّ يرغبن جميعهن بالمجيء واللعب، وبعد أن اختارت دلفين إحداهن، اضطرّت إلى استبعاد الأخريات.

- أنتنّ تفهمن، لا أستطيع أن آخذَ سوى دجاجةٍ. وإلا، لن تكون هنالك لعبة.

وفي أقلّ من ربع ساعة، امتلأ المطبخ بممثّلين عن جميع حيوانات المزرعة. خشيت الصغيرتان ألّا يستطيع الثور عبور الباب بسببِ قَرنَيه الكبيرين، لكنه أمالَ رأسه جانبياً ودخل بيُسرٍ، وحذَت البقرةُ حَذوَه. امتلأت السفينة واضطرت الدجاجة والديك والدجاجة الرومية والديك الرومي والقطّ أن يجلسوا فوق الطاولة. لكن لم تحدُث أية فوضى وأظهرت الحيوانات تفهّماً وانضباطاً كاملين. فضلاً عن أنّ شيئاً من الخجل خالَجَهُم لوجودهم في المطبخ لأنه لم يسبِقْ لهم أن دَخَلوه باستثناء القطّ وربما الدجاجة. استقرّ الحصان قرب الساعة الجدارية، وراحَ تارة ينظر إلى الميناء والرقّاص، وتارة أخرى يدفعه القلق إلى تحريك أذنيه المدبّبتين. ولم تكُن البقرة أقلّ فضولاً فطفَقَت تتأمَّل جميع الأشياء الموجودة خلف زجاج خزانة الطعام. ولم تستطِعْ أن تحيدَ ببصرها بشكلٍ خاص عن الجبن وإناء الحليب، وراحت تردد همساً: «فهمتُ، الآن، فهمتُ...».

وبعد بُرهة وجيزةٍ، بدأت الحيوانات تشعُر بالخوف. وحتى الحيوانات التي كانت تعرف أنّ الأمر كله عبارة عن لعبة راحت

تتساءل هل هو فعلاً لعبة. لأنّ دلفين جلسَت في مركز القيادة على حافّة النافذة، وأخذَت تنظُر إلى الخارج وتُعلن بصوتٍ قلق:

- لم تزَل السماء تُمطر... المياه تعلو... لم أعُد أرى الحديقة الآن... الرياح تعصف... الدفّة إلى اليمن!

كانت مارينيت الملاح، فأدارَت مفتاح الموقد إلى اليمين، وتسرَّب بعض الدخان.

- لم تزَل تُمطِر... لامَسَت المياه أغصان شجرة التفاح... انتبهي إلى الصخور! الدفّة إلى اليسار!

وأدارت مارينيت المفتاح نحو اليسار وتضاءَل دخان الموقد.

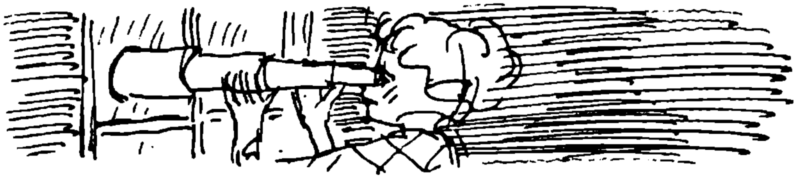

- المطر مستمرّ... لم أزَل أرى قِمَم الأشجار الباسقة، لكن المياه تعلو... قُضِيَ الأمر، لم أعُد أرى شيئاً...

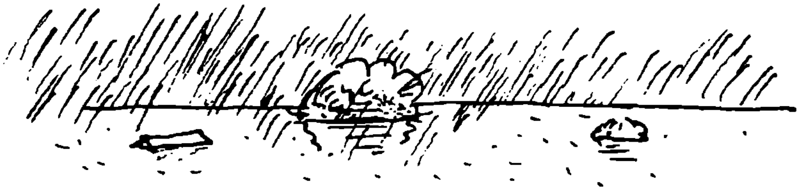

عندئذٍ، سمعوا نحيباً. إنه الخنزير الذي لم يستطِعْ كَبْحَ حزنه على فراق المزرعة. فصرخَت دلفين:

- التزموا الصمت على متن السفينة! لا أريد ذُعْراً. احذوا حَذْوَ القطّ. انظُروا إليه كيف يموء.

وبالفعل، كان القط يموء كأنّ شيئاً لم يحدُث، فهو يعرف حقّ المعرفة أنّ الطوفان ليس جدياً. وناحَ الخنزير:

- متى ستزول هذه الغمامة.

أعلَنَت مارينيت:

- احسبوا حسابكم لمدّة سنة على الأقل. لكن مؤونتنا كافية، ولن يجوعَ أحد، اطمئنوا.

انهارَ الخنزير المسكين باكياً بصوتٍ خافت. راحَ يفكِّر أنّ الرحلة قد تطولُ أكثَر ممّا تتوقَّع الصغيرتان وأنّ الغذاء قد ينفد ذات يوم، وبما أنه سمين، فقد خافَ خوفاً شديداً أن يأكلوه. وبينما هو يتبرَّم بيأسٍ وحزن، تسلَّقت دجاجة بيضاء صغيرة حافّة النافذة الخارجية وهي ترتعش تحت المطر. قرعَت الزجاج بمنقارها وقالت لدلفين:

- أريد أن ألعَب أيضاً.

- لكنكِ ترينَ أنّ هذا ليس ممكناً أيتها الدجاجة البيضاء المسكينة. فلدينا دجاجة.

واقتربَت مارينيت من النافذة وعلّقت:

- بخاصة وأنّ السفينة ممتلئة.

بدَت الدجاجة البيضاء في غاية الاستياء وهو ما أحزَنَ الصغيرتين، فقالت مارينيت لدلفين:

- على أيّة حال، ينقُصنا فيل. ويمكن للدجاجة البيضاء أن تحلّ مكان الفيل...

- هذا صحيح، السفينة تحتاج إلى فيل...

فتَحَت دلفين النافذة وأخذَت الدجاجة الصغيرة بين يديها وأخبَرَتها أنها ستكون الفيل. فقالت الدجاجة البيضاء:

- آه! أنا في غاية السعادة، ولكن كيف هو الفيل؟ لم أرَ في حياتي فيلاً.

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

حاوَلَت الصغيرتان أن تشرَحا لها ما هو الفيل لكنهما لم تنجَحا. وتذكَّرَت دلفين حينئذٍ كتاباً مصوّراً قدَّمه خالَها ألفريد لها. كان موجوداً في غرفة الأبوين المجاورة. فتركَت مهمة مراقبة السفينة لمارينيت وأخذَت الدجاجة الصغيرة إلى الغرفة، وفتَحَت الكتاب أمامَها، على صفحة صورة الفيل، وقدَّمت لها أيضاً بعض الشرح. تأمَّلت الدجاجة البيضاء الصورة بانتباهٍ فائق وجدِّيَة، لأنها كانت تطمح أن تصبحَ فيلاً. وقالت لها دلفين:

- سأتركك بعض الوقت في الغرفة، لأنه يجب أن أعود إلى السفينة. وريثما أرجع لأخذك، انظُري بإمعانٍ إلى صورتك.

تقمَّصَت الدجاجة البيضاء الصغيرة دورَها بمنتهى الجدية، فأصبَحَت فيلاً حقيقياً، وهو ما كان يتجاوَز آمالها. حدَثَ الأمرُ بسرعةٍ فائقة ولم تُدرِك في الحال التغيّر الذي طرَأ عليها. ظنَّت أنها لم تَزَل دجاجة صغيرة جاثمة في الأعلى، قرب السقف. لكنها تعرَّفت في النهاية على خرطومها ونابَيها العاجيين، وأقدامها الأربع الضخمة، وجلدها السميك الخشن الذي لم يزَل يحمل بضع ريشات بيضاء. كانت مندهشة بعض الشيء ولكنها راضية. وأكثر ما سرَّها، هو أنها أصبحت تتمتع بأذنين فسيحتين، هي التي لم يكُن لها أذنان من قبل إن صحَّ التعبير. وفكّرت: «لا بدّ أنّ الخنزير الفخور بأذنيه سيخفِّف من تَباهيه حين يرى هذين الأذنين».

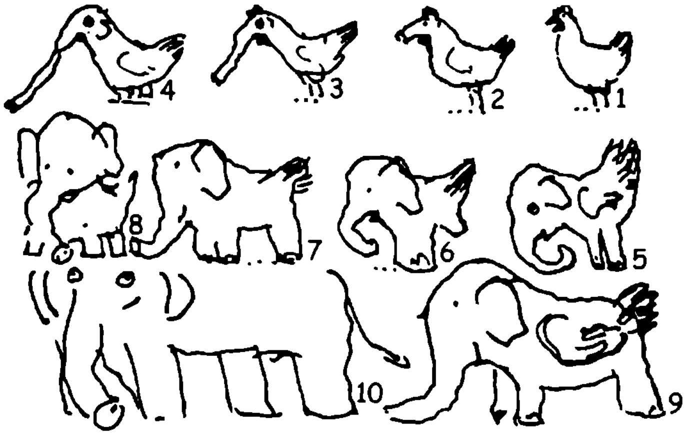

في المطبخ، نسيَت الصغيرتان تماماً الدجاجة البيضاء التي أتمَّت استعداداتها في الجهة الأخرى من الباب لأداء دورها. وبعد أن أعلنَتا أنّ الريح هدأت، وأنّ السفينة تُبحِر في مياه هادئة، وراحتا تستعدان لاستعراض الحيوانات المكلَّفَتين برعايتها. تزوَّدت مارينيت بمفكِّرة لتسجِّل عليها مَطالب الركاب، وأعلَنَت دلفين:

- أيها الأصدقاء الأعزاء، نحن الآن في اليوم الخامس والأربعين من الإبحار...

تنهَّد الخنزير:

- من حُسن الحظ أنّ الوقت يمرّ أسرَع ممّا توقعت!

- اصمُت! أيها الخنزير... أصدقائي الأعزاء، كما ترون، ليس عليكم أن تندموا لإبحاركم على متن هذه السفينة. الآن وقد تجاوزنا المرحلة الأصعب، نحن واثقون أننا سنعثُر على اليابسة خلال عشرة أشهر. يمكنني أن أخبركم الآن بذلك، ولكننا حتى الأيام

الأخيرة ماضية، واجَهْنا مراراً خَطَر الموت، وبفضلِ ملّاحنا استطعنا أن ننجو.

شكَرَت الحيوانات الملَّاح بودّ، واحمرَّت مارينيت من السعادة وقالَت مشيرة إلى أختها:

- وبفضل القبطان أيضاً... يجب ألّا تنسوا القبطان...

وافقت الحيوانات:

- طبعاً، طبعاً! لولا القبطان...

قالت لهم دلفين:

- هذا لطف منكم. لا يسعكم أن تتصوّروا كم تمنحنا ثقتكم الشجاعة... لأننا لم نَزَل نحتاجها. رحلتنا البحرية لم تنتهِ مع أننا تجاوزنا أهوالاً جسيمة... لكنني أودّ أن أكلِّمكم وأن أعرف هل لديكم مطالِبَ نُلبّيها لكم. لنبدأ بالقط. هل تطلب شيئاً أيها القط؟

أجاب القط:

- طبعاً. لو تكرَّمتم بطاسة حليب.

- سجِّلي: طاسة حليب للقط.

وبينما راحت مارينيت تسجِّل على مفكِّرتها طلب القط، فتَحَ الفيل الباب بخرطومه في منتهى الهدوء وألقى نظرة على السفينة. ابتهَجَ لِما رآه وتشوّق للانخراط في اللعبة. كانت دلفين ومارينيت تُوليَانه ظهريهما، ولا أحدَ ينظر نحوه الآن. فكَّر بمتعة في دهشة الصغيرتين حين ستكتشفانه. كان استعراض الركاب على وشك

الانتهاء، ولمّا وصَلَتا إلى البقرة التي لم تتوقّف عن تفحّص محتويات خزانة الطعام، فَتَح الفيل الباب على مصراعيه وقال بنَهيمٍ لم يكُن هو نفسه يعرفه:

مكتبة
t.me/t_pdf

- ها أنذا...

لم تصدِّق الصغيرتان أعينهما. مكثَت دلفين لبرهةٍ خرساءَ من الذهول، وترَكَت مارينيت مفكّرتها تسقط. صارتا الآن تشكّان أنّ السفينة لعبة وكادتا تصدِّقان أنه الطوفان. قال الفيل:

- آه! أجل، هذا أنا... ألستُ فيلاً جميلاً؟

أحجَمَت دلفين عن الركض إلى النافذة، لأنها كانت على أية حال القبطان، ولم يكُن يليق بها إظهار ذعرها. انحنَت نحو مارينيت ورجَتْها بصوتٍ خافت أن تذهب وترى هل اختفَت الحديقة تحت المياه. ابتعدَت مارينيت نحو النافذة وهمَسَت وهي عائدة:

- لا، كلّ شيء في مكانه. لا يوجد إلّا بضعة مستنقعات في الفناء.

لكن الحيوانات شعرت بشيء من القلق عند رؤيتها الفيل المجهول بالنسبة لها. وأطلقَ الخنزير قِباعاً كادَ يَشيع الذعر بين رفاقه. قالت دلفين بصرامة.

- إن لم يصمُت الخنزير فوراً، سأرميه في البحر... حسن. والآن يجب أن أقول أنني نسيت إخباركم عن الفيل الذي يسافر معنا. من فضلكم تراصّوا وأفسحوا له مكاناً على السفينة.

وعلى الفور توقّف الخنزير عن القِباع وهو خَجِلٌ من حَزْم القبطان. وتراصّت الحيوانات بعضهم بجانب بعض ليفسحوا أوسع مكان ممكن لرفيقِ رحلتهم الجديد. لكن الفيل حين أراد دخول المطبخ، اكتشف أنّ الباب أوطأ وأضيق من أن يستطيع عبوره. كان يحتاج باباً أكبر منه بمرّة ونصف على الأقل. فقال:

- لا أتجرأ أن أضغط، وأخشى أن أهدم الجدار. لأني قوي... وحتى قوي جداً...

هتفت الصغيرتان:

- لا، لا، لا تضغط! ستلعب في الغرفة.

لم يخطُر ببالهما أنّ الباب سيكون صغيراً إلى هذا الحدّ ولم يفتأ التعقيد الجديد يثير ذعرهما. لو استطاع الفيل الخروج، لدهش الأبوان دهشة كبيرة لرؤيته يتسكّع حول المنزل، لأن هذا النوع من الحيوانات غير موجود في القرية. ولكن لما كان لديهما في نهاية المطاف أيّ سبب للشكّ في الصغيرتين. ولربما اكتشَفَت الأم في اليوم التالي فقدان دجاجة بيضاء صغيرة، وسينتهي الأمر هنا. أمّا لو وجدا فيلاً في مطبخهما، فلن يفوتهما أن يطرحا الأسئلة وستضطرّ الصغيرتان للاعتراف أنهما جمعتا كلّ الحيوانات في المطبخ ليلعبوا سفينة نوح. تنهَّدَت مارينيت:

- هما مَن أوصيانا ألّا ندع أحداً يدخل المطبخ!

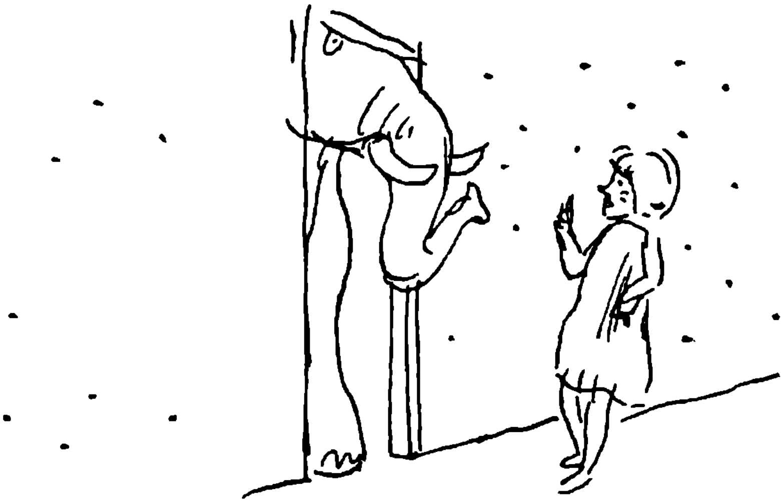

همسَت دلفين:

- قـد يعود الفيـل دجاجة بيضـاء صغيرة. علـى أيّ حال أصبح فيلاً من أجل اللعبة. وحين سـتنتهي لعبة السـفينة، لن يعود هنالك سبب ليبقى فيلاً.

- ممكن جداً. إذاً لنُسرِع في اللعب.

عادَت مارينيت إلى قيادة الدفّة ودلفين إلى غرفة القيادة.

- الرحلة البحرية مستمرة!

قال الفيل:

- هيا، هذا أفضل، يمكننا متابعة اللعب.

استأنَفت دلفين:

- نحن في البحر منذ تسعين يوماً. ولا شيء يستحقّ الذكر.

وعلَّقَ الخنزير:

- كأنّني أشمّ رائحة دخان.

فعـلاً، كانـت مارينيـت قـد انفعلت عنـد رؤيـة الفيل، فـأدارَت مفتاح الموقد دون أن تنتبه. وأعلَن القبطان:

- مئة واثنان وسبعون يوماً في البحر! ولا شيء يستحقّ الذكر.

عموماً، بدت الحيوانات راضية لأنّ الزمن يجري بسرعة، لكن الفيل وجدَ الرحلة البحرية رتيبة نوعاً ما، وعبَّر عن فكرته، مضيفاً بهيئة مستاءة:

- كلّ هذا جميل، ولكن ماذا أفعل أنا هنا في الداخل؟

أجابَت مارينيت:

- أنت تمثِّل دور الفيل، وتنتظر انحسار المياه. لا أظنّ أنّ عليكَ أن تتذمّر...

- آه! حسن، ما دام الأمر مجرّد انتظار...

- مئتان وسبعة وثلاثون يوماً في البحر! الريح تهبّ، كأنّ مستوى المياه بدأ ينخفض... إنه ينخفض!

أسعَدَ الخبر الجديد الخنزير فتدحرَجَ على الأرض مُطلقاً قباع الفرح. وأعلَنَت دلفين:

- اصمُتْ أيها الخنزير! أو سأدَع الفيل يأكلك.

قال الفيل:

- آه! أجل، أتوق لأكله!

وأضافَ وهو يغمز مارينيت:

- هذا طريف على أية حال...

- ثلاثمئة وخمسة وستون يوماً في البحر! ألمَح الحديقة، لنستعدّ للخروج، وفي نظام! انتهى الطوفان.

ذهبَت مارينيت لتفتح البـاب المطلّ على الفنـاء. وكادَ الخنزير يوقِعُهـا وهـو يتعجَّـل الخروج خوفـاً من أن يأكلـه الفيـل، ووجدَ أنّ الأرض ليسـت مبتلَّة جداً، فركَـض تحت المطر حتـى دخَلَ حظيرته. وغـادرت الحيوانات الأخـرى المطبـخ دون تَدافعٍ وآوت إلـى أماكنها في الزريبة أو القنّ. وحده الفيل ظلّ عند الصغيرتين، ولم يبدُ عليه أنه متعجِّل للذهاب. تقدَّمت دلفين نحوَه وقالت مصفِّقَة بيديها:

- هيا، أيتهـا الدجاجة البيضاء الصغيرة، هيـا... انتهت اللعبة... يجب أن تعودي إلى القن.

ونادتها مارينيت وهي تقدِّم لها حفنة حبوب:

- أيتهـا الدجاجـة البيضـاء الصغيـرة... أيتهـا الدجاجـة البيضاء الصغيرة...

ومـع أنَّ الصغيرتيـن توسَّـلَتا إليـه، إلّا أنّ الفيل رفَـضَ أن يعود دجاجة بيضاء صغيرة. وقال:

- ليـس بهدف مناكَدَتِكُما، وإنّما لأنني أجد أنّ من الطريف أكثر أن أكون فيلاً.

عادَ الأبوان نهاية العصر، وهما مسروران لرؤية الخال ألفريد. كان معطفاهما المطريان مبللين وقد تسرَّب الماء إلى حذائيهما. فتحا الباب وقالا:

- آه! ما أسوأ الطقس، لقد أحسنّا صنعاً بإبقائكما هنا.

سألَت الصغيرتان وقد تضرَّجَتا خجلاً:

- وكيف حالُ خالنا ألفريد؟

- سنخبركما بعد قليل. ولكن اتركانا أولاً نخلع ملابسنا في الغرفة.

اتّجه الأبوان نحو باب الغرفة. اجتازا وسط المطبخ، فأخذت الصغيرتان ترتجفان من الخوف. وراح قلباهما يخفقان بشدّة حتى اضطرتا أن تضغطا عليهما بأيديهما. قالت دلفين بصوتٍ مخنوق:

- معطفاكما المطريان مبتلان جداً. ربما الأفضل لكما أن تخلعاهما هنا. سأنشرهما أمام الموقد ليجفّا.

قال الأبوان:

- فعلاً، إنها فكرة حسنة، لم تخطُر ببالنا.

وخلع الأبوان معطفاهما المطريان ولمّا يزالا يقطران ماء، ونشراهما قرب الموقد. تنهَّدَت مارينيت:

- أودّ أن أعرف كيف حال الخال ألفريد. هل لا يزال يُعاني من الروماتيزم في ساقه؟

- لم يعُد الروماتيزم يؤلمه... لكن اصبرا لحظة، سنغيِّر فقط ثياب الأحد ونرتدي ثيابنا العادية، وبعدها ستعرفان كلّ شيء.

ومشى الأبوان نحو باب الغرفة. ولمّا أصبحا على بُعد خطوتين منه اعترضتهما دلفين وهمسَت:

- قبل أن تغيِّرا ثيابكما، ربما الأفضل لكما أن تخلعا أحذيتكما، وإلّا ستبقِّعان الطين في كلّ مكان وتوسخان أرض الغرفة.

قال الأبوان:

- فعلاً، هذه فكرة حسنة، لم تخطُر لنا على بال.

عادا إلى جانب الفرن وخلعا حذائيهما، ولكن هذا لم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة. ولفظت مارينيت مرة أخرى اسم الخال ألفريد ولكن بصوت خفيض لم يسمَعه الأبوان. ورأت الصغيرتان أبويهما يتّجهان نحو الغرفة، فجَمَّدَ الخوف خدودهما وأنفيهما وحتى أذنيهما. ولم يكد الأبوان يلمسان قبضة الباب حتى سمعا

نحيباً وراءهما. مارينيت هي مَن لم تستطِعْ حبس دموعها من شدّة رعبها ونَدَمِها أيضاً. سأل الأبوان:

- لكن لماذا تبكين؟ هل تتألمين؟ هل خرمشك القط؟ هيا، أخبرينا سبب بكائك.

تلعثمَت مارينيت:

- بسبب الف... بسبب الف...

ومنعَها النحيب أن تُكمِل. فسارَعَت دلفين إلى القول:

- تبكي لأنها ترى أقدامكما مبللة، وتخشى بالتأكيد أن يصيبكما زكام. ظنَّت أنكما ستجلسان أمام الموقد لتجفّفا جواربكما. ولذلك هيّأت الكراسي.

داعب الأبوان شعر مارينيت الأصهب، وقالا لها أنهما سعيدان لأنهما رُزِقا بابنة طيبة مثلها، ولكن ليس عليها أن تخشى من إصابتهما بالزكام. ووعَدا أن يعودا ليدفّئا أرجلهما بعد تغيير ملابسهما. وأصرَّت دلفين:

- ربما من الأفضل أن تتدفآ أولاً. ما أسرع الإصابة بزكام قوي...

- بوه! اعتدنا على هذا... ليست أول مرّة يتسرَّب فيها الماء إلى أحذيتنا، ومع ذلك لم نُصَب بالزكام.

- أقول ذلك لطَمأنة مارينيت. لا سيما أنها قلقة قليلاً على صحّة الخال ألفريد.

- لكن الخال ألفريد بخير! لم تكُن صحته من قبل على خير ما يرام كما هي الآن. اطمئنّا. بعد خمس دقائق ستعرفا التفاصيل. سنحكي لكما.

لم يعُد لدى دلفين ما تقوله. وهما يبتسمان لمارينيت، تقدَّم الأبوان خطوة نحو الغرفة، ولكن القط المختبئ تحت الموقد، غمَسَ ذيله في الرماد، وحرَّكه بشدّة، فأثار سحابة رماد ناعم دخل في أنفيهما لدى مرورهما بقربه وجعلتهما يعطسان مراراً، فهتفت الصغيرتان:

- كما تريان. يجب ألّا تضيِّعا دقيقة واحدة، لا بد أن تدفِّئا أقدامكما، تعالا بسرعة واجلسا.

أصابتهما الحيرة واضطرّا للاعتراف أنّ مارينيت كانت محقَّة وذهبا للجلوس على الكرسيين. وضعا أقدامهما على لوح الموقد وراحا ينظران إلى جواربهما تدخّن وتثاءبا بلا توقّف تقريباً. كان المشي الطويل تحت المطر على دروب موحِلَة قد أتعَبَهما، فبدا أنهما على وشك النوم، ولم تعُد الصغيرتان تتجرآن على التنفس.

فجأة جفلا. سمعا ما يشبه وَقْعَ قدم ثقيلة؛ واهتزّت الأواني في خزانة الطعام.

- آه! هذا... ثمة مَن يمشي في البيت... كأن...

قالت دلفين:

- لا يوجد شيء. إنه القطّ يُطارد الفئران في العلية. سمعنا اليوم بعد الظهر الضجّة ذاتها أيضاً.

- هذا غير ممكن! أنتِ مخطئة بالتأكيد. كيف يمكن لقطّ أن يهزّ خزانة طعام؟ أنتِ مخطئة بالتأكيد.

- لا لستُ مخطئة، هو ذاته مَن أخبرني بذلك منذ قليل.

- آه؟ حسن! لم أتخيَّل في حياتي أنه يمكن لقطّ أنْ يُصدر مثل هذه الضجة. ولكنه ما دام أخبركِ بذلك، فهذا حسن.

تحت الموقد انكمش القطّ على نفسه. وسرعان ما انقطعت الضجة، لكن الأبوين فقدا الرغبة في النوم، وريثما تجفّ جواربهما تماماً، راحا يسردان وقائع زيارتهما للخال ألفريد.

- كان الخال ألفريد ينتظر على عتبة الباب. حين رأى الطقس سيئاً، عرف أنكما لن تأتيان. آه! أعرَبَ عن أسفه لعدم وجودكما، وكلّفنا... هيا، حسن، ها هو وقع خطوة ثقيلة أخرى! أقسم أنّ الجدران اهتزت!

- إذاً، هل قال الخال ألفريد لكما شيئاً عنا؟

- أجل، قال لنا... آه! لن تقولا لي هذه المرة أنه القط. كأنّ المنزل سينهار!

وانكَمَش القط أكثَر تحتَ الموقد، ولكنه لم ينتبه أنّ طرف ذيله بقي بارزاً، وفطن لذلك بعد فوات الأوان. فقد رآه الأبوان حين حاول أن يحشره بين قائمتيه. وقالا:

- لم يعُد بوسعكما الآن اتّهام القط، ها هو تحت الفرن!

تأهَّبا لمغادرة كرسيهما والذهاب للبحث عن مصدر وقع الخطى الذي جعلَ الفرن يرقص. خرج القط حينئذٍ من مخبئه وتمطّى بقوائمه الأربع، كأنه استيقظ لتوّه، وأعلنَ بصوت غاضب:

- كم هو مؤسف ألّا يعود بمقدور المرء النوم في هدوء! لا أدري ماذا دهى الحصان منذ هذا الصباح، ولكنه لم ينفكّ يرفُسَ الجدران وعوارض إسطبله. لجأت إلى المطبخ ظاناً أنني لن أعود أسمع كلّ هذه الضجة، لكن الحال فيه أسوأ من العلية. أتساءل ماذا دهى الحصان حتى يهتاج هكذا.

قال الأبوان:

- فعلاً، لا بد أن هذا الحيوان مريض أو يشعُر بالضيق. سنذهب لرؤيته بعد قليل.

وبينما راحا يتحدثان عن الحصان، طفقَ القط ينظر إلى الصغيرتين ويهز رأسه، كأنه يقول لهما أنّ كلماتهما لن تُجدي شيئاً وحريّ بهما التوقّف عن عنادهما. وفعلاً، ما الجدوى؟ فهي لن تمنع الأبوين من دخول الغرفة. وخمس دقائق أبكر أو خمس دقائق أبعد، لن تغير في الأمر شيئاً. وارتأت الصغيرتان رأي القط تقريباً، ولكنهما تعتقدان أنّ خمس دقائق أبعد أفضل من خمس دقائق أبكر. وسعَلَت دلفين لتجهر بصوتها وسألت مرة أخرى:

- كنتما تقولان إنّ الخال ألفريد كلّفكما...

- آه! أجل، الخال ألفريد... تفهَّم جيداً أن الطقس غير مناسب لخروج الأطفال. فالمطر كان غزيراً، كما تعرفان، لا سيما حين وصلنا. كان طوفاناً حقيقياً... من حسن الحظ أن هذا لن يدوم، كأن المطر خفَّ الآن، أليس كذلك؟

ألقى الأبوان نظرة من النافذة وأطلقا صيحة دهشة حين شاهدا الحصان يتنزّه في الفناء.

- انظروا! هو ذا الحصان يتنزه! لقد أحسَنَ صنعاً لأنه فكّ نفسه وجاء يروِّح عنها في الفناء. حسنٌ، هذا أفضل له. سيهدأ بعد قليل، وعلى الأقل لن نعود نسمعه يرفس في الحظيرة.

وفي اللحظة ذاتها، سمعا وقع الخطى من جديد، ولكنها كانت أثقل من سابقاتها. راح خشب الأرضية يتقصف والمنزل يئنّ من أسفله إلى أعلاه. انتصبت الطاولة على قائمتين وشعَر الأبوان أنهما يترنّحان على كرسيهما، فهتفا:

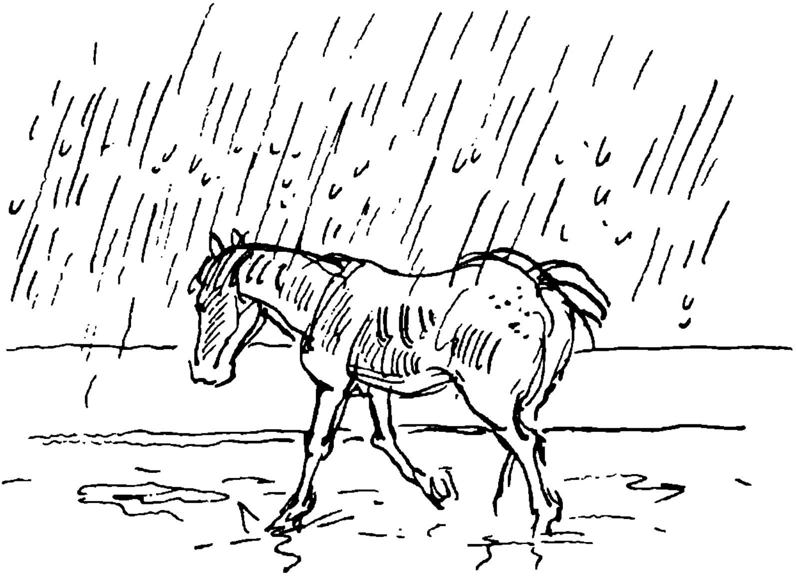

- واضح أنه لا يمكن أن يكون الحصان، ما دام موجوداً في الفناء! أليسَ كذلك أيها القط، لا يمكن أن يكون الحصان؟

أجابَ القطّ:

- بالتأكيد، بالتأكيد... لا بدّ أنها الثيران تتململ في الحظيرة...

- ماذا تهرف أيها القط؟ هل رأى أحد في حياته ثيراناً تتململ من الراحة؟

- إذاً هو الخروف يتشاجر مع البقرة.

- الخروف يُشاجر؟ همم! نحسّ أنّ وراء الأَكَمَة ما وراءها... همم! ثمة شيء غير واضح...

راحَت الصغيرتان ترتجفان بقوّة وحتى رأسيهما الشقراوين اهتزّا، وهو ما حمَل الأبوين على الظنّ أنهما تُدافعان عن

نفسيهما بإزاء عصيانهما لأوامرهما. أخذا يتذمّران وشيء من الشك يداخلهما:

- آه! حسن... لأنكما إذا سمحتما لأحدٍ بدخول المنزل... آه! لو سمحتما لأحد... أيتها الصغيرتان التعيستان! يجدر بكما... يجدر بكما لا أدري ماذا.

لم تتجرّأ دلفين ومارينيت حتى على النظر إلى الأبوين اللذين قطّبا حاجبيهما تقطيبة مرعِبَة. حتى القط ذاته ارتاعَ ولم يعُد يدري أيّ وقفة يقف. وتمتَم الأبوان:

- المؤكَّد هو أنّ وقع الخطى قريب جداً. لم يصدُر من الحظيرة حتماً... كأنّ أحداً يمشي في الغرفة المجاورة... أجل في الغرفة... هيا لنَرَ.

كانت جواربهما قد جفَّت تماماً. نهضا عن كرسييهما من دون أن يحيدا ببصرهما عن باب الغرفة. ومن خلفهما، تماسكت دلفين ومارينيت بالأيدي، وكلّما تقدّم الأبوان، شدَّت إحداهما على يد الأخرى. وطفَقَ القطّ يدعَك وبره بربلتي ساقيهما ليُظهِر لهما أنّه سيظلّ صديقاً وليشجِّعهما بعض الشيء، رغمَ هَول الموقف. ظنَّتا أنّ قلبيهما سينفجران. ألصَقَ الأبوان أذنيهما على الباب، وأصغَيا بحذر. وأخيراً أديرت الأكرة وانفتح الباب مُصدِراً صريراً، ومرَّت لحظة صمت. ألقَت دلفين ومارينيت، وأوصالهما كلّها ترتجف، نظرة

نحـو الغرفـة، عندئـذٍ، شـاهدتا دجاجـة بيضـاء صغيـرة تنـدسّ بيـن سـاقَي الأبويـن خلسَـة وتجتـاز المطبخ مـن دون أيّـة ضجة لتجثُـمَ تحت سـاعة الحائط.

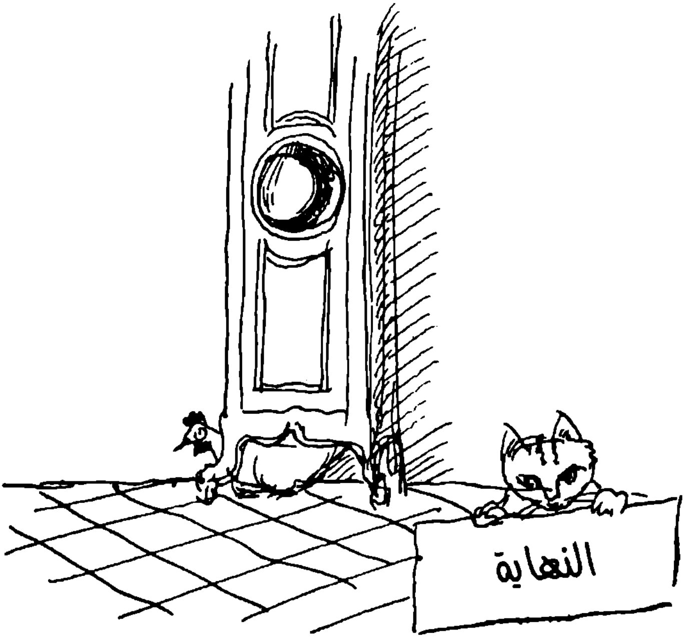

البط والفهدة

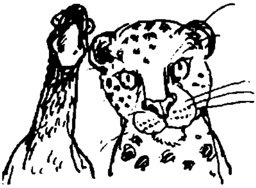

تمـدَّدت دلفين ومارينيت على بطنَيْهِما فـي المرج وراحتا تقرآن دروس الجغرافيـا فـي كتـاب مشـترَك، فيمـا كان ذكَـر بطٍّ يمـدّ عنقه بيـن رأسـيهما لينظُـر إلـى الخرائـط والصـور. كان بطـاً جميلاً، رأسـه وعنقـه أزرقـان، وصـدره بلون الصـدأ، وجناحـاه مخطَّطـان بالأزرق والأبيـض. ولأنـه لا يعـرف القـراءة، راحَـت الصغيرتـان تشـرَحان له الصور وتحدِّثانه عن البلدان المذكورة أسماؤها على الخرائط. فقالت مارينيت:

- هذه الصين. بلدٌ جميع وجوه سكانه صفراء وأعينهم مائلة.

وسألَ ذَكَرُ البطّ:

- والبط أيضاً؟

- طبعاً. لا يأتي الكتاب على ذِكر ذلك، ولكن هذا أمر بديهي.

- آه! مع أنّ الجغرافيا شيء جميل... لكن الأجمل منها أيضاً هو السفر. أشعر برغبة في السفر، لو تعرفان...

أخذت مارينيت تضحك وقالت دلفين:

- لكنك أيها البط، أصغر من أن تسافر.

- أنا صغير، طبعاً، ولكنني ذكي.

- من جهة أخرى، إن سافَرتَ، ستضطرّ إلى فراقنا. ألستَ سعيداً معنا؟

أجاب ذكر البط:

- أوه! بلى، لا أحبّ أحداً قدر ما أحبّكما.

وفرَكَ رأسه برأسَي الصغيرتين وأردَفَ خافضاً صوته:

- فمثلاً، لا أقول مثل هذا الكلام عن أبويكما. أوه! لا تظنّا أنني سأتناولهما بالسوء. لستُ قليل التربية. ولكنهما يُخيفاني بسببِ نزواتهما. انظرا هناك، أفكِّر في هذا الحصان الهرم المسكين.

رفعَت الصغيرتان رأسيهما وتنهَّدَتا وهما تنظران إلى الحصان الهرم يرعى وسط المرج. كان الحيوان المسكين هرماً فعلاً. أضلاعه بارزة يمكن عدّها من بعيد، وقوائمه ضعيفة لا تكاد تقوَى على حمله. وفوق ذلك، كان أعورَ، وغالباً ما تعثَّر في الدروب الوعرة وجرحت اثنتان من ركبه. ورأى بعينه السليمة أنهم مهتمّون به، فجاءَ نحو أصدقائه:

- هل كنتُم تتحدَّثون عني؟

أجابت دلفين:

- أجل، تماماً. كنا نقول إنك منذ بعض الوقت في حالة جيدة.

قال الحصان الهرم:

- أنتم الثلاثة لطفاء، وأودّ أن أصدِّقكم. وللأسف لا يرى السيدان رأيكم. يقولان إنني طاعن في السن ولا أكسَب حتى قوت يومي. وبالفعل أنا هرم ومتعَب. منذ زمن طويل أخدم... تصوّرا أنني شهدتُ ولادتكما أيتها الصغيرتان. أذكر أنكما لم تكونا أكبر من دميتيكما. في ذلك الوقت، كنت أصعد المرتفعات من دون أن أعيرها أيّ انتباه، وأمام المحراث، كنت أجر مثل زوج من الثيران، وكنتُ مسروراً دوماً... أما الآن، أنا ألهث، وسيقاني تخور، وكل جسدي ينهار. حصان هرم رديء، هذا ما أنا عليه الآن.

احتجَّ ذَكَرُ البط:

- لكن لا. أنتَ تتوهّم، أؤكِّد لك.

- ودليلي على ذلك هو أنّ السيدين أرادا هذا الصباح بَيعي للجزار. ولو لم تُدافع عني الصغيرتان وتعدِّدان كلّ الخدمات التي لم أزل قادراً على تأديتها في فصل الصيف، لتمَّت الصفقة. والواقع أنّ الأمر تأجَّل فقط. قرَّرا بيعي لاحقاً في سوق سبتمبر.

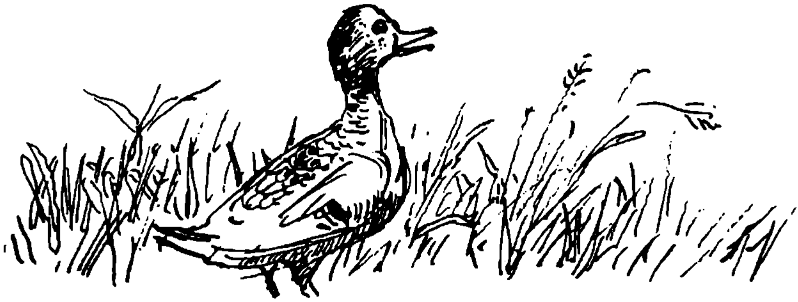

تنهَّد ذَكَر البط:

- أودّ أن أفعل شيئاً من أجلك.

في تلك اللحظة، وصَلَ الأبوان إلى المرج وفاجآ الحصان في خضمّ الحديث، فأخذا يصرخان:

- هلّا نظرتم هذا الحصان الهرم البليد الذي يتباهى! مع ذلك، لم نطلقْكَ في المرج حتى تثرثر!

علَّقت دلفين:

- إنه هنا منذ خمس دقائق فقط.

فأجابها الأبوان:

- خمس دقائق مديدة. كان الأجدر به أن يستخدمها في رعي عشبٍ لا يكلِّف شيئاً. ما يأكله هنا نوفِّر ما يعادله من مخزن مؤونتنا. ولكن هذا الحيوان الغبيّ مُصِرّ على أن يركب رأسه. آه! لماذا لم نَبِعْه هذا الصباح؟ لو يُتاح لنا بيعه ثانية...

ابتعَدَ الحصان الهرم بأقصى سرعة يستطيعها، محاولاً رفع حوافره عالياً ليوهِمَ أنه لم يزل ممتلئاً بالحيوية، ولكن سيقانه كانت في غاية التوتر وتعثَّر مرات عديدة. ومن حسن الحظ أنّ الأبوين لم يعودا ينتبهان إليه. وانشغلا بوجود ذَكَر البط الذي كان كفيلاً بتحسين مزاجهما، فقالا:

- هذا بطٌّ ينضح بالصحة والجمال. واضح أنه لا يصوم عن طعام. حقاً إنه يسرّ النظر. مَنظَره يذكِّرني أنّ الخال ألفريد سيأتي يوم الأحد للغداء عندنا.

عند هذه الكلمات، غادَرَ الأبوان المرج وهما يتهامَسان. لم يفهم البطّ جيداً معنى الكلمات التي سمِعَها للتو، لكنه شَعَرَ بالضيق. احتَضَنَتْه مارينيت بين ساقَيها وقالت له:

- أيّها البط، تحدَّثت منذ قليل عن السفر...

- أجل، لكن يبدو أنَّ فِكْرَتي لم تَرُقْ لكما.

هتفت دلفين:

- بلى، راقَت لنا! ولو كنتُ مكانكَ، لسافرتُ منذ صباح الغد.

- صباح الغد! لكن لنرَ... لنر...

اضطـرَبَ البـطّ لفكرةِ السـفر بهـذه السـرعة، فصفَـقَ بجناحيه وقفَزَ على مئزر مارينيت ووارى رأسه، وأردَفَت دلفين:

- أجـل، لماذا تؤجل السـفر؟ حين يكون لديك مشـروع، عليك تنفيذه بلا إبطاء. وإلّا أنت تعرفُ ما يحدث، يتحدَّث المرء في الأمر، والأحاديـث تجرّ بعضهـا بعضاً لأشـهرٍ، ويأتي يوم، يطوي النسـيان هذا المشروع.

قال البط:

- فعلاً، هذا صحيح.

وبعـد أن قـرَّرَ البـطّ السـفر، أمضـى بقيـة النهـار فـي صحبـة الصّغيرتيـن يتعلّـم الجغرافيـا بدقّـة. الأنهـار، الجـداول، المـدن، المحيطات، الجبال، الطرق، السـكك الحديدية، حفظ كلّ شيء عن ظهـر قلـب. ولمّا آوى إلى النوم، شـعَرَ بألمٍ شـديدٍ في رأسـه، ولم يجـد الرّقاد إلى عينيه سـبيلاً. وحين غفا، كان يفكـر: «ما هي عاصمة الأورغواي؟... يا إلهي نسـيتُ عاصمة الأورغواي...» ومن حسـن حظّه أنه غطَّ في نومٍ هادئ عند منتصف الليل ووجَدَ نفسـه مسـتعدّاً في الصباح الباكر.

اجتمعت حيوانات المزرعة كلها في الفناء لتشـهَدَ رحيله. وقال الحصان والدجاجة والخنزير والبقرة والخروف:

- وداعاً أيها البط، ولا تُطِلْ الغياب.

وقال الثور والقط والعجل والديك الرومي:

- وداعاً، ولا تنسنا.

وقالت الحيوانات جميعاً:

- سفراً موفّقاً.

وطفَقَ أكثر من حيوان يبكي، فمثلاً بكى الحصان الهرم وهو يفكِّر أنه لن يرى صديقه ثانية أبداً.

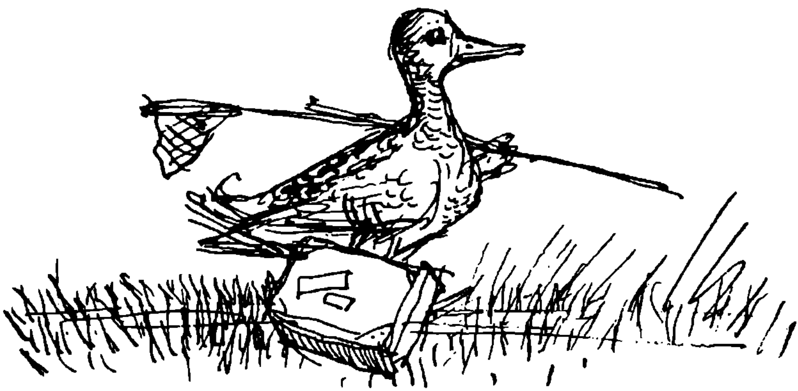

ورحل البط بخطى سريعة دون أن يلتفت خلفه، وبما أن الأرض كروية، فقد ألفى نفسه بعد ثلاثة أشهر في نقطة انطلاقه. لكنه لم يكُن وحده. كانت برفقته فهدة جميلة جلدها أصفر مرقَّط ببقعٍ سوداء وعيناها ذهبيتان. كانت دلفين ومارينيت لحظة وصولهما تعبُران الفناء. حين رأتا الوحش، استولى عليهما رعبٌ شديدٌ في البداية، لكن سرعان ما طمأنَهما وجود ذكر البط. وصاح:

- صباح الخير أيتها الصغيرتان! كانت رحلتي جميلة وموفقة، ولكنني سأوريها لكما فيما بعد. كما تريان، لستُ وحدي. عدتُ مع صديقتي الفهدة.

حيَّت الفهدة الصغيرتين وقالت بصوتٍ وَدود:

- حدَّثَني البط كثيراً عنكما. وأَخالُ أنني أعرفكما.

أوضَحَ ذَكَرُ البط:

- هاكُما ما حدث. حين كنتُ أعبر الهند، ألفيتُ نفسي ذات مساء أمام الفهدة وجهاً لوجه. تصوّرا أنها كانت تريد أن تَلتهمني...

تنهَّدَت الفهدة منكِّسَة رأسها:

- للأسف هذا صحيح.

- لكنني لم أفقِدْ رَباطة جأشي كما يفقدها الكثير من البط لو تعرَّضوا لمثل موقفي. وقلت لها: «أنتِ تريدين أن تلتهميني، ولكنكِ هل تعرفين فقط اسم بلدك!» وطبعاً لم تكن تعرفُ شيئاً. حينئذٍ

علَّمتها أنها تعيش في الهند، في إقليم البنغال. وأخبَرْتُها أسماءَ الأنهار والمدن والجبال، حدَّثتها عن بلدان أخرى... كانت تريد أن تعرف كلّ شيء، فأمضيتُ الليل بطوله أجيبُ عن أسئلتها. وفي الصباح، صِرنا صديقين، ومن وقتها لم نفترق لحظة واحدة. لكن يمكنكما أن تعتبرا أنني قوَّمتُ أخلاقها فعلياً.

اعترَفَت الفهدة:

- كنتُ بحاجة إلى ذلك. ماذا تنتظران من امرئ لا يعرف الجغرافيا...

وسألَت مارينيت:

- وكيف وجدتِ بلدنا؟

قالت الفهدة:

- ظريفاً جداً، وأنا واثقة من أنني سأستمتع فيه. آه! صرتُ أتلهّف للوصول إليه بعد ما حدّثني به البط عن الصغيرتين وباقي حيوانات المزرعة... وبالمناسبة، كيف صحة حصاننا الطيب الهرم؟

عند هذا السؤال أخذت الصغيرتان تشهقان وروت دلفين وهي تبكي:

- لم ينتظر أبوانا سوق سبتمبر. قرَّرا عند الظهر بيعه، وسيأتون صباح الغد لأخذه إلى الجزار...

زمجرت الفهدة:

- يا للهول!

- دافعت مارينيت عن الحصان بشراسة، وأنا أيضاً، ولكن دون جدوى. لقد وبّخانا وحرمانا من الحلوى أسبوعاً.

- هذه قسوة مفرطة! وأين أبواكما؟

- في المطبخ.

- حسن، سأريهما... ولكن الأهم أيتها الصغيرتان هو ألّا تجزَعا.

مدَّت الفهدَة عنقها، وشمَخَت برأسها وفغَرَت شدقَها، وأطلقَت زمجَرَة رهيبة. كان ذَكَرُ البطّ فخوراً بذلك، وراح ينظر إلى الصغيرتين بخيلاء. وفي تلك الأثناء، خرج الأبوان من المطبخ على عجل، ولكن لم يسنَح لهما الوقت للاستفسار عن مصدر الصوت. لأنّ الفهدة اجتازَت الفناء بقفزَةٍ واحدة واستقرّت أمامَهما على قوائمها الأربع، وقالت:

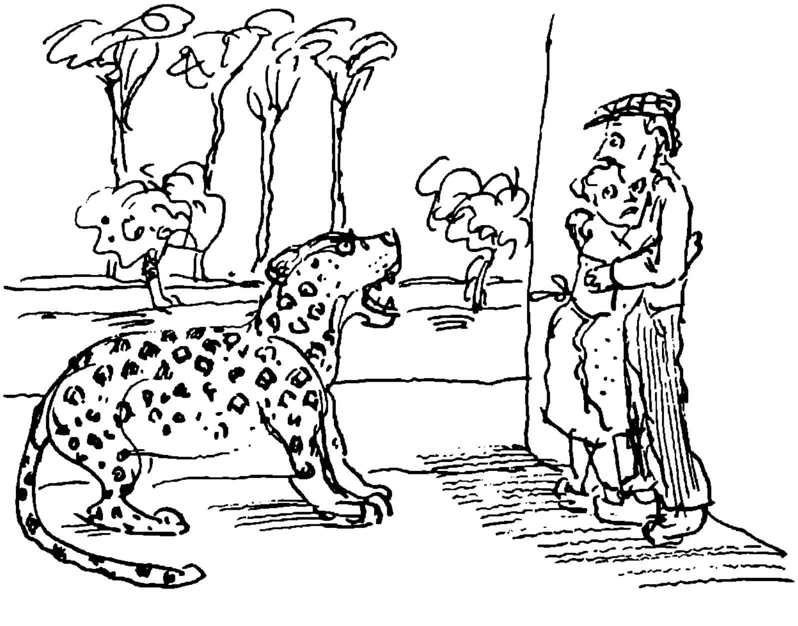

- سأمزِّقكما إرباً إرباً إن تحرَّكْتُما.

ولكُم أن تتخيّلوا أيّ هلعٍ أصابَ الأبوين عندئذٍ. ارتعَدَت أوصالهما كلّها ولم يتجرَّآ حتى على تحريكِ رأسيهما. والتمَعَت عينا الفهدة الذهبيّتان ببريقٍ وحشيّ، وافترّ شدقها المفغور عن أنيابٍ كبيرةٍ حادّة، وزمجَرَت:

- هل صحيحٌ ما قيلَ لي عنكما؟ هل ستَبيعان حصانكما الهَرِم للجزار؟ ألا تخجلان؟ أهكذا تكافِئان حيواناً مسكيناً أمضى حياته في خدمتكما! فعلاً، لا أدري ما يثنيني عن التهامكما... على الأقل لن يقول أحدٌ إنّكما خَدَمتُماني...

أخذَت أسنان الأبوين تصطكّ وطفَقا يتساءلان في سرِّهِما إنْ لم تكُن فكرة التضحية بالجواد الهَرِم تحمِلُ قَسْوَة مفرطة.

واستطردَت الفهدة:

- وكذلك الصغيرتان. علمتُ أنكما حَرَمْتُماهما من الحلوى طَوال ثمانية أيام لأنهما دافعتا عن الحصان. هل أنتما وَحْشان؟ ولكنني أنبِّهكما إلى أنّ الأمور هنا ستتغيّر معي وأن هذا البيت يجب أن يُدار بطريقة أخرى. أولاً، أعلنُ رفعَ العقاب عن الصغيرتين. تبدوان غير راضيين؟ ولعلَّكما غير مسرورين؟

- أوه! بلى... على العكس...

- هيا، هذا أفضل. أمّا الحصان الهرم فلم يعُدْ من الوارد بَيْعه للجزار طبعاً. أريده أن يُحاط بشيء من الرعاية وأن ينهي أيامَه بسَلام.

وتحدَّثَت الفهدة عن بقية حيوانات المزرعة، وعن الوسائل الكفيلة بجَعل حياتها أهنأ. أخذَت الفهدة تخفِّف من صرامة لهْجَتها، كأنها أرادَت أن تُنْسيهِما الانطباع السيئ الذي أحدَثَتْه حمَاستها في اللحظة الأولى. وبدأ الأبوان يستعيدان شيئاً من طمأنينتهما، فقالا:

- باختصار، أنتِ ستسكنين في البيت. هذا جيد جداً، ولكن هل فكَّرتِ كيف ستغدو حياتنا حين سنضطرّ للعيش في رعبٍ من أن تفترِسينا في أية لحظة؟ ناهيكِ عن أنّ حيواناتنا ستتعرَّضُ للخطر ذاته أيضاً. وكما تعرِفين، إنه لأمرٌ رائعٌ أن تمنعينا من قتل خنزير

أو ذبح الدواجن، ولكننا لم نسمَع في حياتنا أنّ الفهود تتغذّى بالخضار...

قالت الفهدَة:

- أتفهَّمُ قلقكما. بالتأكيد كنت أفترسُ كلّ ما يَقع تحت مخالبي، إنساناً أو حيواناً، قبل أن أتعلَّم الجغرافيا. ولكنني منذ التقيتُ ذَكَرَ البطّ، وهو موجودٌ هنا ليؤكِّد ذلك، أصبَح نظامي الغذائي هو نفسه نظام القطط. لم أعُد آكلُ إلّا الفئران والجرذان وفئران الحقل وغيرها من الأنواع الضارّة. آه! هذا لا يعني أنني لن أذهب من حين إلى آخر لأقوم بجولةٍ في الغابة. على كلّ حال، ليس هناك ما يدعو حيوانات المزرعة لتَخافَ مني.

وسرعانَ مع اعتادَ الأبوان على وجود الفهدة. وراحَت تُعامِلُهما بلطفٍ ومودّة طالما أنهما لا يعاقبان الصغيرتين بقسوة، ولا يؤذيان الحيوانات. بل إنها تغاضَت ذات يوم أحدٍ زار فيه الخال ألفريد المنزل عن طبخ دجاجةٍ طُهِيَت بصلصة بيضاء. ولا بد من القول إنّ هذه الدجاجة كانت ذات طبع قاسٍ، لا همَّ لها إلّا إزعاج رفاقها وتدبير مقالبَ سيئة لهم. فلم يأسَف عليها أحد.

وبالمقابل، أدَّت الفهدة خدمات. مثلاً، صار الجميع ينامون باطمئنان، فالمنزل محروس جيداً. وسرعان ما ثبتَ ذلك بالدليل القاطع حين تجرَّأ ذئبٌ ذاتَ ليل على أن يحومَ حول الحظيرة. كان الذئب البائس قد فَرَجَ الباب وراحَ لُعابَه يسيلُ وهو يفكِّر بالوجبة

الشهية التي تنتظره، لكنه وجدَ نفسه مُفْتَرَساً قبل أن يَسنح له الوقت ليفهَمَ شيئاً، ولم يبْقَ منه إلّا قائمتَيه الأماميتين، وخصلة من وبره والجزء المدبَّب من أذنه.

كانت مفيدة أيضاً في التسوّق. فحين يحتاجون سكراً أو فلفلاً أو فصوص قرنفل، تقفز إحدى الصغيرتين على ظهرِ الفهدة فتقودها إلى البقالة بِعَدْوٍ سريع. وحتى كانوا يرسلونها أحياناً وحدها ولم يكُن من مصلحة البقّال أن يخطِئ الحساب حين يُعيد إليها بقيّة النقود.

تغيَّرت الحياة في المنزل منذ أقامَت الفهدة فيه، ولم يتذمَّر أحد من ذلك. وناهيكم عن الحصان الهرم الذي لم يشهَد في حياته مثل هذا العيد، شَعَرَ الجميع في المزرعة أنهم سُعَداء.

وصارَت الحيوانات تعيشُ في أمان، ولم يعُد الناس كما في السابق يشعرون بتَبكيت الضمير لأكلِها. وكفَّ الأبوان عن عادة الصراخ والتهديد، وأصبَحَ العمل مُتعَة للجميع. وفضلاً عن ذلك، كانت الفهدة تحبّ اللعب حبّاً جماً، ومستعدَّة دوماً لتلعب لعبة القفز أو لعبة القطّ والفأر. لم يكُن ينقصها الشركاء، لأنها لم تكُن تُجبر الحيوانات فقط على اللعب، وإنما الأبوان أيضاً. وفي البداية، أذعَنا وهُما يتذمَّران، وقالا:

- هل لديكِ فكرة عن عمرنا! ماذا سيقول الخال ألفريد لو رآنا؟

لكن مزاجهما السيىء لم يدُم أكثر من ثلاثة أيام وبلَغَ بهما الاستمتاع باللَّعب أنهما لم يعودا يستطيعان الاستغناء عنه. وصارا يصيحان في الفناء حين يجدان لحظة فراغ: «مَن يريد أن يلعب لعبة تقليد المريض؟» ويخلعان خفوفهما ليصبحا أكثر خفّة، ويبدآن في مطاردة البقرة أو الخنزير أو الفهدة، وكانت ضحكاتهما تبلغ المنازل على أطراف القرية. ولم تعُد دلفين ومارينيت تجدان وقتاً كافياً لحفظ دروسهما وكتابة وظائفهما. كان أبواهما يقولان:

- تعالا نلعب، ستكتبان وظائفكما فيما بعد!

وكلّ مساء، بعد العشاء، كانوا يقسّمون الفناء إلى قطاعات كبيرة. وكان الأبوان والصغيرتان وذَكَر البط وحيوانات القنّ وحيوانات الحظيرة يتوزَّعون على فريقين. لم يضحكوا في حياتهم مثل هذا الضحك في المزرعة. كان الحصان، وهو الأكبر سناً من أن ينخرِطَ في اللعب، يكتفي بالمشاهدة ولم تكُن متعته تقلّ عن متعة اللاعبين. وفي حالة الخصام، كان يتكفَّل بمهمّة التوفيق بين المتخاصمين. وفي إحدى المرات، اتّهم الخنزير أحد الأبوين بالغشّ ما اضطرّ الحصان إلى أن يخطئه. لم يكُن الخنزير حيواناً سيئاً وإنّما على العكس، ولكنه كان حساساً، وحين خسِرَ، اجتاحه الغضب. وبسببه نشبَت العديد من الخصومات الحامية التي عكَّرت مزاج الفهدة. لكن تلك اللحظات السيئة كانت نادرة إجمالاً وسرعان ما تُنسى. وإذا ما بزغ القمر، فإنّ الألعاب كانت تستمرّ حتى ساعة متأخِّرة من الليل، ولم يكُن أحد يستعجل الانتهاء منها. وكان ذَكَر البط الأكثر تعقّلاً من الآخرين يقول:

- كفى، كفى، يجب أن نفكِّر في النوم...

فيتوسَّل الأبوان:

- ربع ساعة أخرى أيها البط، ربع ساعة...

وفي أحيان أخـرى، كانوا يلعبون اليد الحامية، ولعبة الشـرطي الحرامي، ولعبة الزوايا الأربع. وكان الأبوان دوماً هما الأكثر هَوَساً.

وحتى في أثناء الطعام لم يشـعروا بالملل أيضاً. لأنّ ذَكَرَ البط والفهـدة راحا يتحدثان عن رحلتهما الطويلـة، فقد اجتازا بلاداً غريباً لم يكن أحدٌ يملّ سماع أخبارها. ويبدأ ذكر البط قائلاً:

- أنـا مَـن زرتُ روسـيا شـبراً شـبراً، يمكنني أن أخبركـم حقيقة الشـيوعية. هناك أناس يروون أشياء عنها ولم يزوروها في حياتهم، أمّـا أنا فرأيـتُ بأمّ عيني، أنتم تفهمون. إيه، حسـن! الحقيقة هي أنّ البطّ لا يعامل هناك بشكلٍ أفضَل ممّا يُعامَل في بلاد أخرى...

ذات صبـاح باكـر، خرج الخنزير يتنـزّه. حيّا الحصـان الهَرِم في الفناء تحيّة ودِّية، وابتسمَ لدجاجة، ولكنه مرَّ أمام الفهدة من دون

أن يخاطِبَها بكلمة. وهي أيضاً نظرت إليه يغادر دون أن تنبس ببنت شفة. كانا قد تخاصَما عشيّة البارحة في أثناء اللعب. وكان الخنزير لا يُطاق حتى إنه أزعَجَ الجميع. وعادَ إلى زريبته مغتاظاً وأعلَنَ أنه لن يلعب مع الفهدة ثانية.

وأضاف: «أحبّ اللعب حبّاً جمّاً، ولكن إذا كان ذلك يستلزم الخضوع لنزوات غريب، فإنّني أفضِّل النوم».

وغادَرَت الفهدَة المزرعة نحو الساعة الثامنة لتقوم بجولة في الغابة كدأبها كلّ صباح، وعادَت نحو الساعة الحادية عشرة. بَدَت مُتعَبَة قليلاً ومشيتها متثاقلة وعيناها متناعستان. وردّت على ملاحظات الدجاجة البيضاء الصغيرة أنها ركضت كثيراً في الغابة. وبعد هذه الكلمات، ذهبَت وتمدَّدَت في المطبخ وغطَّت في نومٍ عميق. ومن دون أن تستيقظ، راحَت من حينٍ إلى آخر تُطلق تنيهدة وتَلعَق شفتيها بلسانها.

حين عادَ الأبوان من الحقول ظهراً، تذمَّرا من أنّ الخنزير لم يعُد بعد.

- هذه أول مرة يحدُث فيها مثل هذا الأمر. لا شكّ أنه نَسِيَ موعد عودته.

وسألا الفهدة إن كانت صادفته في الصباح، فأومَأت رأسَها بالنفي وأشاحت بوجهها. ولم تشارِك خلال وجبة الغداء في الحديث.

ومرَّ العصر من دون أن يعود الخنزير. فاستولَى القلق على الأبوين.

في المساء أيضاً، لم يظهَر أيّ أثرٍ للخنزير. اجتمَعَ الجميع في الفناء، ولكن لم يتحدَّث أحد بشأن اللعب. وراحَ الأبوان ينظران إلى الفهدة نظرات شكٍّ. كانت ممدّدَة على بطنها، ورأسها بين قائمتيها، ولم تكترث لقلق أصدقائه. كانت الصغيرتان، وحتى ذكر البط والحصان الهرم، في غاية التأثّر والحزن. وبعد أن تفحَّصَها الأبوان ملياً، علّقاً:

- أنتِ أسمن من المعتاد وبطنكِ ثقيلٌ كأنّك أفرطْتِ في الطعام.

أجابت الفهدة:

- هذا صحيح. التهمتُ خنزيرّين بريين صغيرين هذا الصباح.

- هممر! كان صيدكِ وافراً اليوم. مع أنّ الخنازير البرية لم تعتَد التجوُّل على أطراف الغابة في أثناء النهار. ولا بدّ من البحث عنها في قلب الغابة...

قالت الدجاجة البيضاء الصغيرة التي شهدَت عودة الفهدة:

- فعلاً، لقد توغّلتْ في الغابة. هكذا قالت لي عند عودتها في الصباح.

هتفَ عجلٌ صغيرٌ كان يتابع النقاش من دون أن يُدرك مدى أهميته:

- مستحيل! لأنني كنت في المروج، وشاهدتُ الفهدة في الصباح تمرّ قرب النهر.

قال الأبوان:

- اسمعوا، اسمعوا...

وراح الجميع ينظرون إلى الفهدة وينتظرون جوابها بقَلَق. لبثَت مذهولة في البداية وأعلنَت نهاية المطاف:

- أخطَأ العجل، هذا كلّ ما في الأمر. ولا يُدْهِشُني ذلك. لأنه لم يمضِ على ولادته أكثر من ثلاثة أسابيع. وفي مثل هذا العمر، يكون نظر العجول مشوشاً. ولكن أين تريدان أن تصلا من وراء هذه الأسئلة؟

- أنتِ تشاجرتِ مع الخنزير مساءَ أمس، وربما انتقمتِ منه وافترسته في مكانٍ منعزل!

أجابَت الفهدة محتدَّة:

- ولكنني لستُ الوحيدة التي تشاجرت معه. وعلى افتراض أن أحداً أكَلَه، لماذا لا تكونان أنتما أيها الأبوان؟ مَن يسمعكما، يحسب أنّكما لم تأكلا خنزيراً في حياتكما! ومنذ أن وطئتُ هذا المكان، هل رآني أحد أهين حيواناً في المزرعة أو أهدِّده؟ ولولاي، كم من الدواجن كانت ستَلقَى حتفها في المقلاة؟ وكم من الحيوانات كانت ستُباع للجزار؟ ناهيكُم عن الذئب والثعلبين الذين منعتُهُم عن الفتك بالحظيرة والقن...

سَرَت بين الحيوانات نحنحات ثقة وامتنان. وتذمَّر الأبوان:

- لم يزَل خنزيرنا مفقوداً. ونتمنى ألّا يلقى آخرون مصيره ذاته.

قال ذَكَر البط:

- اسمعا، لا يوجد سبب يدفعكما إلى الاعتقاد بأنّه تعرَّض للافتراس. لعلَّه سافَرَ بكلّ بساطة. ولِمَ لا؟ أنا أيضاً تركتُ المزرعة ذات صباح من دون أن أخطركما، وها أنتما تريان أنني هنا. لننتظِرْ، أنا واثقٌ من أنه سيعود.

لكن الخنزير لن يعود أبداً، ولن يعرف أحد ما حدَثَ له أبداً. ومن غير الوارد أن يكون سافَرَ في رحلة. لأنه لم يكُن يتمتّع بسِعَة الخيال وكان يؤثِرُ الحياة الرتيبة المريحة. وأخيراً، لم يكُن يعرف كلمة جغرافيا، ولم يهتمّ بها قط. وأمّا الاعتقاد أنّ الفهدة افترسته، فهذه مسألة أخرى. لأنّ شهادة عجلٍ في سنّ الثلاثة أسابيع هي دليلٌ

هـشّ. ومـن جهة أخـرى، ثمة مـا يحمِلُ على الظـنّ أنّ مخيمـاً متنقلاً استولى على الخنزير وطَهاه. يحدُث مثل هذا أحياناً.

في جميع الأحوال، لـم تمنَع هذه الحادثة الأليمة المزرعة من استئناف حياتها كما في السابق. ولم يلبَث الأبوان ذاتهما أن نسياها. وعـادَ الجميـع إلـى اللعـب. وغنيّ عـن القـول أنّ اللعبة صـارَت أكثر تشويقاً بعد اختفاء الخنزير.

لـم تمـضِ دلفيـن ومارينيت فـي حياتهمـا عطلة صيفيـة أجمَل مـن عطلة ذلك العام. راحتا تمتطيان ظهـر الفهدَة وتتنزهان نزهات طويلـة في الغابـة والسـهل. وتصحَبان معهمـا دومـاً ذكـر البط الذي يُدلـي سـاقيه على جانبَي عنق الفهـدة. وفي غضون شـهرين، جالت الصغيرتـان أصقـاع المنطقة في دائرة قطرها ثلاثـون كيلومتراً. كانت الفهدة تجري كالريح، لا تعيقها وُعُوْرة الدروب.

وبعـد أن انتهت العطلـة الصيفية، مـرَّت بضعة أيام مشمِسَـة أيضـاً، لكـن لم يلبـث المطـر أن تسـاقَط، وفي شـهر نوفمبـر، صارَ المطـر بارداً، وأسـقطَت رياح مزوبعـة آخر الأوراق الميتـة. وهمَدت حيويـة الفهـدة، وطفقت تشـعر بخدر فـي أوصالها. لـم تعد تخرج إلـى الفنـاء بإرادتهـا وصاروا يضطـرون إلـى رجائها كي تأتـي وتلعب معهم. لكنها ظلّـت تخرج صباحاً للصيد في الغابة، مع أنه لم يعُد يمتعهـا. وفي بقية الأوقات، لا تبـرح المطبخ وتمكث بجانب الموقد.

ولـم ينقطـع ذكـر البـط عن المجـيء عندهـا وقضـاء سـاعات معها. وراحت تتذمَّر من الفصل.

- كـم هـو حزيـن، السـهل والغابـات وكلّ شـيء! حيـن يهطـل المطر في بلادي، تنمو الأشـجار والأوراق، ويغدو كلّ شـيء أخضرَ. أمّـا هنـا فالمَطـر يعنـي البـرد، ويصبـح كلّ شـيء حزيناً، وكل شـيء موحِلاً.

فقال ذكر البط:

- سـتعتادين على ذلك. لن يسـتمرّ المطر دوماً. ولن يلبَث الثلج أن يتسـاقط... ولن تقولي حينئذٍ أن السـهل موحل... فالثلج هو ندف بيضاء تشبه زغب البط ويغطي كلّ شيء.

تنهَّدَت الفهدة:

- أودّ أن أرى هذا.

وطفقَـت كلّ صبـاح تلقي نظرة مـن النافذة علـى الحقول. لكن الشتاء اقتصَرَ على المطر. وظلَّ كلّ شيء كئيباً.

مكتبة
t.me/t_pdf

وسألت الصغيرتين:

- ألن يتساقط الثلج إذاً؟

- لن يتأخّر. قد يتغيَّر الطقس بين ليلة وضحاها.

وراحت دلفين ومارينيت تراقبان السماء بقلق. لأنّ الحزن جلَّلَ البيـت منـذ أن هَمَـدَت الفهدة بجانـب الموقد. ولم يعُـد أحد يفكِّر

في اللعب. وعادَ الأبوان يتذمّران ويتهامَسان وهما يرمقان الحيوانات بنظرات متوعِّدَة.

استيقظَت الفهدة ذات صباح وهي تشعُر بالبرد أكثر من المعتاد وأطلَّت من النافذة كما تفعَل كلّ يوم. في الخارج، كان كل شيء أبيض، الفناء والحديقة والسهل على مدّ النظر، وكانت ندف كبيرة من الثلج تتساقط. ومن فرحتها راحت الفهدة تصدر خريراً لطيفاً وخرجَت إلى الفناء. غاصت قوائمها بصمت في طبقة لينة، وتساقطت على جلدها ندف ثلج ناعمة شعرت بها كأنها تداعبها. خالت أنها تصادف من جديد الضوء الساطع لصباحات الصيف وأيضاً حدّته المعهودة. أخذَت تركض نحو المروج وترقص وتقفز، وتلعب بقائمتيها الأماميتين بندف الثلج. كانت تتوقف أحياناً وتتدحرج على الثلج وتنطلق من جديد بأقصى سرعتها. وبعد ساعتين من الجري واللعب، توقفت لتستردّ أنفاسَها فأخذَت ترتعش. وطفقت تبحث عن البيت بعينيها وهي تشعر بالقلق وتبيَّنت أنه صار بعيداً جداً. لم تعُد السماء تُثلِج، ولكن ريحاً صرصراً بدأت تهبّ. وقبل أن تقفل راجعة، استراحت الفهدة هنيهة من الزمن وتمدَّدت على

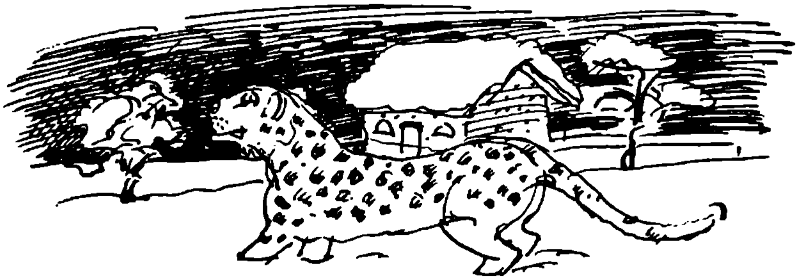

الثلج. لم تنَم في حياتها على سريرٍ بمثل هذه النعومة، ولمّا عزمت على النهوض، كانت أطرافها خَدِرَة وسرت رَعْدَة في أوصالها. بدا لها المنزل أبعد، وكانت الريح التي تهبّ على السهل تنخر العظام، ففترت همّتها ولم تعاود الجري.

لم يرَها أحد تعود عند الظهر، فانطلقَت الصغيرتان للبحث عنها مع ذكر البط والحصان الهرم. كانت آثار قوائمها على الثلج قد انمحت في بعض الأماكن، ولم يصلوا إليها إلّا في الأصيل. كانت الفهدة ترتجف وقد تشنَّجت أطرافها. تنهَّدَت حين رأت أصدقاءها مقبلين:

- أشعُر بالبرد حتى في وبري.

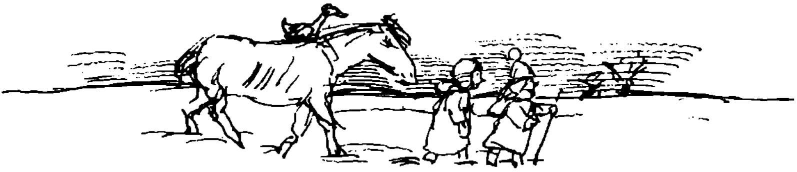

حاول الحصان الهرم أن يدفئها بأنفاسه، ولكن الأوان كان قد فاتَ على فعلِ أيّ شيء ذي جدوى. لعَقَت أيدي الصغيرتين وأصدَرَت خريراً ألطَفَ من مواء قط. وسَمِعَها ذكر البط تهمِس:

- الخنزير... الخنزير...

وأغمَضَت الفهدة عينيها الذهبيتين.

النهاية

الإوز السيئ

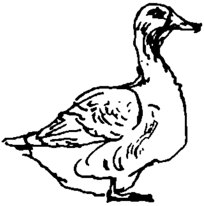

كانت دلفين ومارينيت تلعبان الكرة في مرج مجزوز العشب، حين وصلَ إوزّ ريشه أبيض، وراح يُصدر زبيطاً من منقاره العريض. بدا غاضباً، لكنّ الصغيرتين لم تُعيرانه انتباهاً. وراحتا تتقاذفان الكرة وتركِّزان أنظارهما حتى لا تفوتانها. وطفَق الأوز يقول بمنقاره «تش... تش...» ويزيد زبيطه قوّة، وقد أغاظَه أنهما لم تُعيرا وجوده هناك أيّ اهتمام. كانت الصغيرتان تصرخان قبل أن تقوما بالحركات: «ضربة أمامية» أو «كبسة» أو «ضربة مواربة». وبينما كانت دلفين تقوم بالضربة المواربة تلقَّت الكرة على أنفها. مكثَت مذهولة في البداية، وراحَت تفرك أنفها لتتأكَّد من أنّ الكرة لم تَنتَزع منه شيئاً ثم أخذَت تضحك، وانطلَقَت مارينيت بدورها تقهقه فتشعَّث شعرها الأشقر. ظنَّ الإوز عندئذٍ أنهما تسخران منه. فمدَّ عنقه الطويلة إلى الأمام، وصفق بجناحيه، ونفَشَ ريشه، ودنا منهما بهيئة غاضبة، وقال:

– أمنعكما من البقاء في مَرجي.

ووقف بين الصغيرتين وراح ينظر إليهما على التوالي بعينٍ مرتابة وغاضبة. أصبحت دلفين جدِّية، وأمّا مارينيت فقد استغرقت في القهقهة حين رأت هذا الأخرق يتمايل على قدميه ذات الأغشية، فصرَخ الأوز:

- أنتما تتجاوزان حدودكما. أكرِّر لكما...

قاطعته مارينيت:

- أنتَ تُضجِرُنا. اذهَبْ إلى فراخك، ودعنا نلعبُ في سلام.

- فراخي، أنا أنتظرهم فعلاً، ولا أريد أن أراهم في صُحبَة بنتين وقحتين. هيا، انصرفا.

احتجَّت دلفين:

- هذا ليس صحيحاً. لسنا وقحتين.

قالت مارينيت:

- دَعيه يهرف. إنه مجرَّد منفوش ريش يتفوَّه بالحماقات. أولاً، لماذا يتحدَّث عن مرجه؟ كأنّ الإوز يمكنه أن يقتني مرجاً! هيا يا دلفين، ارمي لي الكرة... ضربة مواربة...

وأخذت تدور فصنع مئزرها بمربعاته الزرقاء دائرة جميلة حول ركبتيها. وهمَّت دلفين برَمي الكرة، فقال الإوز:

- آه! هكذا!

ودبَّ فيه الحماس، فاندفعَ مباشرة نحو مارينيت، وفتح منقاره العريض، وعضّ ربلة ساقها وشدّ بكلّ قواه. شعرَت مارينيت بألمٍ مبرح واستولى عليها خوف شديد لأنها ظنَّت أنّ الإوز سيأكلها. ومع أنها صرَخَت وتخبَّطَت، إلّا أنه لم ينفكّ يعضّ بقوة على ربلة ساقها. هرعت دلفين راكضة وحاوَلَت تخليصها منه. وطفَقَت تضربه على رأسه وتشدّه من جناحيه وقائمتيه فلم يَزِدْه ذلك إلّا غضباً. ترك أخيراً ربلة ساق مارينيت، لكنه عضّ ربلة ساق دلفين، فانخرَطَت الصغيرتان في البكاء. في المرج المجاور، كان يوجد حمار رمادي يمدّ عنقه من فوق السياج ويحرِّك أذنيه. كان حماراً طيباً ولطيفاً وصبوراً، مثل سائر الحمير تقريباً. وكان يحبّ الأطفال حبّاً جماً، ولا سيما الفتاتين الصغيرتين، وحين كانتا تضحكان من أذنيه، لم يكُن يغضب إطلاقاً، رغم شعوره بشيء من الحزن؛ بل على العكس،

كان يرمقهما بنظرةٍ عَطوفة ويفتر وجهه عن ابتسامة كأنه هو نفسه مستمتعٌ بأنّ لديه أذنان طويلتان ومدبَّبتان. رأى كلّ شيء من فوق السياج، وسمِعَ كلّ شيء، واغتاظَ من غطرسة الإوزّ وعدوانيته. وبينما كانت الصغيرتان تتخبَّطان، صاحَ فيهما من بعيد:

- أمسِكا رأسه بكلتا اليدين والوِيا عنقه! آه! لا لا، لولا هذا السياج... من رأسه، أقول لكما!

ولكن الصغيرتين فقدَتا رباطة جأشهما، ولم تفهَما شيئاً من نصائحه. ومع ذلك، شعرتا من نبرة صوته أنه صديق، ولما استطاعتا الهرب هرَعَتا ولاذَتا به. لم يطارِدْهما الإوز واكتفى بالصراخ فيهما:

- أنا سأصادر الكرة، حتى أعلِّمكما احترامي!

وفعلاً، أخَذ الكرة بمنقاره، وأخذَ يدور بها وسط المرج مزهواً وهو ينفخ صدره إلى الأمام ويردّ رأسه إلى ما بين جناحيه. كان هذا مزعجاً في النهاية. وحتى الحمار، مع أنه صبور، لم يستطِعْ أن يتمالَكَ نفسه فصاحَ به:

- انظرا إلى هذا الأحمق يتبختَر بكرةٍ في منقاره! مَنظره جميل... آه! لم تكُن بهذا الكبرياء منذ شهر حين نتَفَت سيدتكَ زغبكَ لتَصنع وسادة!

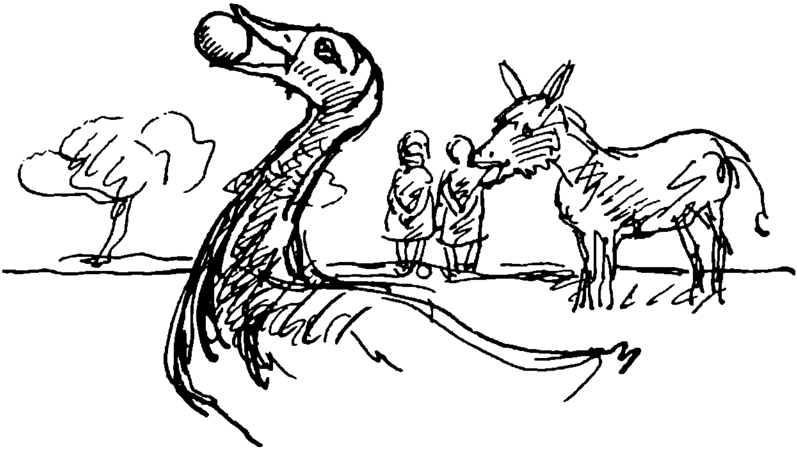

كادَ الإوز يختنق بالكرة من الغضب والمَهانة. عكَّرت كلمات الحمار فَرَحه بالانتصار لأنها ذكَّرته أنّ عذابه لن يلبَث أن يتجدَّد: كانت المُزارِعة تنتف زغبه الناعم مرتين في السنة، وكانت عنقه تصبح عارية عندئذٍ، وتتعامل معه الدجاجات كأنه ديك رومي.

في تلك الأثناء، توقف عن الدوران وذهَبَ لملاقاة أسرته التي تدخل المرج. كانت توجد نصف دزينة من فراخ الأوز تقودهم أمهم الإوزة. ولم تكُن أفراخ الإوز سيئة، ولم يكُن هنالك ما يُلامون عليه. كانوا جدّيين بعض الشيء بالنَّظر إلى عمرهم، ولكن هذا ليس مأخَذاً، وكان ريشهم أصفر ورمادي، خفيفاً كالرغوة. أمّا أمهم الإوزة، فكانت شخصاً طيباً. بل إنها تضايَقت من غطرسات الإوز، وراحت تلكزه بجناحِها قائلة:

- اهدَأ، يا صديقي، اهدأ... اهدأ...

لكـن الإوز تظاهَـر أنـه لـم يسـمَع تأنيبهـا. فظـلَّ يُمسِـك الكرة بمنقاره وقادَ سرب فراخه إلى وسطِ المرج.

توقّف أخيراً ووضَعَ الكُرة وقال لصغاره:

- صـادرتُ هـذه اللعبـة من بنتيـن شـرّيرتين لـم تحترماني في مرجي. سـأعطيها لكم. العبوا بها في لطفٍ حتـى موعد الذهاب إلى البركة.

اقتربَـت الفراخ من الكرة، ولكن من دون حماس، لأنها لم تكُن تعـرف كيف يمكِنُها أن تلعـب بها. ظنَّتها بيضـة، فابتعدَت عنها على الفور بنفور. استاءَ الإوز من ذلك، فأصدَرَ زبيطاً غاضباً وقال:

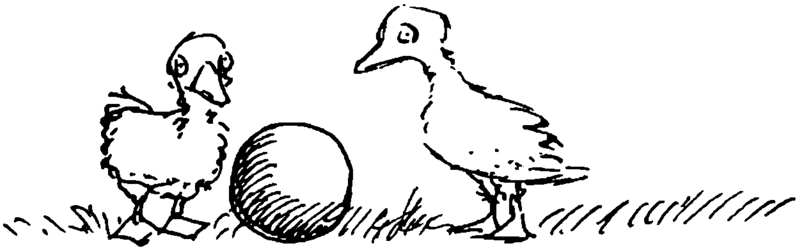

- لـم أرَ فـي حياتـي أفـراخ إوز بمثـل هـذه الحماقـة. يا لسـوء حظي، أسـعى جاهداً لأحصلَ لهم على تسـليات، وهكـذا يكافئوني عليها. سأعلِّمُكم بنفسي اللعب بالكرة، ولا بدّ أنها ستُمْتِعُكم!

احتجَّت الإوزة:

- اهدأ يا صديقي، اهدأ...

- آه! أنتِ في صفّهم؟ حسن! ستَلعبين أنتِ أيضاً الكرة.

وهكـذا لـم يكُـن الإوز وَدوداً مـع أهـل بيتـه أكثَر مـن ودّه مع الغربـاء. وبينمـا كان يعلِّـم الإوزة وفراخهـا اللعـب بالكـرة، وصلَت الصغيرتـان إلى مـكان الحمـار وانزلَقَتا تحـت السـياج. كان الإوزّ قد عضَّهما بقوّة فراحتا تمشيان وهما تجرجران سيقانهما، لكنهما توقَّفتا عن البكاء، وظلّت مارينيت وحدها تشهَق قليلاً. قال الحمار:

- يـا له مـن حيوانٍ قَذر! لـم أزَل مُسْـتَفزاً... أنا مَن كنت سأسـرّ لرؤية فتاتين صغيرتين تلعبان حولي... آه! يا له من فظّ أحمَق! ولكن أخبراني، هل آلمكما؟

أرَتْه مارينيت خدشاً أحمر في ساقها اليسرى. وعلى ساق دلفين اليمنى خدش مثله.

- آه! أجل، آلمَنا. كأنه حرق.

عندهـا، خفَـضَ الحمـار رأسـه، ونفَخَ علـى السـاقين، ولم تعُد الصغيرتـان تشـعُران بالألـم. وذلـك لأنـه كان حمـاراً طيبـاً. شـكَرَتاه وداعبتا عنقه بمودّة. كان الحمار مسروراً. قال لهما:

- تستطيعان أن تلمسا أذني أيضاً. أعرف أنكما تتشوّقان لذلك.

داعبتـا أذنيه أيضاً، وأدهشَـهَما أنهما بمثل هـذه النعومة. فقالَ الحمار خافضاً صوته:

- طويلتان، أليس كذلك؟

أجابت مارينيت:

- أوه! قليلاً، ولكن ليس كثيراً، كما تعرف... على كلّ حال، هما تليقان بك...

أضافت دلفين:

- لو لم تكونا بمثل هذا الطول، ربما لما أحببتكَ...

- أتظنّان؟ إذاً، هذا حَسن. ومع ذلك...

تردَّد الحمار، ثم خشية أن تزعجه الصغيرتان بأذنيه، قرَّر التحدّث في أمرٍ آخر.

- حين عضّكما الإوز منذ قليل، لم تسمَعاني. صحتُ بكما أن تُمسِكا رأسه بكلتا اليدين وأن تلويا عنقه. أجل، كان يجب أن تأخذاه بكلتا اليدين وتلوّحاه دورتين أو ثلاث دورات حولكما وأنتما تمسكانه بطرف الذراع. وحين يقف على قدميه، لن يعود يعرف أين هو، سيُصيبه الدوار وسيتعذَّر عليه الوقوف. ولكان تذكَّر طيلة حياته ألّا يعض شخصاً لقّنه مثل هذا الدرس.

قالت مارينيت:

- هذا جميل. ولكن يجب إمساك رأسه أولاً وأخشى أن يعضّ يدنا...

- صحيح أنكما بنتان صغيرتان. مع ذلك، لو كنت مكانكما، لحاوَلت.

لكن الصغيرتين هزَّتا رأسيهما، وقالتا إنّ الإوز أخافَهَما كثيراً. فجأة، أخذ الحمار يضحك واستأذنهم أن ينظرا إلى الإوز يلعب الكرة في مَرجه مع أسرته. كان يدّعي الأهمية، يدفع الإوزة، ويوبّخ الفراخ على رعونتها، ومع أنه الأشد رعونة في الفريق، طفَقَ يقول كلّ حين: «انظروا كيف أفعل... احذوا حذوي» وطبعاً لم تكُن الكرة تُرمى وإنما تُركَل بالقدم. وراحت مارينيت ودلفين والحمار يضحكون بقوة، ويصرخون في كل مناسبة: «أخطأها!» ولكن الإوز لا يعترف برعونته ويتظاهَر أنه لم يسمع الضحكات والسخريات. وبما أنه استطاع للتوّ أن يلتقط الكرة بعد أن أخطأها عشر مرات، ازدادَت جرأته وصاح بفراخه:

- سأريكم الآن كيف نقذف بضربة ملتوية... أنت، أيتها الأم، سترمين الكرة إليّ... انظري إليّ جيداً.

تراجع بضع خطوات في مواجهة الأم التي استعدَّت لرَكل الكرة بقائمتها. تأكَّد أنّ جميع الأنظار مصوَّبة إليه، نَفَشَ صدره إلى الأمام، وصاح:

- جاهزة؟... الضربة الملتوية!

وبينما كانت الإوزة تقذف الكرة، أخذَ يدور في مكانه، مثلما رأى الصغيرتيـن تـدوران. دار في البدايـة ببطء، ولكن حين صـاحَ الحمار بـه أن يـدور أسـرع، اندفَـعَ ودار ثـلاث دورات من دون أن يسـتطيع التوقف. أخذَ الإوز المسـكين يهزّ رأسـه وهو يشـعُر بالدوار، وتقدَّم بضع خطوات مترنِّحة، سـقط على الجانب الأيمـن مرّة وعلى الجانب الأيسـر مرة أخرى، وظـلّ ممدَّداً علـى الأرض لبرهة، منكَّس الرأس، مشـوّش البصـر. راح الحمـار يضحك مقهقهـاً وتدحرج على العشـب وحوافـره الأربعة فـي الهواء. ولم تكُـن الصغيرتان أقـلّ مرحاً وحتى فراخ الأوز، رغم الاحترام الذي يكنّونه لأبيهم، لم يتمالكوا أنفسهم عن الضحك في سـرّهم. وحدها الأم لم ترغب في الضحك. انحنَت على الإوز وحثَّته على النهوض بصوتٍ خفيضٍ قائلة:

- كفى، يا صديقي، كفى... هذا لا يليق... الناس ينظرون إلينا.

تمكَّن من الوقوف على قدميه، لكنه ظلَّ يشـعر بألمٍ في رأسـه ومكَثَ صامتاً لدقيقة. وحينَ استطاع أن يفتَحَ منقاره، راح يُدافع عن نفسه وعن رعونتِه.

في تلك الأثناء، راحت مارينيت تُطالِبُه بكُرَتِها. فقالت له:

- أنتَ ترى جيداً أنّ هذه اللعبة ليست للإوز.

قال الحمار:

- وخاصة أنت. لقد رأينا ذلك منذ قليل، حين جعلتَ نفسكَ موضعَ سخرية. هيا، أعِدْ الكرة.

ردّ الإوز:

- قلتُ إنني صادَرْتُها ولا مجالَ لإعادتها.

- كنتُ أعرفُ أنكَ فظّ وكاذب. وفعلاً، لم يعُد ينقصكَ إلّا أن تكون لصّاً.

- لم أسرِقْ شيئاً، وكلّ ما في مَرجي هو ملكي. وبعد، دَعني وشأني. لن أتلقّى دروساً من أتان.

حين سمعَ الحمار الكلمة الأخيرة، نكس رأسه ولم يعُد يتجرّأ على قول شيء. كان يشعُر بالخجل والحزن، وراح يختلس النظر إلى الصغيرتين وهو لا يدري أيّ موقف يتخذ. ولكن دلفين ومارينيت لم تنتبها إليه، بسببِ انزعاجهما من فقدان كُرَتهنّ.

رجَتا الإوز مرة أخرى أن يعيدَها لهما، ولكنه لم يصغِ إليهما. تأهَّب للذهاب إلى البركة مع أسرته، وأمَرَ الأم أن تأخذ الكُرة بمنقارها. ولأنّ البركة وراء المرج على تخوم الغابة، تقاطَرَ مع فراخه أمام السياج حيث تقف الصغيرتان وصديقهما الحمار. وفي تلك اللحظة، أشارَ فرخ أوزّ مُحبّ للعلم إلى الكرة التي تحملها أمه،

وسألها عن اسم الطير الذي باضَها. أخذَ إخوته يضحكون وقال له أبوه بصرامة:

- هيا، اسكُت. أنتَ حمار.

تعمَّد أن يرفع صوته وهو يختلس نظرة جانبية. وبذلك تلقى الحمار ضربة في الصميم.

حين رأى الصغيرتين تجهشان بالبكاء وسمع مارينيت تشهَق، حاول أن ينسى حزنه ويواسيهما.

- لم تضِعْ كرتكما. أتعلمان ما ستفعلانه؟ حين يصلُ الإوز إلى البركة، ستذهبان إليها. بالتأكيد سيترك الكرة على الضفة وما عليكما إلّا أن تأخذاها. سأخبركما عن اللحظة المناسبَة للذهاب. وحتى ذلك الحين، سنتحدَّث قليلاً. أريد فقط أن أقول لكما...

أطلقَ الحمار تنهيدة وتنحنح. بدا متضايقاً. وقال أخيراً:

- حسن! منذ قليل، نعتني الإوز بالأتان... أنا أعرف حقّ المعرفة أنه أحد أسمائي. لكنه نَطَقَه بطريقة مُهينة. وبعد ذلك، حين مرَّ

من أمامنـا قال لأحد فراخه: «أنـت حمار»، كأنه ينعتـه بالأحمق، ألا تتذكـران؟ أريد أن أعرف لماذا حين يتحـدّث الناس عن أبله، يقولون دوماً: «هذا حمار».

احمرَّت الصغيرتان خجلاً، لأنهما غالباً ما استخدمتا، هما أيضاً، هذه الشتيمة.

واستطردَ الحمار:

- حسـن، دعونـي أقـول لكما أنـه في المدرسـة، حيـن لا يفهَم طفل شـيئاً مـن دروسـه، يوقفه الأسـتاذ في ركـنٍ من الصـف ويَضع على رأسـه قبعـة حمار! كأنـه لا يوجد فـي العالم أغبى مـن الحمار! ستوافقاني أنَّ هذا مزعج لي.

أجابت دلفين:

- الواقع، أعتقدُ أنّ هذا ظلم.

سأل:

- ألا تظنّان أني أشدّ حيونة من الإوز؟

- لا... لا...

احتجَّتـا من دون قناعة، لأنهما من فرط ما سـمعَتا عن حيونته، كادَتا تصدِّقانها فعلاً. وأدركَ أنه لن يفلح في إقناعهما أنه وقَعَ ضحيّة ظلم. لن تصدِّقاه من دون دليل. وتنهَّد:

- هيـا، لا يهم أيتهـا الصغيرتان... لا يهم... حـان وقت الذهاب إلى البركة حظاً موفقاً. أخبراني إن لم تنجَحا.

حيـن وصلـت الصغيرتـان إلـى البركـة، فقدَتـا الأمل باسـتعادَة كرتهما. لم يكُن الإوز حتماً بالحمق الذي وصَفَه الحمار، لأنه احتاطَ وأخذهـا معه إلـى وسـط البركة. كانـت تعوم قـرب الفـراخ، وراحوا يلعبون بها أفضل ممّا لعبوا بها منذ قليل على العشـب. لعبوا لعبة مَن يمسـك بهـا أولاً، وكانوا يخبّئونها تحـت أجنحتهم، وبعد لحظة، طـابَ للصغيرتين مراقبة مرحهم. لـم يعُد ذلـك الإوز البليد المثير للسخرية في المرج. كان يسبَح بسهولة، ولم يكُن ينقصه اللطف ولا الكبرياء. بدا أنه تحوَّل، ولم تسـتطِعْ الصغيرتان، رغم كلّ حنقهما، أن تمنَعا نفسيهما عن الإعجاب به. أمّا هو، فعلى العكس، لم يفقِدْ شيئاً من سوئه، وصَرَخَ بهما مشيراً إلى الكرة:

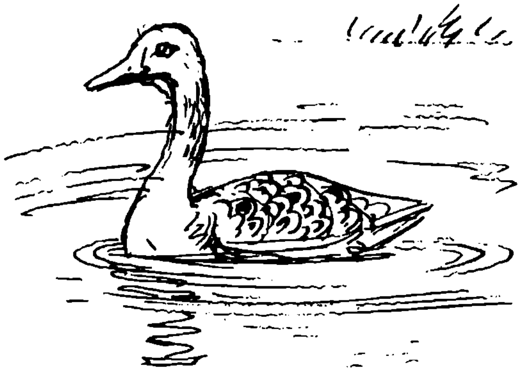

- آه! آه! ظَنَنْتما أنني سـأتركها على الضفة، أليس كذلك؟ لسـتُ بهذه الحيونة! إنها في مأمنٍ ولن تطالاها ثانية!

ما لـم يقُلْه، هو أنه حين وصل إلى البركـة، ضاقَ ذرعاً بالكرة، فرماهـا في المـاء، ظناً منه أنها سـتغطس إلى القاع مثـل أية حصاة.

وكانت المفاجأة الأولى أنه رآها تطفو، لكنه من فرط غروره لم يعترفْ أمام الصغيرتين بما اعتراه من دهشة. وحاوَلت دلفين مرة أخرى أن تثنيه عن عزمه، فحدثَّته بتهذيب:

- هيا، أيها الأوز، كُنْ عاقلاً، أعِدْ لنا الكرة... سيوبِّخنا أبوانا.

- إذا وبَّخاكما، فإنهما يُحسنان صنعاً. ستتعلَّمان ما تكلِّفه معانَدَتكما لي في مرجي. إذا صادفتُ أبويكما، سأقول لهما إنهما يربيان ابنتيهما تربية سيئة. وأودّ أن أعرف كيف سيستقبلان فراخي إن شاهدوها تلعبُ عندهما من دون إذنهما. من حسن الحظّ أنّ فراخي الحبيبة تُحسن التصرّف، وهم مَدينون لي بذلك.

قالت مارينيت وهي ترفع كتفيها:

- اسكُت إذاً. أنتَ لا تنفكّ تتفوّه بالحمرنات.

وعلى الفور، عضَّت على شفتيها وندمَت على هذه الكلمة المُهينة للحمار. وصاحَ الإوز:

- حمرنات؟ أيتها الوقحتان! سأتدبَّر أمرَ ربلتَي ساقيكما! انتظراني فقط حتى أخرج من الماء.

وراح يسبح نحو الضفّة، أمّا الصغيرتان فقد هربتا راكضتين وهما تتحسَّسان آثار منقاره على ساقيهما. وقال الإوز:

- آه! أحسنتما صنعاً بالهرب، كنت سأعضّكما حتى يَسيل دمكما! وأمّا الكرة، فانْسَيا أمرها تماماً. فكّرتُ بمخبأ رائع لها. والذكي مَن يستطيع العثور عليها.

عادَت الصغيرتان إلى بيتهما من دون أن تتجرآ على المرور قرب الحمار، لأنّ مارينيت كانت تفكّر بندمٍ في الكلمة النابية التي أفلَتَتْها منذ قليل. فضلاً عن ذلك، تغيَّر الطقس فجأة، وأصبَح بارداً. لم يكُن في السماء غيوم، وكانت ريح جليدية تهبّ من الشمال وتقرس الساقين. توقَّعت دلفين ومارينيت أن ينهالا عليهما بالتأنيب، ولكن الأبوان لم ينتبها إلى عودتهما من دون الكرة، وقال الأب:

- لم نشهَد في حياتنا برداً قارساً إلى هذا الحدّ. أنا متأكد من أنّ الطقس هذه الليلة سيكون جليدياً شديد البرودة.

قالت الأم:

- من حسن الحظ أنّ هذا البرد لن يستمرّ. جاء قبل أوانه.

خرَجَ الإوز وأسرته من البركة ومروا أمام سياج الحمار. كانت الأم تحمل بمنقارها كرة الصغيرتين، وكانت فراخ الإوز تشكو لأبيها من برودة الطقس أكثر من المعتاد. قال الحمار:

- آه! آه! أرى أنّكَ لم تَشَأ إعادة الكرة إلى الصغيرتين! لكنني آمل أن يحدُث ذلك غداً.

ردّ الإوز:

- لا غداً ولا بعدَ غد. سأحتفظ بها، وسأذهب حالاً لأضَعَها في مكان أمين، في مخبأ حريز.

- مخابئ إوز، لا بد أنها سهلة.

- على كلّ حال، لن يكتشف جحش مثلكَ مخبئي.

أجابَ الحمار:

- بووووه! لن أكلف نفسي حتى عناء البحث... سأعرف كيف أجبرك على إعادة الكرة دون أن أزعج نفسي!

سخر الأوز قائلاً:

- أتشوَّق لرؤية ذلك.

ابتعدَ ليَلحق بأسرته، ولكنه بعد بضع خطوات، غيَّر رأيه وقال بخُبث:

- هاتان الفتاتان حتماً لا تُطاقان. سمعتهما منذ قليل تُجيبان شخصاً يهرف: «اسكت، أنت تقول حمرنات» أجل، هكذا أجابتا.

- والشخص الذي كان يهرف هو حتماً أنت...

غادر الإوز من دون أن يُجيب، ولكن كان واضحاً أنه مغتاظ. ولمّا صارَ الحمار وحيداً، راحَ يفكِّر مليّاً في جواب الصغيرتين.

فجأة أخذَ يضحَك في سرّه بسبب فكرة عنَّت على باله عن طرف أذنيه اللتين يعضّهما البرد.

خـرجَ في صباح اليـوم التالي إلى مَرجٍه مبكراً. كان البرد قارسـاً لم يشـهَد أحد مثله منذ زمنٍ طويل. وقف الحمار عند حافّة السياج وراحَ يرقص على قوائمه الأربع ليدفء جسـده. رأى أولاً الصغيرتين ذاهبتيـن إلـى المدرسـة فناداهما. ولمّـا تأكَّدَتا مـن أنّ الإوز ليسَ في مرجه، جاءتا لتسلِّمان عليه، فسألهما:

- هل لامَكما أبواكما؟

قالت مارينيت:

- لا. لم يعرفا بعد أنّ الكرة ضاعت.

- حسـن، اطمئنا أيتها الصغيرتان. أؤكد أنكما ستستعيدانها غداً مساءً.

وبعـد أقـلّ مـن خمس دقائـق علـى انصـراف الصغيرتيـن، رأى الإوز قادماً على رأس سـربه. حيّا الحمار الأسـرة كلّها وسأل الأم عن وجهتهم في مثل هذه الساعة المبكرة، فأجابت:

- نحن ذاهبون إلى البركة للاستحمام.

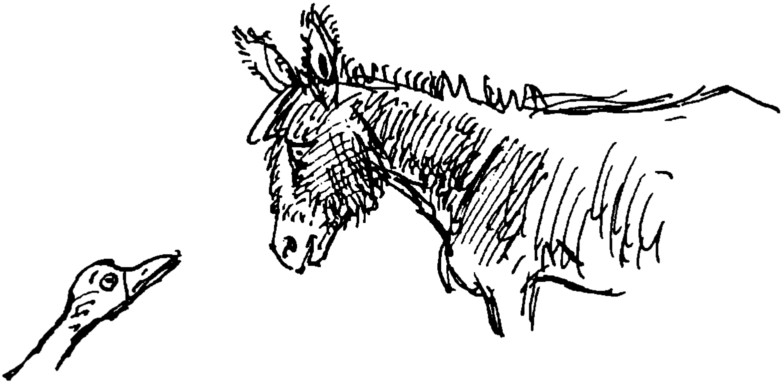

قال الحمار:

- عزيزتي الأوزة الطيبة، أنا آسف جداً، لكنني قرَّرت أن أحرمكُم الاستحمام هذا الصباح.

أخذَ الأوز يضحك وقال في لهجة مشفقة:

- وهل تحسَب أنه يكفيك أن تتّخذ قراركَ أنت حتى أطيع أنا؟

- لا أعرف ما هي خططكَ، ولكنّك مُجبَر أن تطيعني، لأنني أغلقتُ البركة في أثناء الليل، ولن أفتحها قبل أن تُعيدَ الكرة للصغيرتين.

ظنَّ الإوز أنّ الحمار فَقَدَ عقلَه وقال لفراخه:

- هيّا، إلى الحمام. لا أرى سبباً يدعوني للإصغاء إلى حديث هذا الجحش.

حين لاحَت البركة، أطلقَت فراخ الإوز صيحات الفرح، وراحت تقول إنها لم ترَ في حياتها سطح الماء صقيلاً ولا لامعاً على هذا النحو. وحتى الأب ذاته لم يكن قد رأى جليداً في حياته. ولم يسمع به من قبل، لأنّ الشتاء الماضي كان دافئاً ولم يتجمَّد الماء في أيّ مكان. بدا له أيضاً أنّ الماء أجمل من المعتاد، وهذا ما أنعَشَ مزاجه فقال:

- هذا يبشِّر بحمامٍ ممتع.

وكما هو الحال دوماً، نزل إلى البركة أولاً، وندت عنه صيحة دهشة. وبدل أن يغوص في الماء، ظلَّ يمشي على سطحٍ قاسٍ كالحجر. وخلفه، أخرَسَ الذهول الأم والفراخ. وتذمَّر الإوز:

- هل فعلاً سدَّ البركة؟ لكن لا، هذا غير ممكن... سنجد الماء أبعد قليلاً.

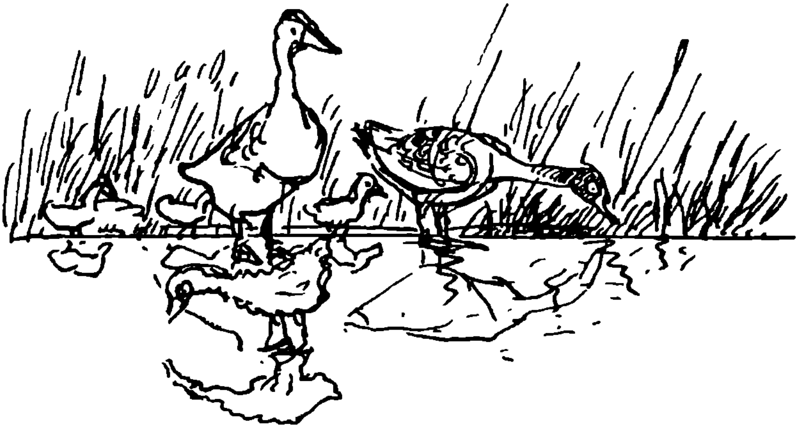

اجتازوا البركة مرات عديدة، ووجدوا في كلّ مكان تحت أقدامهم السطح المعدني البارد ذاته. فقالت الإوزة الأم:

- يا له من شيء مضجرٍ! نهارٌ من دون استحمام هو نهار حزين، خاصَّة للأطفال. يجب عليكَ أن تُعيد الكرة...

- دعيني وشأني، أعرف ما يجب أن أفعله. والأهم ألّا تتفوّهوا بحرفٍ عن هذه الحادثة... وأن لا يعرف أحد أنني وقعتُ في مصيدة جحش.

وعادَ السـرب إلى الخمّ ليختبئ فـي أحد الأركان. وحتى يتجنَّب المرور أمام السياج، دارَ دورة كبيرة، ولكن الحمار صاح:

- هل تُعيد الكرة؟ هل يجب أن أفتح البركة؟

لكـن الإوز لـم يُجِـبْ، لأنـه كان أكثـر زهـواً مـن أن يُذعِـن من أوّل مـرة. وظلّ مزاجه طوال الصباح لا يُحتمَـل، ولم يلمس طعامه. وتسـاءَل بُعيـد الظهـر إنْ كان يمكن للحمـار أن يُغلق البركـة أم أنه يحلـم. وقرَّر بعد تردّد مديـد أن يذهب لرؤيتهـا. كان بحاجة إلى أن يتأكّد من أنه لا يحلم. كانت البركة مسـدودة بإحكام. وسـأله الحمار في الذهاب والإياب إن كان مستعدّاً لإعادة الكرة:

- احذِّرك من مغبّة التأخّر في اتخاذ القرار!

لكن الإوزّ شـَمخَ برأسـه عالياً. أخيراً، في صبيحـة اليوم التالي، لم يشَـأ أن يُباشِـر هـو نفسـه المفاوضـات، فأرسَـلَ الإوزة الأم إلى الحمار. كانت دلفين وماريـنيـت هناك، وصارَ البرد أخفّ من الأمس، وبدأ الجليد يذوب فوق سطح البركة. أعلن الحمار (وكان يتظاهَر أنه غاضب):

- عزيزتـي الإوزة الطيبـة، لا أريـد أن أسـمَعَ شـيئاً قبـل أن آخذَ الكرة. يمكنكِ أن تذهبي وتقولي ذلك لزوجك. أنا آسـف لأجلكِ لأنكِ إوزّة طيبة. ولكن هذا الإوز عنيد ويسبِّب الشقاء لأسرته.

وغادرت الإوزة الأم بخطى سـريعة، وأمضَـت الصغيرتان وقتاً ممتعاً وهما تجاهدان لإخفاء رغبتهما في الضحك، وقالت دلفين:

- المهمّ أن لا يتجوّل الأوز الأب في البركة قبل أن يتَّخذ قراره. سيرى بوضوح أنّ الغطاء يوشك أن يتصدَّع.

قال الحمار:

- لا تخشيا شيئاً، سترياته قادماً ومعه الكرة.

وفعلاً، لم يلبث الإوز أن وصَلَ على رأس سربه. كان يمسك الكرة بمنقاره، وقذَفَها بحركةٍ غاضبة إلى الجانب الآخر من السياج. التقَطتها مارينيت، وهمَّ الإوز أن يتّجه إلى البركة، ولكن الحمار ناداه بنهيق جاف، وقال له:

- ليس هذا كلّ شيء. عليك الآن أن تعتذرَ لهاتين الصغيرتين لأنك عضَضْتَهما ذلك اليوم.

احتجَّت الصغيرتان:

- أوه! لكن لا، لا حاجة إلى ذلك.

- بلى، أنا أصرّ على الاعتذار. لن أفتح البركة قبل أن يعتذرَ لكما.

هتَفَ الإوز:

- أنا أعتذر؟ آه! أبداً! أفضِّل الاستغناء عن الحمام طيلة حياتي!

وقفل راجعاً مع أسرته على الفور، واتجه إلى فناء المزرعة وحاول نسيان البركة من خلال الخوض في مستنقع ماءٍ مُوحِل. وصَمَدَ طوال أسبوع، وحين أذعَنَ للاعتذار، كان الجليد قد ذاب في البركة منذ ستة أيام؛ كان الطقس دافئاً كأنّ الفصل ربيع. قال الإوز وهو يتلعثَم من الغضب:

- أعتذر إليكما عن عضّكما في ساقيكما. وأقسم أن لا أكرِّرها.

قال الحمار:

- هذا حسن، وها أنذا أفتح البركة. اذهبوا واستحموا.

في ذلك اليوم، استغرق الإوز في الاستحمام وقتاً طويلاً. وحين عاد إلى المزرعة، بدأ خبر مغامرته ينتشر وكان عليه أن يتحمَّل سخريات جميع حيوانات المزرعة. أدهَشَهَم أن يكون الإوز بمثل هذا الغباء، والحمار بمثل هذا الدهاء. ولهذا لم يعُد الحديث يدور منذ ذلك اليوم عن غباء الحمار؛ وصارَ يُقال، على العكس، عن رجلٍ يريد الناس مَدحَه على ذكائه إنه يتمتع بفطنة حمار.

الحمار والحصان

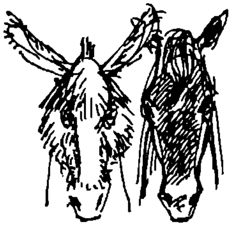

تنـام دلفيـن وماريـنيـت فـي سـريريهما، ولكـن لأنّ القمـر بـدرٌ ويرسـل نوره إلى داخل الغرفة، لم تناما علـى الفور. قالت مارينيت الصهباء:

- هل تعرفين ماذا أتمنى أن أصبح؟ حصاناً. أجل، أودّ أن أصبح حصاناً. سـيكون لدي عندئـذٍ أربعة حوافر وعفرة وذيل من الشـعر، وسأعدو أسرع من أيّ شخص. وبالطبع، سأصبح حصاناً أبيض.

قالت دلفين:

- أمّـا أنا، فـلا أطلبُ الكثيـر، يكفيني أن أصبح حمـاراً رمادياً له بقعة بيضاء على رأسه. سيكون لديّ، أنا أيضاً، أربعة حوافر، وأذنان طويلتان أحرّكهما للتسلية، وعينان لطيفتان.

وظلّتا تتحدثـان إلى حين، وغلَبَهما النعـاس وهما تعبّران للمرة الأخيـرة عن رغبتهما، أن تصبح مارينيت حصاناً ودلفين حماراً رمادياً ببقعـة بيضـاء على رأسـه. غـابَ القمر بعـد نحـو سـاعة. وأعقَبَه ليل بَهيـم حالـك السـواد لا مثيلَ لـه. قال العديـد من سـكان القرية في اليوم التالي أنهم سـمعوا في دياجير هذه الظلمات صليل سلاسـل

وفي الوقت ذاته موسيقى خافتة وصفير عاصفة، مع أنّ الريح لم تهبّ في أية لحظة. قِطّ الدار المطّلع بلا شك على كثير من الأمور مرَّ من تحت نافذة الصغيرتين مراراً وتكراراً، وناداهما بأعلى صوته، لكن نومهما كان أعمق من أن تسمعاه. فأرسَلَ الكلب ولم يكُن حظّه أوفر.

في الصباح الباكر، فتحت مارينيت عينيها وخالَت أنها ترى من بين أهدابها أذنين طويلتين مدببتين تتحرّكان على الوسادة في سرير أختها. وهي ذاتها شعرت أنها نامت نوماً سيئاً، كأنها متضايقة من نفسها، ومتخبِّطة في الأغطية والملاءات. ومع ذلك، غَلَبَ النوم فضولها، وأغمَضَت جفنيها من جديد. دلفين، النائمة هي أيضاً، ألقت نظرة خاطفة على سرير أختها. وجَدَته ضخماً، منتفخاً على نحوٍ غريب، وعادَت إلى النوم بدورها. وبعد برهة، استيقظتا تماماً، ودلّيتا نظرهما إلى أسفل وجهيهما فبدا لهما أنهما استطالا وغيَّرا منظرهما. ولما التفتت دلفين برأسها نحوَ سرير مارينيت، ندَّت عنها صرخة. وبدل الرأس الأشقر الذي ظنّت أنها ستراه على الوسادة، كان يوجد رأس حصان. ولم تكُن مارينيت أقلّ دهشة حين ألفت نفسها في مواجَهَة رأس حمار فندَّت عنها هي أيضاً صرخة. جحظَت عيون الأختين البائستين ومدَّتا عنقيهما خارج سريريهما لتنظر إحداهما إلى الأخرى من كثب، ولم تستوعِبا ما حدث لهما. راحَت كلّ منهما تتساءل في سرِّها أين ذهبَت أختها، ولماذا حلَّ حيوان مكانها في السرير. همَّت مارينيت أن تضحك، لكنها بعد أن

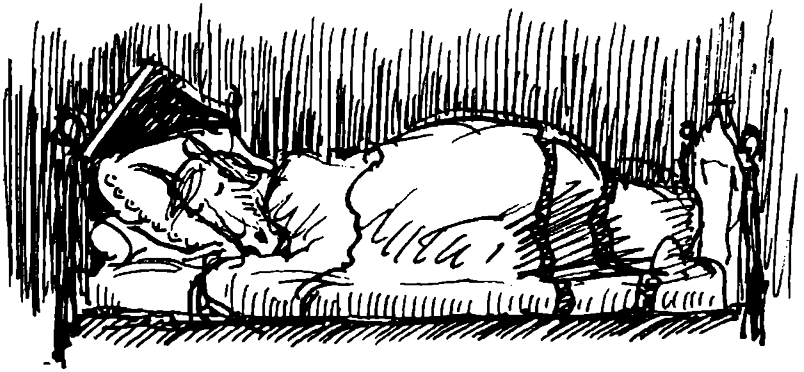

تفحَّصَت نفسها، رأت لبانها وأطرافها ذات الشعر المزوّدة بحوافر وأدركت أنّ أمنية ليلة أمس تحقَّقت. ونظرت دلفين أيضاً إلى وبرها الرمادي، وحوافرها، وظلُّ أذنيها الطويل على الملاءة البيضاء، وبانت لها الحقيقة. أطلقَت تنهيدة فأحدَثَت نهيقاً عند مرورها عبر شفتَيها الرخوتين، وسألت أختها بصوتٍ مرتعِش لم تتعرّف هي نفسها عليه:

- أهذه أنتِ يا مارينيت؟

أجابت مارينيت:

- أجل. وهذه أنتِ، دلفين؟

نزلتا بصعوبة من سريرهما، ووقفتا على قوائمهما الثمانية. كانت دلفين التي أصبحت جحشاً جميلاً أصغر من أختها التي صارت حصاناً قوياً يفوقها في طول العنق، قالت لأختها:

- وبرك جميل. ولو رأيت عفرتك، أظنّكِ ستسرّين...

لكن الحصان الكبير المسكين لم يكن يفكِّر في العدو. راح ينظر إلى ثوب الفتاة الصغيرة الموضوع على كرسي قرب رأس السرير، وشعَرَ بالتعاسة من فكرة أنه قد لا يرتديه ثانية أبداً، وأخذت قوائمه الأربع ترتجف. بذل الحمار الرمادي ما بوسعه ليُطَمئنه. وحين رأى أنّ كل أقواله لم تجِدْ نفعاً، راحَ يداعب عنقه بأذنيه الطويلتين الوديعتين. ولما دخلت الأم الغرفة، كانا ملتصقين أحدهما بالآخر، الحصان يحني رأسه فوق رأس الجحش، ولم يتجرّأ الاثنان على رفع بصرهما. استغرَبَت كيف فكَّرت ابنتاها بإدخال هذين الحيوانين اللذين لا يخصّان أبويهما إلى غرفتهما وأعرَبَت عن استيائها الشديد.

- في الواقع، أين ابنتيّ المجنونتين إذاً؟ لا بد أنهما مختبئتان في هذه الغرفة ما دامت ثيابهما ظلَّت على الكراسي. هيا، اخرجا من مخبئكما! لا مزاج لديّ للعب...

وحين لم تجد الأم استجابة، ذهبَت تتلمس السريرين، وبينما هي تنحني عليهما، سمعت همساً:

- ماما... ماما...

- أجـل، أجل، أسـمعكما... هيـا، اظهـرا. لأخبِركما أنني مسـتاءة من...

وسمعَت مرة أخرى:

- ماما... ماما...

وكانـا صوتين أجشَّـين لـم تكَـد تتعـرَّف إليهما. وحيـن لم تجد ابنتيهـا في الغرفـة، التفتت نحو الحصـان والحمار لتسـألهما، ولكن نظراتهما الحزينة المحدِّقَة فيها، جعَلَتْها تمكثُ في البداية مذهولة. كان الحمار هو مَن تكلَّمَ أولاً. قال:

- ماما، لا تبحثي عن مارينيت ودلفين... هل ترَين هذا الحصان الكبير؟ إنه مارينيت، وأنا دلفين.

- ماذا تهرفان؟ أرى بوضوح أنكما لستما ابنتيّ!

قالت مارينيت:

- بلى، ماما، نحن ابنتاك.

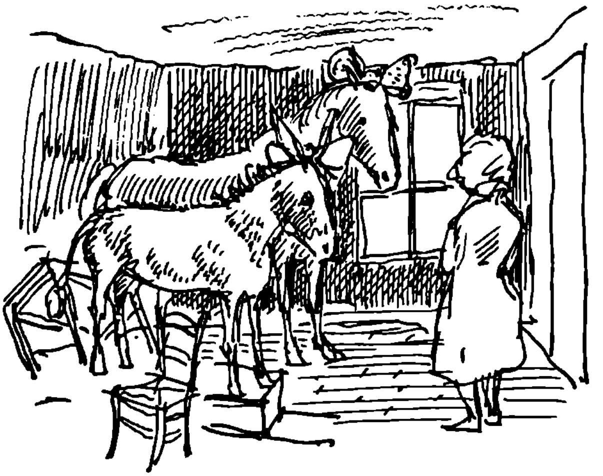

وانتهت الأم المسكينة إلى التعرُّف على صوت مارينيت ودلفين. أسندَتا رأسيهما إلى كتفيها وبكوا جميعهم مطوّلاً. قالت لهما:

- انتظرا هنا لحظة، سأحضر أباكما.

جاء الأب بدوره، وبعد أن بكى بمرارة، فكَّر في الحياة الجديدة التي سيفرضها تغيُّر حال ابنتيه. في البداية، لم يعُد وارداً أن تسكنا في غرفتهما التي أصبحت تضيق بهذين الحيوانين الكبيرين. وأفضل ما يمكن فعله هو أن تقيما في الحظيرة مع فراشٍ طري ومعلفٍ مزوَّد بالتبن. مشى الأب وراءهما، وتبعهما إلى الفناء، وهمَسَ بشرودٍ وهو ينظر إلى الحصان:

- إنه حيوان جميل على كلِّ حال.

قلَّما كان الحمار والحصان يبقيان في الحظيرة حين يكون الطقس صحواً وكانا يذهبان إلى المروج ويقضيان وقتهما في الرَّعي والحديث عن الفتاتين الصغيرتين اللتين كانتاهما سابقاً. كان الحصان يقول:

- هل تتذكّر يوم كنّا في هذا المرج وجاء إوزّ فخطف كُرتنا...

- وعضَّنا من ربلَتينا...

وكان الحال ينتهي بالحيوانين إلى ذرف الدموع الغزيرة. وفي أوقات الوجبات، حين يتناول الأبوان الطعام، كانا يأتيان ويجلسان في المطبخ إلى جانب الكلب، ويُتابعان حركاتهما بنظرة حنونة. ولكن بعد بضعة أيام أخبرهما الأبوان بأنهما أسمَن من أن يكون المطبخ

مكانهما. فاضطرّا إلى الاكتفاء بمدّ رأسيهما من النافذة وهما في الفناء. وظلّ الأبوان يشعُران بحزنٍ غامر بسببِ الحادث الذي وقَعَ لدلفين ومارينيت، ولكنهما بعد شهر لم يعودا يفكِّران في الأمر واعتادا على رؤية الحمار والحصان. وباختصار، صارا يعاملانهما باهتمام أقلّ. مثلاً، لم تعُد الأم تحرص على ضفر عفرة الحصان بالشريطة التي تستخدمها مارينيت، كما كانت تفعل في الأيام الأولى، ولا على ربط ساعة اليد في ساق الحمار. وذات يوم كان الأب يتغدى وهو متعكِّر المزاج، ورأى الحيوانين يمدان رأسيهما من فرجة النافذة، فصرخ بهما:

- هيا، اغربا عن وجهي! ليس من شأن البهائم أن تحشُر أنفها دوماً في المطبخ... ماذا تجنيان من التسكُّع طيلة النهار وتأمُّل المنزل؟ البارحة، رأيتكما في الحديقة، وهذا أفظع! ولكنكما ابتداءً من الآن ستلزمان المرج أو الحظيرة.

ابتعَدا منكّسي الرأس، وهما في أتعَس حال. ومنذ ذلك الوقت، حَرصا على ألّا يظهرا في طريق الأب، ولم يرياه إلّا في الحظيرة، حين يأتي ليسوّي فراش القشّ. بدا الأبوان لهما مخيفين أكثر من قبل، وظلّا يشعران أنهما مذنبان من دون أن يعرفا خطيئتهما.

وذات يوم أحد بعد الظهر، كانا يرعيان في المرج، فشاهدا خالهما ألفريد قادماً، وصرخَ في الأبوين من بعيد:

- مرحباً! هذا أنا، الخال ألفريد! جئتُ أسلم عليكما وأقبِّل الصغيرتين... ولكنني لا أراهما؟

وأجاب الأبوان:

- لستَ محظوظاً. إنهما عند عمَّتهما جيان!

تمنّى الحمار والحصان أن يُخبِرا الخال ألفريد أنّ الصغيرتين لم تغادرا البيت وأنهما أصبحتا هذين الحيوانين التعيسين اللذين يراهما. وما كان ليَسَعه فعلُ أيّ شيء لتغيير حالتهما، لكنه كان يستطيع أن يبكي معهما، وهذا شيء مهم. لم يتجرآ على الكلام، خشية إثارة غضب الأبوين. وقال الخال ألفريد:

- لعمري إنه ليؤسفني أنني لم أرَ الشقراوتين... لكن أخبراني، لديكما حصاناً رائعاً وحماراً جميلاً. لم أرَهما من قبل ولم تحدِّثاني عنهما في رسالتكما الأخيرة.

- إنهما في الحظيرة منذ شهر فقط.

ولمّا داعب الخال ألفريد الحيوانين، أدهَشَته نظراتهما الودودة وتعجّلهما في مدّ عنقيهما للمداعبة. وبلغَت دهشته أوجها حين ركَع الحصان على ركبتيه أمامه وقال:

- لا بدّ أنك متعب جداً أيها الخال ألفريد. لذلك اركَب على ظهري وسأوصلك إلى المطبخ.

قال الحمار:

- أعطِني مظلّتك. لا حاجَة لتُرْبِكَ نفسك بها، علِّقها بإحدى أذنيّ.

أجابَ الخال:

- أنتما لطيفان للغاية، لكن المسافة لا تستحقّ أن تزعجا نفسيكما.

تنهَّد الجحش:

- سيسرّنا أن نوصلك.

وجزم الأبوان:

- هيا، اتركا خالكما وشأنه واذهبا إلى آخر المرج. رآكما خالكما بما يكفي.

هـذه الطريقة في قول «خالكما» وهمـا يتحدّثان عنه إلى حمار وحصـان أدهَشَـت الزائـر قليـلاً. ولكـن ذلـك لـم يصدمه لأنه شـعَرَ بالمودّة نحـو هذين الحيوانين. وهو يبتعد نحـو منزله، تلفَّت إليهما مراراً ليلوِّح لهما بمظلته.

وسـرعان مـا صـارَ الطعـام أقلّ وفـرة. فتضـاءل مخـزون التبن وخصَّصـوه للثيـران والبقـرات الذيـن يسـتحقون رعاية خاصّة سـواء بسبب عمَلها أو نوعية حليبها. أمّا الشوفان فلَم يرَه الحصان والحمار منـذ زمن طويل. وحتـى لم يعُد يُسـمَح لهما بالذهاب إلـى المروج، لأنـه لا بدّ من ترك العشـب ينمو من أجـل مؤونة التبـن. ولم يعودا يجدان مرعى إلّا في الحُفَر وتلعات الدروب.

قرَّر الأبـوان بَيع الثيران وتشـغيل الحمار والحصـان لأنهما لم يكونا ميسـورين بمـا يكفي لإطعـام جميـع الحيوانات. ولذلـك كَدَنَ الأب ذات صبـاحٍ الحصان إلـى العربة واصطحبـت الأم الحمار إلى سـوق المدينة محمَّلاً بسـلَّتَي خضـار. أظهَرَ الأبوان فـي اليوم الأول الكثيـر مـن الصبر. وفـي اليـوم التالي وجَّهـا لهما الملاحظـات فقط. ثـم راحا يلومانهما بعنف ويكيلان لهما الشـتائم. كان الخوف يجعل الحصـان يخطئ الاتجاه لأنه لا يعرف لغَة التوجيهات. عندئذٍ، يشـدّ الأب اللجـام بفظاظـة، فيُطلـق صهيلاً متألمـاً، لأنّ الشـكيمة تجرح شفتيه بقسوة.

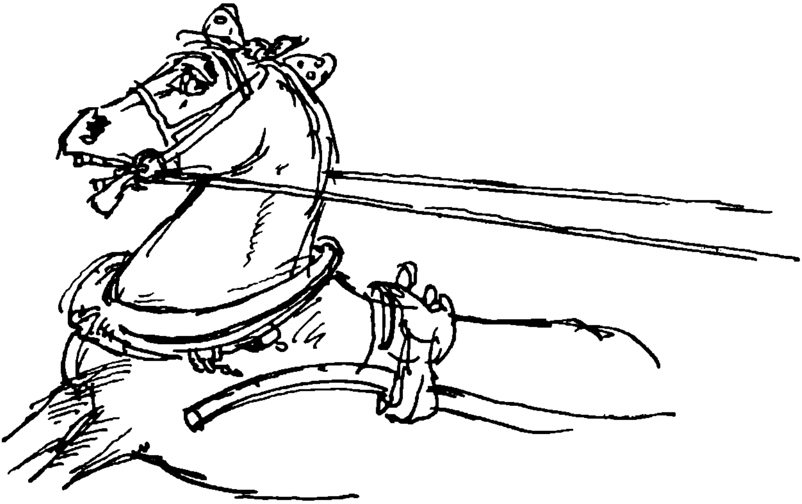

وفي أحـد الأيام كان الحصان يشـدّ الكدن على طلعة شـديدة الانحـدار، فـراحَ يلهـث وهـو يتقـدَّم بجهـد ويتوقـف بيـن الفينـة والأخـرى. كان يجـرّ حمـلاً ثقيـلاً ولـم يكُـن مؤهَّـلاً لبَـذل مثـل هذا الجهـد. كان الأب جالسـاً فـي العربـة، ممسِـكاً اللجام، وبـدأ صبره ينفَد بسـبب بطء الحصـان ووقفاته المتكرِّرة ليشـحَذ همَّتـه. وطَفقَ فـي البدايـة يحثّه بفرقعات من لسـانه. وحين لم يلقَ استجابة، راحَ يشتم واسترسَلَ قائلاً إنه لم يرَ في حياته أسوأ من هذا البغل. ومن فرط انفعاله، توقّف الحصان لاهثاً وسيقانه تقصف. فصرخ الأب:

- هيـا، هـووو! هـووو! حيـوان قـذر. انتظـر لتـرى، سـأجعلك تتقدَّم!

لوَّح بسَـوْطِه غاضباً مرات عديدة ولسَـعَه علـى خاصرتيه، فلم يتذمَّـر الحصـان، وإنمـا التفَـتَ برأسـه نحو أبيـه ورمقه بنظـرة حزن

أسقَطت السوط من يديه وجعلته يحمرّ خجلاً. قفز الأب من العربة وارتمى على عنق الحصان طالباً الصَّفْح لأنه استرسَلَ في قسوته إلى هذا الحدّ.

- لقد نسيتُ ما تكونه بالنسبة لي. كما ترى، بدا لي أنني أتعامَل مع مجرد حصان بسيط.

قال الحيوان:

- حتى لو، أجل، حتى لو كان مجرَّد حصان بسيط، عليكَ ألّا تَسوطه بهذه القسوة.

وَعَدَ الأب أن يحرص في المستقبل على عدم الانسياق لغَضَبه، والحقّ يُقال أنه لبث وقتاً طويلاً لا يستخدم سوطه. ولكنه كان في أحد الأيام مستعجلاً، فلم يتمالك نفسه وساط الحصان على ساقيه.

ولم تلبَث هذه العادة أن استولَت عليه، فراحَ يسُوط دابّته دونما تفكير. وعندما يعتريه شيء من الندم، يقول وهو يهزّ كتفيه:

- إمّا أن يكون لدى المرء حصان أو لا يكون. المهم لا بد من النجاح في ترويضه.

ولم يكُن الحمار في وضعٍ يُحسَد عليه. كان يتوجّه كلّ صباحٍ إلى سوق المدينة محمَّلاً بالأثقال على ظهره، أياً كانت حالة الطقس. وحين تمطر السماء، كانت أمه تفتح مظلَّتها من دون أن تعبأ إن تبلَّلَ وبره. فيقول:

- حين كنتُ فتاة صغيرة، لم تتركيني أبتلّ هكذا.

وتُجيب الأم:

- لو ترتَّب عليّ أن أعتني بالحمير كما أعتني بالأطفال، لما كنتَ نافعاً لشيء، ولا أدري ماذا كنتُ سأصنع بك.

ولم يفلت الحمار من الضرب أكثر من الحصان. وكما هو حال الحمير، كان أحياناً مفرِطاً في عناده. وراحَ عند بعض مفترقات الطرق يتوقَّف فجأة من دون أيّ سبب ويرفض التقدّم. عندئذٍ تحاول الأم إقناعه بلطف، وتقول له وهي تداعبه:

- هيا، كوني عاقلة، يا صغيرتي دلفين. كنتِ دوماً ابنة بارة وطفلة مُطيعة...

فيُجيبها من دون غضب:

- لم تعُد دلفين الصغيرة موجودة. لا يوجد سوى حمارٍ يحرن في مكانه.

- هيا لا تركَب رأسك. أنت تعرف حقّ المعرفة أنَّ هذا ليس في صالحكَ. سأعدّ إلى العشرة. فَكِّرْ.

- فكرتُ وانتهيت.

- واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة...

- لن أتحرَّكَ قَيد أنملة.

- خمسة، ستة، سبعة...

- حتى لو قطعت أذناي.

- ثمانية، تسعة، عشرة! أنتَ اخترتَ ذلك أيها الحيوان القذر!

ويتلقّى على ظهره سيلاً من ضربات العصا فينتهي به الحال إلى الرضوخ. ولكن الأشدّ إرهاقاً في حياة الحمار والحصان الجديدة هو الفراق. لم تكُن دلفين ومارينيت تفترقان لساعة في المدرسة أو البيت. أمّا وهُما حمار وحصان، فقد أخَذَ كلّ واحد منهما يعمل في ناحية، ويلتقيان مساء في الحظيرة منهَكَين لا يكاد الوقت يسنح لهما بتبادل بعض التذمّر من قسوة سيِّدَيهما قبل أن يغطّا في النوم. لذلك كانا ينتظران استراحة يوم الأحد بفارغ الصبر. في ذلك اليوم، لم يكُن لديهما ما يفعلانه، فيمضيان الوقت معاً في الخارج أو في الحظيرة. وقد سمَحَ لهما أبواهما أن يلعَبا بدُميَتهما، فاحتفظا بها راقدةً في المعلف على سرير قشّ. ولأنهما بلا أيدٍ للإمساك بها، لم يستطيعا هَدْهَدَتَها أو إلباسها أو غسلها، ولا منحها العناية التي تحتاجها الدمى عادة. واقتصر اللعب على النظر إليها والتحدّث معها، فيقول الحصان الكبير:

- أنا أمك مارينيت. آه! واضحٌ أنكِ تجدينني تغيَّرتُ قليلاً.

ويقول الجحش:

- أنا أمك دلفين. لا تعيري انتباهاً إلى أذني.

وبعـد الظهر، يذهبـان ويرعيان علـى امتداد الطريق ويُسـهبان فـي الحديث عن بؤسـهما. كان مزاج الحصان أكثر انشـراحاً من مزاج رفيقه، لذلك كان يتلفَّظ بكلماتٍ غاضبة عن السيدين، ويقول:

- ما يُدهِشُـني هو أنّ الحيوانات الأخرى تَرضى أن تُسـاق بمثل هذه القسـوة. بالنسـبة لنا لا بأس، فنحنُ من أهـل البيت! أعرفُ حقّ المعرفة أنهما لو لم يكونا أبواي، لهربتُ منذ وقتٍ طويل.

وهـو يقول هذا، لم يسـتطِعْ الحصان الكبير أن يتمالَكَ نفسـه عن الانتحاب وشهق الجحش بكلّ قواه.

وذات صبـاح يـوم أحـدٍ، أدخَـلَ الأبـوان رجـلاً جهيـرَ الصـوت يرتـدي مئزراً أزرق إلى الحظيرة، توقَّف خلف الحصان وقال للأبوين ما يأتي:

- هـذه دابّتي. أنا رأيته يعدو خبباً على الطريق في ذلك اليوم. أوه! ذاكرتـي قويـة، وحيـن أرى حصانـاً مـرة واحدة، أميـزه بين ألف. ولا بد أن أخبركما أيضاً أنّ هذه مهنتي.

أخذَ يضحك وأردَفَ وهو يطبطِبُ على الحصان بمودّة:

- ليس أسوأ من غيره. وحتى سأقول إنه يلائمُ ذوقي.

قال الأبوان:

- أريناكَ إيّاه لنسرّك. وأمّا بالنسبة إلى الباقي، فانسَ الأمر.

قال الرجل:

- الجميع يقولون هذا في البداية، ثم يغيِّرون رأيهم.

مع ذلك، أخذَ يدور حول الحصان ويتفحَّصه من كثَب، ويجسّ بطنه وأطرافه.

قال الحصان له:

- ألن تنتهي؟ لا أحبّ هذه الأساليب!

ضحكَ الرجل وقلَبَ له شفتيه وراحَ يفحص أسنانه، وبعد ذلك، التفَتَ إلى الأبوين وقال لهما:

- وإذا دفعتُ مئتين زيادة؟

قال الأبوان وهما يهزان رأسيهما:

- لا، لا، لا مئتين ولا ثلاثمئة... لا تُتعِب نفسك!

- وإذا دفعتُ خمسمئة؟

تريَّث الأبوان في الإجابة. تضرَّج وجهاهما بالحُمرَة ولم يتجرآ على النظر إليه. وهمَسَت الأم بصوتٍ خفيض لا يكاد يُسمع:

- لا. أوه، لا.

وهتف الرجل صاحب المئزر، وكان صوته جهورياً كصوتِ الغول فأرعَبَ الحصان والجحش:

- وإذا دفعتُ ألفاً زيادة؟ ما قولك؟

أرادَ الأب أن يُجيبه بشيء ما، لكن صوته تحشرج، فأخذَ يسعل وأومأ إلى الرجل أن من الأنسب التحدُّث خارجاً. خرجا إلى الفناء وسرعان ما اتفقا. قال الرجل:

- اتفقنا على السعر، ولكن قبل أن أشتري، أريد أن أراه يمشي ويعدو أمامي.

كان القطّ هاجعاً على حافة فوهة البئر، ولم يكَد يسمع هذه الكلمات حتى هَرَعَ إلى الزريبة وهمَسَ في أذن الحصان:

- حين يُخرِجُك السيّدان إلى الفناء، الأفضل لك أن تعرُجَ من إحدى قوائمك عندما ينظر الرجل إليك.

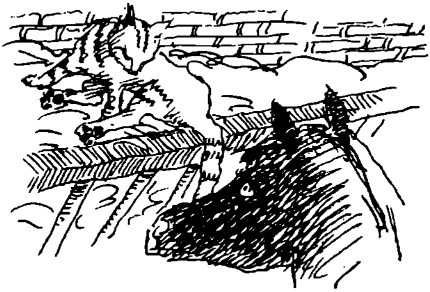

اتَّـبَعَ الحصـان النصيحة، فتظاهَرَ وهو يعبُـر عتبة الحظيرة أنّ ساقه تؤلمه وراحَ يعرج. قال الرجل للأبوين:

- ماذا، ماذا، ماذا؟ أنتما لم تُخبِراني أنّ ساقه تؤلمه. هذا يغيِّر الكثير من الأمور.

أكَّد الأبوان:

- لعلَّها مجرَّد وعكة. كانت قوائمه الأربع سليمة هذا الصباح.

لكن الرجل رفَضَ سـماع أيّ شـيء وغادَرَ مـن دون أن ينظر إلى الحصـان. وأعـادَ الأبـوان الدابّـة إلـى الحظيـرة وقـد تعكّـر مزاجهما. وزمجَر الأب:

- أنتَ تعمَّدْتَ ذلـك! آه! أيها الأجرب اللعين، أنا واثقٌ من أنك تعمَّدتَ ذلك!

قال الجحش:

- الأجـرب اللعيـن؟ أظـن أنهـا طريقـة ظريفـة لمنـاداة أصغـر ابنتيك، التي تشرِّف أبويها!

ردّ الأب:

- لسـتُ مضطرّاً لسـماع رأي أتانٍ مغفّل. ولكنني سأكلِّف نفسي هـذه المرة عنـاء الردّ علـى صفاقتـكَ لأنّ اليوم أحد. مَن يسـمعك،

يخـالُ فعـلاً أننـا أبـوا حصـانٍ وحمـار. إذا اسـتطعتما أن تتوهَّمـا أننا سنتقبّل كذبة بهذا الحمق، فكفاكما وهماً. أسألكما هل هناك شخص عاقـل يمكنـه أن يسـمع أنّ بنتيـن صغيرتيـن تحوَّلتـا، إحداهمـا إلـى حصـانٍ والأخـرى إلى أتـان، دون أن يهـزّ كتفيه؟ الحقيقـة هي أنكما حيوانـان، ولا شـيء أكثـر. وحتـى لا يمكنني أن أقـول إنكمـا حيوانان مثاليان. ينقصكما الكثير!

في البداية، لم يَحر الأتان جواباً وشَـعرَ بحـزنٍ غامرٍ وهو يرى أبويـه يُنْكِرانـه. وراحَ يدعَك رأسـه بـرأسِ الحصان ليُخبِرَه أنه سـيظلّ يعتمدُ على رفيقه في الحظيرة حتى لو نَسِيَه أبواهما.

- بقوائمي الأربـع وأذنيّ الكبيرتين، سـأظلّ أختك دلفين، مهما قالا!

سأل الحصان:

- ماما، هل تعتقدين أنتِ أيضاً أننا لسنا ابنتيكِ؟

أجابَت الأم بشيء من الضيق:

- أنتمـا حيوانـان طيبـان، ولكننـي أعـرفُ حـقّ المعرفـة أنكمـا لا يمكن أن تكونا ابنتَيّ.

وأكَّد الأب:

- أنتما لا تشـبهانهما في شيء. وبعد، يكفي إلى هذا الحدّ! هيا بنا يا امرأة.

غـادَرَ الأبـوان الحظيـرة، ولكن مـن دون تعجُّل ما أتـاح للحمار وقتاً ليقول لهما:

- ما دُمتُما واثقان إلى هذا الحدّ أننا لسنا ابنتيكما، فأرى أنه من الخفَّة أن لا تعودا تشعران بالقلق. يا لكما من أبوين غريبين يريان ابنتيهما تختفيان ذات صباح فلا يهتمّان لأمرهما! هل فتَّشتُما عنهما فقط في البئر، في الغدير، في الغابات؟ هل سألتُما عنهما في المخيَّمات المتنقِّلة؟

لم يُجِبْ الأبوان، ولكنهما حين أصبحا في الفناء، قالت الأم متنهدة:

- وبعد... ماذا لو أنهما الصغيرتان؟!

وتذمّر الأب:

- لكن لا! ماذا تقولين! آنَ الأوان للانتهاء من هذه الحماقات. لم نرَ في حياتنا طفلاً، ولا حتى شخصاً كبيراً، تحوَّل إلى جحش أو إلى أيّ حيوان آخر. في الأيام الأولى، كنا بسيطَين فصدَّقنا كلّ ما يرويه لنا هذان الحيوانان، ولكننا سنكون مضحِكَين إن بَقينا نصدِّقهما!

تظاهر الأبوان أنه لم يعُد يخالجهما أدنى شكّ حولَ هذه القضية، وربما كانا صادقين. على أية حال، لم يسألا في أيّ مكان إنْ كانَ أحدٌ رأى دلفين ومارينيت، ولم يتحدَّثا إلى أحدٍ عن اختفائهما. وحين كان أحدٌ يسأل عن أخبار الصغيرتين، يُجيبان أنهما عند العمّة جيان. أحياناً، حين يكون الأبوان في الحظيرة، كان الحمار والحصان يغنِّيان لهما أغنية صغيرة سبَقَ للأب أن علَّمها لطِفْلَتَيْه، ويقولان:

- هل تتذكَّر الأغنية التي علَّمتنا إياها؟

ويُجيب الأب:

- أجل، أتذكّرها، ولكنها أغنية يمكن تعلُّمها في أيّ مكان.

وبعد أشهر من العمل الشاق، انتهى الحمار والحصان إلى نسيان ما كاناه في الماضي. وإذا ما صادف وتذكّراه، فكان ذلك أشبَه بحكاية لم تعودا تصدِّقان إلّا نصفها. علاوة على ذلك، لم تعُد ذكرياتهما متطابقة. راح كلّ واحدٍ منهما يزعَم أنه كان مارينيت، وذات يوم تشاجرا حول هذه المسألة، وقرَّرا أن لا يتحدثا في هذا الأمر ثانية أبداً. وراحا ينغمسان كلّ يوم أكثر فأكثر في مهنتهما، وفي حالتهما كحيوانين داجنين ووجدا أنه من الطبيعي أن يتعرَّضا للضرب من سيِّدَيهما. فيقول الحصان:

- هذا الصباح، تلقّيتُ ضربات سوط على سيقاني، وكنت أستحقّها. لم أكن في حياتي بمثل هذا الشرود.

ويقول الجحش:

- أنا، الشيء ذاته دوماً. تلقيت ضرباً لأنني بالغتُ في العناد. لكن يجب أن أصلح من نفسي.

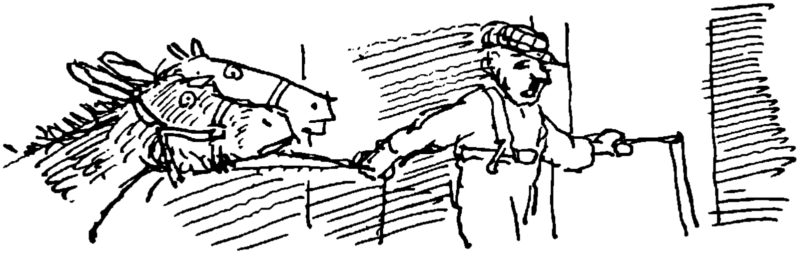

لم يعودا يلعبان بالدمية، ولن يفكّرا أنّ بإمكانهما ابتكار لعبة. وصارا يترقبان الآن قدوم يوم الأحد من دون بهجة. وأصبحَت أيام الراحة تبدو لهما طويلة فلا يجدان شيئاً مهمّاً يتحدثان فيه. وأضحت تسليتهما الوحيدة هي التماحك حول أيهما أرخم النهيق أم الصهيل. وفي النهاية، يصلان إلى تبادل الشتائم ويتناعتان بالجحش والبغل.

كان الأبوان مسرورَين من حصانهما وحمارهما. وطفقا يقولان إنهما لم يريا حيوانين بمثل طاعتهما ويهنئان نفسيهما على خدماتهما. وفعلاً، حَسَّنَ عمل هذين الحيوانين حالهما واشتريا زوجين من الأحذية الجديدة.

وذات صباح باكر، دخل الأب الحظيرة ليقدِّم الشوفان لحصانه، وإذ به يُفاجأ. وَجَدَ فتاتين صغيرتين، نائمتين على القش، مكان الحيوانين، دلفين ومارينيت. لم يصدِّق الرجل المسكين عينيه وفكَّر في حصانه الذي لن يراه أبداً. ذهب يُخبر الأم، وعادَ معها إلى الحظيرة ليأخذا الصغيرتين وهما نائمتين، ويحملاهما إلى سريريهما.

حين استيقظَت دلفين ومارينيت، كان موعد الذهاب إلى المدرسة قد حان. بدتا مبهوتتين ولا تكادان تعرفان استخدام أيديهما. وفي الصف، طفقتا ترتكبان حماقات، وتجيبان إجابات خاطئة. وأعلنت المعلمة أنها لم ترَ في حياتها أولاداً أشدّ حيونة منهما ووضعَت لكلّ واحدة منهما درجات سيئة. كان نهاراً حزيناً لهما. ولما رأى الأبوان درجاتهما السيئة، وكان مزاجهما متعكراً، ألزماهما بالخبز الجاف والماء.

ولحسن الحظ، لم تلبَث الصغيرتان أن استعادتا عاداتهما. اجتهدتا في الصف وحصلتا على درجات جيدة. وفي البيت صارَ سلوكهما مثالياً، وما لم تخطئان، لم يكن هنالك سبيل لتأنيبهما. وأصبح الأبوان سعيدين الآن لعثورهما على ابنتيهما اللتين يحنوان عليهما، لأنهما كانا في الصميم أبوين رائعين.

الخروف

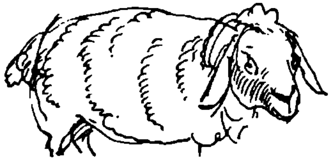

جلست دلفين ومارينيت على حافة الطريق وأقدامهما متدلية إلى الخندق، وراحتا تداعبان خروفاً سميناً أبيض قدَّمَه لهم الخال ألفريد حين جاء إلى المزرعة. كان الخروف يضع رأسه تارة في حضن دلفين وتارة أخرى في حضن مارينيت، وثلاثتهم يغنون أغنية صغيرة مطلعها: «في حديقتي وردة».

في تلك الأثناء، كان الأبوان يعمَلان في الفناء بين حيوانات المزرعة ويبدوان منزعِجَين من الخروف. وطفقا ينظران إليه شزراً، ويقولان بصوتٍ مسموع إنه يضيِّع وقت الصغيرتين وأن الأجدر بهما تنظيف البيت أو الخياطة على اللعب باستمرار مع هذا الحيوان القذر.

- لو أن أحداً يخلِّصنا من هذا الأجعد السمين، فأهلاً وسهلاً به.

كانت الساعة الثانية عشرة إلّا عشرين دقيقة والدخان يتصاعَد من مدخنة المزرعة. وبينما كان الأبوان يتحدّثان هكذا، لاحَ جنديٌّ ذاهبٌ إلى الحرب عند منعطف الطريق، يمتطي حصاناً شامخاً

أسـود. وحيـن رأى أناسـاً ينظـرون إليه فـي أثنـاء مـروره، أرادَ مُلاعَبَة حصانه، ولكنه بدَلَ أن يستجيب له، حَرن والتفتَ برأسه نحوه وقال:

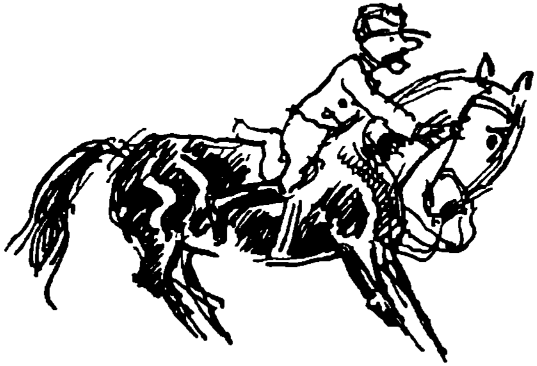

- مـاذا دهاكَ وأنت فـوق؟ ألا يكفيكَ أنني أسـير علـى الدروب الوَعِرَة تحت الشمس الحارقة وعلى ظهري سكّير مترنح؟ وفوق ذلك تريد مني حركات بهلوانية؟ حسن! أحذرك...

قاطعه الجندي:

- انتظر قليلاً أيها الأجرب اللعين! سأتولى أمرك بطريقة تُعيدكَ إلى صوابك...

وعلى الفور نخَس مهمازيه في خاصرتَي الحيوان، وشدَّ اللجام بفظاظة. فشبَّ الحصان، ثم أخذَ يتوثَّب بأقصى قوته، فطار الفارس من فوق عنق الحصان، وسـقَطَ على بطنه وسـطَ الطريق، فكُشِطَت ذقنه ويداه، وتعفَّرت ملابسه الجميلة بالتراب. وقال الحصان:

- لقد حذّرتك. أردتني أن أقوم بحركات بهلونية، حسن! ها قد فعَلت. وها أنتَ مسرور.

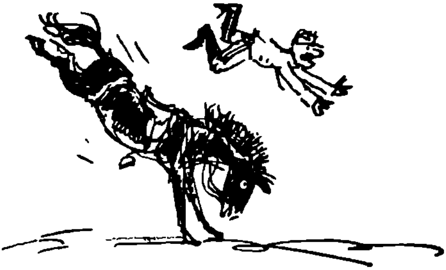

لـم يكُن مزاج الجندي الذي نهَضَ على ركبتيه منشـرحاً لسـماع مثـل هـذه الكلمـات. ولكنـه حيـن رأى الأبويـن ودلفيـن ومارينيـت والخـروف وجميع حيوانـات المزرعة يقتربون منـه ويتحلّقون حوله، جعَلَتْه المهانة يغضَب غضباً شـديداً، فأشهَرَ سـيفه، وأرادَ أن يرتمي على الحصان ويغرس النّصل في صدره. ومن حُسن الحظّ أنّ الأبوين تدخَّلا في الوقت المناسب وأقنعاه أن يَعدل عن انتقامه. فقالا:

- لن تكسب شيئاً إن قتلته. وبدل أن تذهب إلى الحرب بسرعة على ظهر جوادك، سيترتَّب عليك أن تنطلق مشياً وربما ستصلُ بعد انتهـاء المعركة. من جهة أخـرى، مؤكَّد أن هذا الحيوان أسـاء إليك، وسيكون صعباً أن تثقَ به بعد الآن. لذلك، وبما أنك مستعدٌّ للتخلي عنـه، لماذا لا تحاول أن تجني مكسَـباً منـه؟ انظُرْ، لدينـا هناك بغل قد يفي بغرضك. وكخدمة نقدِّمها لك، سنتنازل عنه مقابل حصانك.

أعادَ الجندي سيفه إلى غمده وقال:

- إنها فكرة حسنة.

ودفـع الأبـوان الحصان إلـى الفناء وقدَّمـا بغلَهمـا، وحين رأت الصغيرتـان ذلـك، احتجَّتا. هـل يجب علـى صديقٍ عزيـز كالبغل أن

يترك المزرعة لإسعاد عابر سبيل فظّ؟ واغرورَقَت عينا الخروف بالدموع وراحَ ينتحب على مصير هذا الرفيق البائس، فأمَرَ الأبوان بصوت صارم:

- اسكُت إذاً!

ولأن الجندي كان يدير ظهره، أضافا بصوتٍ هامسٍ:

- هل تريدون بثرثرتكم أن نَخسَر صفقة رابحة؟ إن لم تُسكِتا خروفكما حالاً، سنجزّ صوفه قبل الظهر.

لم يحتجّ البغل، وفيما راحوا يضعون له اللجام، اكتفى بغمزِ الصغيرتين. وحين امتطى الجندي دابَّته الجديدة، رفعَ شاربيه وهتف: «إلى الأمام سِر!» ولكنّ البغل لم يتحرّك قيد أنملة، ولم يفلح المهمازان ولا الشكيمة التي شدّها سيده بقسوة أن يجعلوه يتقدّم خطوة واحدة. الشتائم، التهديدات، الضربات، لم يقنعه شيء. وقال الفارس:

- حسن، سأرى ما يجب فعله.

وحين استقرَّت قدماه على الأرض، استلّ سيفه وانبرى ليغرزه في صدر البغل، فقال له الأبوان:

- توقف واسمعنا أولاً. بالتأكيد هذه بهيمة حمقاء لا تريد أن تتقدّم. ولكنك تعرف مدى عناد البغال. طعنةٌ من حسامكَ لن تغيِّر شيئاً. انظر، لدينا هناك حمار لا يخشى التعب ولا يكاد طعامه يكلِّف شيئاً. خُذْه وأعِدْ لنا بغلنا.

أغمَدَ الجندي سيفه وقال:

مكتبة
t.me/t_pdf

- هذه فكرة حسنة.

لم يكُن الحمار التعيس الذي حلَّ مكان البغلِ يتمنى مغادرة المزرعة وأن يتركَ فيها عدداً كبيراً من الأصدقاء، ولا سيما الأحبّ إلى قلبه دلفين ومارينيت والخروف. ومع ذلك، لم يدَع عواطِفَه تظهَر على محيّاه وتقدَّم نحو سيِّده الجديد بالتواضع والخضوع الخليقَين بالحمير. انقبَضَ قلب الصغيرتين حتى الاختناق وراحَ الخروف ينتحبُ بشدّة وتوسّل:

- سيدي الجندي، كُنْ لطيفاً مع الحمار. إنّه صديقنا.

عندئذٍ اقترب الأبوان منه ولوَّحا قبضتَيهما في وجهه وهما يزعقان:

- خروف قَذِر، تُحاوِل أن تُخسِّرنا صفقة رابحة، لكن حسناً، ستندم على ثرثرتك.

امتطى الجندي دابته من دون أن يلتفت لرجاء الخروف. ولم يكَد يرفع شاربَيه ويأمره «إلى الأمام سر» حتى راحَ الحمار يمشي إلى الوراء في خطٍّ متعرّج وكادَ مع كلّ خطوة يُسقط فارسه في الحفرة. لذلك سرعان ما نزل وهو يُدرِك أنّ الحيوان مشى القهقرى عَمداً، وقالَ وهو يكزّ على أسنانه:

- حسن، أعرف ما يجب أن أفعَله.

وللمرة الثالثة، استلَّ سيفه وبالتأكيد كان سيثقُب به الحمار من الجانبين لو لم يتعلّق به الأبوان، أحدهما بذراعه والآخر بثوبه وقالا له:

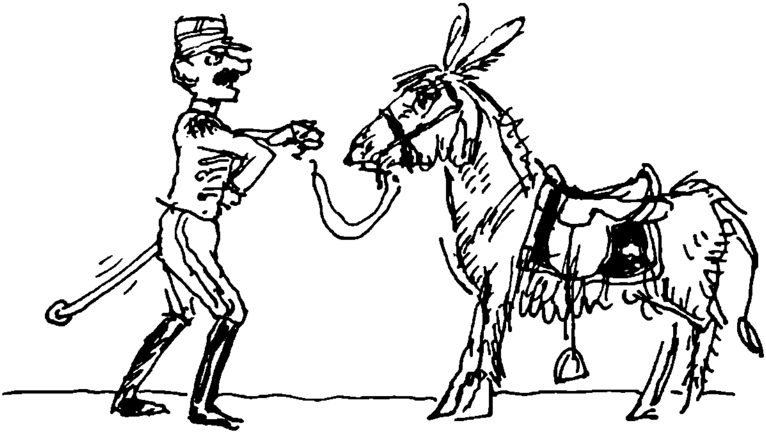

- يجب الاعتراف أنك غير محظوظٍ مع مطايانا. وعند التفكير في الأمر ملياً، لا يبدو ذلك مستغرباً. فالحمار والبغل والحصان هم من فصيلة واحدة تقريباً وعلينا أن نفكّر في هذا. ولكن لماذا لا تجرِّب الخروف؟ إنه حيوان مُطيع ويتمتّع بأكثر من مزية. إذا احتَجْت إلى المال في أثناء الطريق فليس هنالك أسهل من أن تجز صوفه. وبعد أن تبيعَه بثمن مُجْزٍ، سيتبقّى لديك مطيّة مناسبة لتُواصل رحلتكَ. لدينا فعلاً خروف واحد فقط له جزّة جميلة. انظر إليه بين الصغيرتين. إذا أعجبك خُذْه مقابل حمارك. نحن لا نبغي إلّا منفعتك.

أغمَدَ الجندي سيفه وقال:

- إنها فكرة حسنة.

احتضَنَت الصغيرتان الخروف وراحتا تصرخان، لكن الأبوين سُرعان ما فصلاهما عن أعزّ صديق لهما وأرغماهما على الصمت. نظَرَ الخروف إلى سيِّديه السابقَين بحزنٍ عميق، ولكن لم يبدُر منه أيّ لَومٍ وتقدَّم نحو الجندي. فأشارَ هذا الأخير إلى سيفه الذي أغمده للتوّ، وقال له بنبرة متوعِّدة:

- قبل كلّ شيء، أريدكَ أن تُطيعني وتحترمني كما أستحقّ. تأكَّد أنك إن أزعَجتني، لن أتوانى عن قَطْعِ رأسَك. ولا مغفرة إطلاقاً. لأنني لو بقيتُ أبدِّل، لانتهى بي الحال إلى امتطاء بطّة أو أحد فراخ القن.

أجابَ الخروف:

- لا تخَش شيئاً. أنا ذو طبع لطيف. بلا شكّ لأنني تربَّيتُ في كنف الصغيرتين. لذلك سأطيعكَ طاعة عمياء. ولكن الحُزن يغمرني لفراق الصغيرتين. سيدي، حين وضَعَني الخال ألفريد بين أيديهما، كنت حَمَلاً صغيراً واضطرّتا أن تُطعِماني بزجاجة الرضاعة ما يُقارب الشهر. ومنذ ذلك الحين لم أفترِقْ عنهما قطّ. ويمكنكَ أن تَثِقَ بأنني محزون، وأنّ حُزنَ الصغيرتين أيضاً لا يقلّ عن حزني. لذلك، إذا كنتَ تُشفقُ على ألَمِنا، امنَحْني لحظة لأودِّعهما وأبكي معهما.

صرخ الجندي:

- لا شفقة على الخرفان! كيف! إنك حيوان لم تكَد تدخل خدمتي وتريد الفرار؟ لا أدري ما يمنعني عن بتر رأسك بضربة من سيفي. لم أرَ في حياتي مثل هذه الوقاحة.

تنهَّد الخروف:

- دعنا ننسى هذا الأمر. لم أكُن أريد إغضابك.

امتطى الجندي دابَّته الجديدة من دون عناءٍ يُذكَر، وتبيَّن أنّ قدمَيه تتجرجران على الأرض وخطرت بباله عندئذٍ فكرة ربط سيفه بالعرض على منكبي الخروف ليستخدمه متكأً لساقيه الطويلتين ويدلّيهما من ارتفاع مناسب، وهذا ما أفعَمَه بالسرور، فراح يضحك ويقهقه وحيداً حتى كادَ يفقد توازنه مرات عديدة. مع ذلك، كان أكثر ما يثير الحزن هو منظر هذا الحيوان المسكين الذي ينوء

تحت وزن فارس ثقيل. شعرَت الصغيرتان بالحزن والسخط من هذا المشهد ومن المؤكَّد أنه لولا احتجاز الأبوان لهما، لقاوَمَتا رحيل الخروف بكلّ قواهما وبجميع الوسائل، مثل إسقاط الفارس عن ظهر مطيَّته. ولم تكن حيوانات المزرعة أقل سخطاً، ولكن كانت لدى الأبوان أساليبهما في النظر إليها ونَهْرِها بحيث انتَزَعا منها كلّ رغبة في التدخّل. فرَمَقا البطّ الذي بدأ يرفع صوته بنظرةٍ قاسية وعلَّقا قائلين:

- يوجد الآن في الحديقة لِفْتٌ رائع. يصلُح لسلطةٍ لذيذة بجانب طبق البط. أجل، سلطة لذيذة.

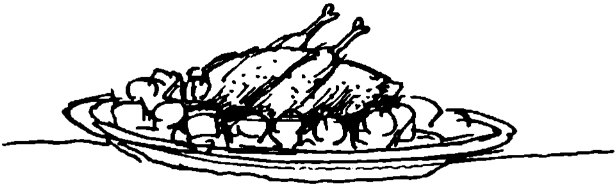

شعَرَ البط المسكين بالضيق فجأة، فنكس رأسه وتوارَى خلف البئر. وحدَه الحصان الأسود من بين جميع حيوانات المزرعة، لم يراوِدْه الخوف، واتَّجه نحوَ سيّده السابق وقال له بهدوء:

- أنتَ لا تنوي رغم كلّ شيء أن تعدو على الدروب بمثل هذه المعدّات! أحذِّركَ أنكَ ستغدو أضحوكة. ناهيكَ عن أنّ مطيّة بمثل هذه الهشاشة لن تذهب بكَ بعيداً. هيا، إن كنتَ عاقلاً، أعِدْ هذا الخروف إلى الصغيرتين اللتين تبكيان لفراقه واركَبْ على ظهري. صدِّقني، سترتاح أكثر وسيبدو مظهرك أفضَل.

ألقى الجندي نظرة خاطفة على خاصرتي الحصان العريضتين وبدا مقتنعاً أنّ ظهره مريح أكثر من ظهر الخروف. ولمّا رأى الأبوان أنه يوشِكُ أن يوافق، لم يتوانَيا عن التعليق بأنّ الحصان الأسوَد صار ملكاً لهما.

- لا ننوي فسخَ الاتفاق بيننا. كما تعرِف، إذا أردنا أن نبدأ سلسلة مقايضات جديدة، لن ننتهي أبداً.

وافَقَ الجندي:

- أنتما محقّان. الوقت يمضي والحرب تستعِر من دوني. وبهذه الطريقة لن أصبح جنرالاً.

بعد أن رفَعَ الجندي شاربيه وساقاه متدلّيتان من فوق سيفه، راحَ خروفه يهرولُ خبباً، وابتعد من دون أن يلتفت برأسه. وحين اختفى وراء المعطف أخذت جميع حيوانات المزرعة تتنهد بحزن. شعر الأبوان بالحرج من ذلك وتحوّل حرجهما إلى قلق حين قالت مارينيت لدلفين:

- لن يتأخّر الخال ألفريد في المجيء لرؤيتي.

وقالت دلفين:

- ولرؤيتي أيضاً. يجب أن يعرف كلّ ما حدث.

نظَرَ الأبوان إلى ابنتيهما بشيء من الرهبة. تهامَسا لبرهة ثم قالا بصوتٍ عالٍ:

- ليس لدينا ما نُخفيه عن الخال ألفريد. وعلاوة على ذلك، حين يعرف أنّ حنكتنا أسفَرَت عن مبادَلَة خروفٍ بحصانٍ أسوَدَ جميل، سيكون أوَّلَ مَن يُهنّئنا.

ارتفع في فناء المزرعة لغطٌ مستَنكر صدر عن الحيوانات والصغيرتين، وصوَّبَ الحمار والبغل والخنزير والدجاجات والبطّ والثيران والبقرات والعجول والديكة الرومية والإوزّ نظراتهم إلى الأبوين، فردّا بقسوة:

- هل ستظلّون هنا حتى المساء تُحملِقون ببلاهة؟ مَن يراكم هكذا، يظنّ نفسه في معرض وليس في منزل كادح. هيّا تفرَّقوا وليذهَب كلّ واحد منكم إلى حيث يجب أن يكون. أمّا أنت أيها الحصان الأسود فمكانك من الآن فصاعداً في الحظيرة. وسنقودكَ إليها في الحال.

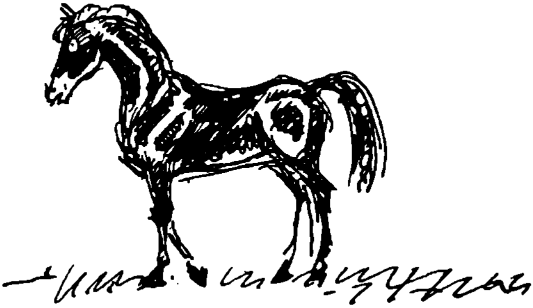

ردّ الحصان الأسود:

- إنني ممتنّ لكما، لكنني لا أرغب في دخول حظيرتكما. وإذا كنتما تتباهيان بأنكما عقَدْتُما صفقة رابحة، فما زال أمامكما وقت

للرجوع عن خطئكما. ولتَعْلَما أنني مصمِّمٌ على ألّا أكون ملكاً لكما أبداً، أمّا خروفكما المسكين فكأنّكما بادلتماه بالريح. ولن تجنِيا إلّا الندمَ جزاءَ ظلمكما وقسوتكما.

قال الأبوان:

- أيها الحصان الأسود، لقد هزَّت كلماتك مشاعرنا. وفي الحقيقة، لسنا بهذا السوء الذي يبدو لك. ثِقْ أننا حين نقدّم لك مكاناً في الحظيرة، فإنه لا يهمّنا سوى تقديمِ خدمة لحصان أنْهَكَه السفر الطويل. وأنتَ تستحق بجدارة الراحة...

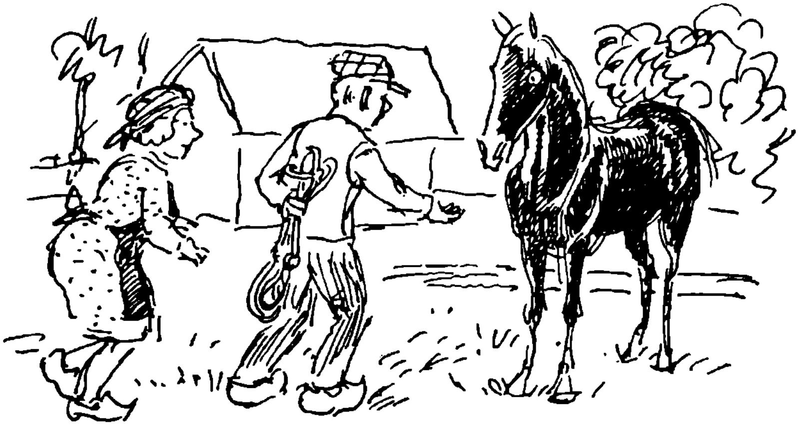

وفي أثناء هذا النقاش معه، كانا يناوران بطريقة ماكرة للاقتراب من الحيوان ووَضْعِ اللجام. ولم يكُن الحصان منتبهاً لتدبيرهما وكادَ يقع في المكيدة. كانت الصغيرتان قد ابتعَدَتا لإعداد مائدة الغداء وتفرَّقت حيوانات المزرعة بعد أن تلقَّت أمراً بذلك. ومن حسن الحظ أنّ البط القابع وراءَ البئر أطلَّ برأسه من إحدى الزوايا، واستشعَرَ

الخطر بوضوح. فنسي التحذير الموجَّه إليه، وانتصب على ساقيه وهتَفَ مصفِّقاً بجناحيه:

- انتبه أيها الحصان الأسود! احترِسْ من الأبوين! إنهما يخبئان لجاماً وشكيمة وراء ظهرَيهما!

لم يكَد الحصان يسمَع تحذير البطّ حتى قفز بحوافره الأربعة ولاذَ بالطرف الآخر من الفناء. وقال:

- أيها البط، لن أنسى الخدمة العظيمة التي أسدَيْتها لي. لولاك، لسُلِبَت مني حرِّيتي. ولكن أخبرني، أليس ثمة شيء أكافئكَ به؟

أجابَ البط:

- هذا لطفٌ منك، ولكنني لا أعرف فعلاً. أحتاج إلى التفكير في الأمر.

- خُذْ وقتكَ أيها البط، خذْ وقتك. سأعودُ في يومٍ ما.

عند هذه الكلمات، قفزَ الحصان إلى الطريق، وانطلَقَ خَبَباً وطفَقَ الأبوان ينظران إليه بحزنٍ. على الغداء، لم يتبادلا ثلاث كلمات وأظهَرا وجهاً متجهِّماً. راحا يفكِّران بقلقٍ مبرَّرٍ في غضب الخال ألفريد حين يَعرف أنهما بادلا خروف ابنتيهما الصغيرتين بالريح. ولم تأسف دلفين ومارينيت لرؤيتهما عابسَين، ولكن ما كان لشيء أن يواسيهما في فَقْدِ أعزّ صديق لهما، وحين نهَضَتا عن

المائدة ذهبتا إلى المرج لتُطلقا العنان لدموعهما. مرَّ البط من هناك، وبعد أن استفسَرَ عن مصابهما، لم يتمالَك نفسه وبكى معهما.

وسأل صوت من خلفهم:

- ما يُبكيكم، أنتم الثلاثة؟

إنه الحصان الأسود الذي جاء يتسقَّط الأخبار. وسألَ البطّ عمّا إن كان بوسعه فِعْل شيء للتخفيف من حزنه. فهتَفَ البط:

- آه! لو أنك تُعيد الخروف إلى الصغيرتين، لأصبحتُ أسعَدَ بط.

أجابَ الحصان الأسود:

- لا أطلب أكثر من هذا، ولكنني لا أعرف كيف أفعل ذلك. لو أنّ المقصود فقط هو اللحاق به وبفارسه، لما احتجتُ إلى عناء كبير. لا يمكن أن يكونا قد ذهَبا بعيداً، بسببِ عدم توافقهما. لا، الصعوبة تكمُن في إقناع سيدي القديم بالتخلي عن الخروف.

قالَ البط:

- سيكون لدينا وقت لنتبيَّن ذلك حين نلحَق بهما. خُذْني أولاً إليهما.

- هذا جميل جداً، ولكن إذا افترَضنا أنّ هاتين الفتاتين الصغيرتين استعادَتا ملكية خروفهما، فهل ستنجحان في فرضِ وجوده هنا؟ ما بدا لي هذا الصباح هو أنّ الأبوان لم يأسَفا للتخلّص من هذا الحيوان المسكين.

قالت مارينيت:

- هـذا صحيح، ومـع ذلك لن يفاجئنـي إن بدآ يأسـفان على ما فعلاه.

قالت دلفين:

- علـى كلّ حال، سأشـعر بالراحـة أكثر لو أخبَرْنـا الخال ألفريد ولو وَجَدْناه هنا عند عودتنا.

وسـألَ الحصـان الأسـود إنْ كانَ منـزل الخـال ألفريـد بعيـداً، فأجابوه إنه على مسافة ساعتين سيراً بخطى حثيثة، ووعَدَ أن يُسْرِع إليه حين يعثرون على الخروف.

- لكـن الأهم الآن هو اللحاق بالفارس. يجْـب ألّا نضيّع دقيقة واحدة.

قفَـزَ البـط والصغيرتـان علـى ظَهـر الحصـان، ومـرّوا بأقصـى سـرعة من أمام الأبوين المذهولين، واختفوا في سـحابة غبار. وبعد نصف سـاعة من الجري، وصلوا إلى مدخَل قرية. قال الحصان وهو يستعيد مشيته العادية:

- دعونا لا نسـتعجِل. وما دمنا نجتاز القرية، فلنستفِدْ من ذلك ونسأل السكان.

ولمّـا وصلـوا إلـى المنازل الأولـى من القريـة، رأت دلفيـن فتاة شـابة تخيط على نافذة بيتها وراء أصيص زهرة إبرة الراعي وسـألَتْها في أدب:

- أبحثُ عن خروف يا آنستي. هل رأيتِ فارساً...

هتَفَت الفتاة الشابة من دون أن تَدَع لها وقتاً لتكمل:

- فارس؟ طبعاً رأيت! رأيته يلمع كالذهب ويجتاز الساحة في خَبَب جهنمي وسلاحه يقعقع قعقعة رائعة ومرعبة. كان يمتطي حصاناً ضخماً يرتدي ثوباً أجعَدَ كأنه مقصَّب، ومنخراه ينفثان ناراً ودخاناً حتى أنّ زهرة إبرة الراعي فقَدَت رونقها لبرهة.

شكرتها دلفين، ونوَّهت لرفاقها أنهما لا يمكن أن يكونا ما يبحثون عنه.

قال الحصان لها:

- لا تخطئي. إنهما هما حتماً. لا شك أنها بالغت في رسم الصورة، ولكن الفتيات الشابات يرين الجند بهذه الطريقة. أما أنا، فتعرَّفت بسهولة على جزّة خروفكما في الثوب الأجعد والحصان الضخم.

اعترَضَت مارينيت:

- والنار والدخان اللذان ينفثهما من منخريه؟

- صدِّقوني، إنه حتماً الجندي يدخِّن غليونه.

وسرعان ما اكتشفوا أنّ الحصان مُحقّ. فبَعد مسافة قصيرة، قالت لهم مُزارِعة تنشر الغسيل على سياج حديقتها إنها رأت جندياً يمرّ ممتطياً خروفاً بائساً بدا مُتعباً.

- كنت على الينبوع أغسل ملابسي حين رأيتهما ينعطفان في الدرب الأزرق. لو رأيتم ذلك الحيوان التعس يُجاهد للصعود حاملاً على ظهره ذلك المعتوه الضخم الذي يلكمه على رأسه حاثاً إياه على التقدّم، لأشفقتُم عليه.

حين سمعت الصغيرتان هذه الأخبار الحزينة عن الخروف، وجَدَتا صعوبة في حَبْس دموعهما وحتى البطّ تأثّر تأثّراً بالغاً. أمّا الحصان الأسود الذي شَهد أهوالاً في الحرب، فلَم يفقد رباطة جأشِه وقالَ للمزارعة:

- والطريق الأزرق الذي سلكه الفارس، هل لا يزال بعيداً من هنا؟

- في الطرف الآخر من القرية، وستجدون صعوبة في العثور عليه. يجب أن يقودكم أحد إلى هناك.

من رُكن المنزل ظهر ابن المزارعة، وهو صبيّ في الخامسة من عمره، وتقدَّم نحو المسافرين وهو يجرّ بطرف خيط حصاناً خشبياً

جميلاً فوق عجلات. وطفقَ ينظر بحَسَدٍ إلى الصغيرتين لأنهما محظوظتان بامتطاء حصانٍ أعلى من حصانه. قالت له أمه:

- جول، خُذْ هؤلاء الأشخاص إلى الدرب الأزرق.

أجاب جول من دون أن يترك حصانه الخشبي:

- أجل، ماما.

وتقدَّم حتى الطريق. قال له الحصان الأسود:

- أراهِنُ أنكَ ترغب بامتطائي؟

احمرَّ جول خجلاً، لأنّ ذلك بالضبط ما تمنّاه. تخلت له مارينيت عن مكانها وتكفَّلَت بجرّ الحصان الخشبي ليتنزَّه هو أيضاً. أجلَسَت دلفين الدليل أمامها وأمسَكَتْه بقوّة مطوّقة خصره بذراعيها، وهي تُحدّثه عن شقاء الخروف، بينما راح الحصان الأسود يمشي بخطوات وئيدة. وهو مفعَم بالتعاطف، تمنّى جول نجاح المشروع، وعرَضَ حتى خدماته وأعلنَ أنه يمكنهم الاعتماد عليه وعلى حصانه

الخشبي. فهما مستعدّان لخوض أخطر المغامرات حين يتعلق الأمر بنَجدة منكوب.

في أثناء ذلك، تقدَّمت مارينيت بضع خطوات إلى الأمام وهي تجرّ الحصان الخشبي الذي امتطى البط صهوته ودلى ساقيه. وحين وصلوا إلى الدرب الأزرق لمحوا من أعلى التلة نزلاً أمامه خروف مربوط. في البداية، اهتاجَت عواطف مارينيت وحتى عواطف البط تحركت، لكنهم حين أمعَنوا النظر، سُرعان ما اقتنعوا أنّ هذا الخروف ليس صديقهم. فالخروف الذي لمحوه على المنحدر صغير جداً ولا يمكنهم أن يخطئوه. تنهدت مارينيت:

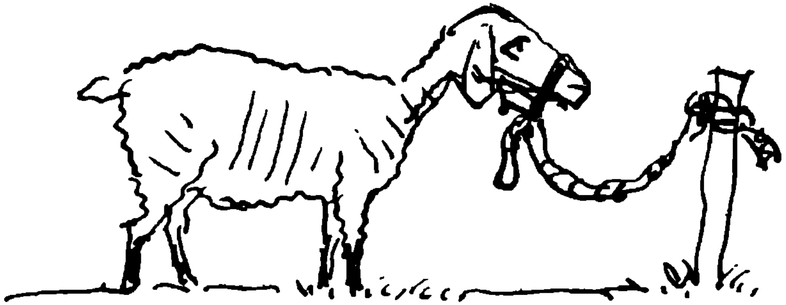

- لا، هذا ليس خروفنا.

توقّفت لتنتظر رفاقها. وانتهَزَ البط الفرصة ليَصعَد فوق رأس الحصان الخشبي، لأنه أراد أن يرى النُّزُل ومحيطه من أعلى. وبدا له أنه ميَّز على رقبة الخروف شيئاً لامعاً يشبه السيف. فجأة، اهتزّ على رأس الحصان الخشبي وصرَخ بقوة كادَت تُسقِطُه أرضاً:

- إنه هو! هذا خروفنا! أقول لكم إنه خروفنا!

من ورائه، فوجئنا. إنه مخطىء حتماً. لا يمكن لهذا الخروف صغير الحجم إلّا أن يكون غريباً. لذلك استولى الغضب على البطّ.

- ولكنكم لم تفهموا أنّ سيده الجديد جَزّ صوفه وأنكم لا ترونه أكبر من حمل صغير لأنه فقَدَ صوفه الأجعد. لا شكّ أنّ الجندي باعَ صوفه ليَحتسي شراباً في النزل.

قال الحصان الأسود:

- لا بّد أن كلامه صحيحٌ. لم يكن في جيبه قرش هذا الصباح ولا أظنّهم يقرضونه شراباً في النزل. أعرفُ أنه سكير، وكان يجب أن أفكِّر أنّ لدينا فرص للعثور عليه في أول نُزْل نصادفه. وفي جميع الأحوال، علينا أن نتأكَّد من أنه خروفنا.

وحصل على التأكيد الذي طلبه من الخروف نفسه الذي لمَحَ الجماعة في أعلى التلة واستطاعَ أن يُفهِم الصغيرتين أنّه تعرّف إليهما. فصاح مراراً وتكراراً: «أنا خروفكما»، وهو يومىء بإشاراتٍ تدعوهما إلى توخّي الحَذَر. وبعدَ أن صاحَ للمرة الثالثة، شاهدوا الجندي يظهر على عتبة باب النزل. لا شّك أنه جاءَ يتبيَّن سبب هذا الصياح. وقبل أن يعود، قامَ بحركةٍ متوعِّدة نحو الخروف. ولحُسن الحظّ لم يخطُر بباله النظر نحو أعلى التلة، وإلّا لَكان تعرَّف على الحصان الأسود الذي لم يكُن بعيداً، ولاستيقَظَت بالتالي شكوكه. لكن الصحيح أيضاً أنه أفرط في الشراب وبدأت رؤيته تتشوش. وقال البط لأصدقائه:

- حسبما أرى، خروفنا محروس حراسة مشدَّدة. وهذا يعقِّد الأمور.

سأل الحصان الأسود:

- وماذا تنوي أن تفعل؟

- وماذا سأنوي؟ سأفكّ الخروف من دون أن يراني أحد وسأعيده إلى المزرعة. ولم أزل مصمِّماً على ذلك.

- أخشى أنّ الأمر لن يسير بهذه السهولة. وحتى لو نجحتَ، هل تظنّ أنّ الخروف سينجو؟ حين سيخرج الجندي من النُزُل ولا يرى دابَّته، سيفكر أنها فرَّت لتعود إلى سيِّدَيها السابقين، وسيذهب على الفور إلى المزرعة للمطالبة بها وسيضطرون لردّها إليه. وأراهن أن الخروف سيتلقى سيلاً من ضربات العصا، وسيكون محظوظاً إن لم يقطَع الجندي رأسه بضربة من سيفه. لا، أيها البط، صدِّقني يجب إيجاد حلٍّ آخر.

- إيجاد حلٍّ آخر، ما أسهل الكلام، ولكن أيّ حل؟

- أنتَ مَن عليه أن يفكِّر في ذلك. وأمّا أنا، فلا يَسَعني مساعدتكم في شيء وأخشى أن يربِكَكُم حضوري. لذلك سأجري لأخبِرَ الخال ألفريد كما اتفقنا وسأعود للقائكم هنا. آمل أن يكون الخروف بينكم!

وبعد أن ترجَّل جول ودلفين عن ظهر الحصان، ابتعَدَ يعدو مسرِعاً وراحَ الباقون يتشاورون. لم تفقد الصغيرتان كلّ أملٍ في

استدرار عطف الجندي، ولكن جول ارتأى أنّ الأضمَن هو إخافته، فقال:

- من المؤسف أنني لا أحملُ بوقي. لكنتُ زمَّرتُ في وجهه ولقُلت له: «أعِدْ الخروف».

أمّا البط المعارِض لرأي الحصان الأسود، فتشبَّث بمشروع فكّ الخروف وكان يسعى لإقناع أصدقائه حين خرج الجندي من النزل مترنِّحاً. بدا متردِّداً في البداية، ولكنه بعد أن تأكَّد من وجود خوذته على رأسه، اتجه نحو الخروف وهو ينوي استئناف طريقه. وفجأة، تخلى البط عن مشروعه. وبإزاء هذا الخطر الداهم، خطرت بباله فكرة. امتطى صهوة الحصان الخشبي وقال لرفاقه:

- لحُسن الحظ أنه يدير لنا ظهره. اغتنموا الفرصة وادفعوني على المنحدر بأقصى سرعة. يجب عند وصولي إلى أسفل التل أن تُسعفني اندفاعتي للصعود بضعة أمتار من السفح المفضي إلى النزل.

جرَّت مارينيت الحصان بالخيط، وانطلقت بأقصى سرعة، بينما راح جول ودلفين يدفعان من الخلف. وأفلتوه قبيل وصوله إلى منتصف المنحدر وتابعوه من بعيد وهم مختبئون خلف الأسيجة.

انحدر البط بأقصى سرعة على حصانه الخشبي نحو أسفل التلة وهو يبطبط بأعلى صوته: «كوان! كوان!» فالتفَتَ الجندي إلى الضجّة، وتوقَّف وسط فناء النزل، وراحَ ينظر إلى هذا الفارس المفعَم بالحيوية يقترب. وحين وصَلَ البطّ إلى أسفَل الوادي، تظاهَرَ أنه يَجدُ صعوبة في كَبح جماح مطيَّته، وصاح:

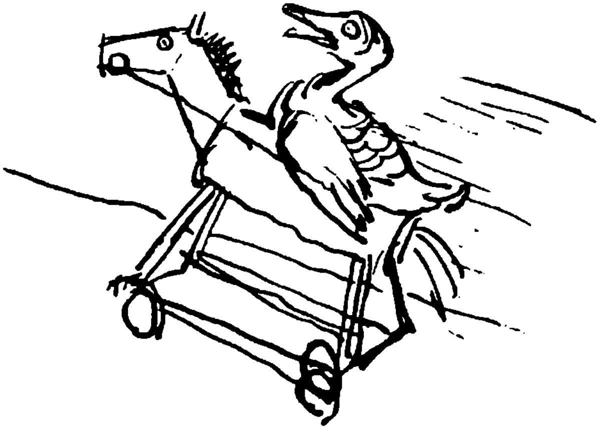

- هولا! أيها الحيوان اللعين، ألن تتوقّف؟ هولا، أيها المسعور؟

وكأنّ الحصان الخشبي يستجيب لأوامره، صعدَ بمشية متباطئة المسافة التي تقودُ إلى النُّزُل وتوقّف أخيراً على حافّة الحُفْرَة. ولحُسن الحظّ أنّ عجلات الحصان عَلِقَت في العشب، وهو ما جنَّبَه هبوط المنحدَر متقهقراً. ومن دون أن يضيع وقتاً، ترجَّل البطّ عن الحصان وخاطبَ الجندي الذي كان يتأمَّله فاغراً فاه، وقال:

- أيّها الجندي، عمتَ صباحاً. هل النزل مريح؟

أجاب الجندي وهو لا يكاد يستطيع الوقوف لفرط إسرافه في الشرب:

- لا أدري ما أقول لك. لكن يمكنك على كلّ حال أن تشرب فيه جيداً.

وأردف البط:

- لأنني قادم من مكان بعيد وأحتاج إلى الراحة. أنا لستُ مثل هذا الحيوان الذي لا يتعب. أظنّ أنه لا نظير له في العالم. يعدو كالريح، ولا يرضى أن يتوقف إلّا بعد أن أرجوه. بالنسبة له، المئة كيلومتر هي مسافة لا تكاد تُذكَر، ولا يحتاج أكثر من ساعتين لاجتيازها.

لم يكَد الجندي يصدِّق أذنيه، وراح ينظرُ بحَسَدٍ إلى هذه الراحلة المتهوّرة، لكنها بدت له هادئة. ولأنّ الشراب أزاغَ بصره، لم يتجرّأ على الركون إلى شهادة عينية وآثَرَ الاعتماد على البط. وتنهَّد:

- أنت محظوظ. آه! أجل، بالنسبة إلى الحظ، أنت محظوظ.

قال البط:

- هـل تعتقـد ذلـك؟ حسـن، اعـرفْ إذاً أنني لسـتُ راضيـاً عن حصاني. أنا أدهشـك، أليسَ كذلك؟ بالنسـبة لي هو سريع جداً، وأنا أمضي في رحلةِ استجمام. إنه لا يمنحني أيّ وقتٍ لأستمتع بمشاهدَة الطريق. ما يَلزمني هو مطيّة تُسافر بسرعة أبطأ.

شـعَرَ الجندي أنّ الخَمر الذي شـربه يصعَد إلى رأسـه، وتراءى له أنّ الحصان الخشبيّ يتململ بنفاد صَبر، فقال بهيئة ماكرة:

- سـأتجرّأ وأعرض عليك صفقةَ تبادل. أنا على عجلةٍ من أمري، ولديّ خروف يَكاد بُطؤه يُخرِجُني عن طوري.

اقتـرَبَ البط من الخروف، وتفحَّصه بعين حَـذِرَة وجسَّ قوائمه بمنقاره، وعلَّقَ قائلاً:

- إنه صغير جداً.

- لأني جززتُ صوفه منذ قليل. وهو في الحقيقة خروف رشيق القامـة، وضخم بما يكفي لحملك. لا تقلق بهذا الشـأن. إنه يحملني، ويعدو بي خبباً!

قال البط:

- خبـاً! خبباً! حسـن أيها الجنـدي، يبدو لـي أنّ خروفك ينهَب الطريق بسـرعة جهنميـة. في هذه الحالة، أتسـاءل ماذا سـأجني من هذه المبادلة؟

قال الجندي بارتباك:

- لقد أخطأتُ التعبير. سأخبركَ الحقيقة الآن: لا يوجد دابة أكثر وداعة من خروفي، ولا أكسَل ولا أبطأ منه. إنه أبطأ من سلحفاة أو من حلزون.

قال البط:

- هذا خارق، ولا يمكنني تصديقه. لكن هيئتك أيها الجندي تبدو صادقة وتوحي لي بالثقة وتحثّني على اتّخاذ القرار. لذلكَ أقبَل المبادلة.

خَشِيَ الجندي أن يتراجَع البط عن رأيه، فهرَع إلى الخروف وفكَّه وامتطى البطّ ظهرَه. ولم يتابع البط حديثه عن الاستراحة في النزل وراح يحث مطيته الجديدة على الرحيل. فقال الجندي:

- هيه، أنتَ! ليس بهذه السرعة! ألا ترى أنكَ تأخذ سيفي معك!

وخلَّص الجندي الخروف من السيف الكبير الذي كان يضعه على منكبيه بالعرض، وعلّقه على خصره. وقال ملتفتاً إلى الحصان الخشبي:

- والآن، لنستعدّ.

ونصَحه البط:

- أظنّ أن الأجدر بك أن تسقيه ماءً قبل كلّ شيء. انظر كيف يمدّ لسانه.

- هذا صحيح، لم أنتبِه لذلك.

وفيما ذهب الجندي ليستخرجَ الماء من البئر، اجتاز البط والخروف الطريق، وركضا لينضمّا إلى الصغيرتين وصديقهما جول المختبئين في حقل سنابل شعير عالية تطلّ على فناء الفندق. وكادَت دلفين ومارينيت تخنقان الخروف من فرط العناق وذرف الجميع دموع التأثّر. وكان هذا الانفعال سيدوم وقتاً أطول، لو لم يجذب انتباههم المَشهَد الذي يحدُث في فناء النُّزُل.

عادَ الجندي حاملاً دَلو ماءٍ للحصان الخشبي، ولمّا رآه يمتنع عن الشرب، صرخ فيه بصوتٍ غاضب:

- ألن تشرَب أيها البهيم اللعين؟ سأعدّ إلى الثلاثة. واحد، اثنان، ثلاثة. كفى، ستشرب في يوم آخر.

قلَبَ الدلو بركلَة من قَدَمِه، وامتطى حصانه الخشبي ولم يلبَث أن نفَدَ صبره حين رآه لا يبرح مكانه. في البداية، راحَ يشتمه، وحين تأكَّد أنّ الحيوان لم يحرِّك ساكناً، ترجَّل وهو يزعق:

- حسنٌ. أعرف ما يجب فعله.

استلَّ عندئذٍ سيفه، وقطَعَ بضربةٍ واحدة رأس الحصان الخشبي المسكين، فسقطَ في التراب. بعد ذلك، أغمَدَ سيفه وذهب إلى الحرب مشياً. لعلَّه أصبح الآن جنرالاً، لكن لا أحد يعرف شيئاً عنه.

في طريق العودة، حمَلَت دلفين تحت إبطها رأس الحصان الخشبي، أمَّا مارينيت فجرَّت الجَسد المقطوع الرأس بالخيط. حَزِنَ جول في البداية حُزناً شديداً حين رأى إعدام حصانه الأثير، لكن ما خفَّف عنه هو رؤية فرحة الصغيرتين وفرح الخروف. والواقع أن حزنه الأكبر كان بسببِ افتراقه عن أصدقائه الجُدد الذين عادوا إلى بيتهم. ومع أنّ أمه وعَدَته أن تُلصِق رأس الحصان، لكنه لم يستطِعْ أن يتمالك نفسه عن النحيب وهو يراهم يختفون على أطراف القرية.

لم تكُن دلفين ومارينيت مطمئنَّتين وهما تفكِّران بالاستقبال الذي أعدَّه لهما أبواهما. وكان هذان الأخيران لا ينفكّان يتحدّثان عن ابنتيهما وهاكم ما يقولاه:

- محرومتـان من الحلـوى. خُبز جاف. شـدّ الآذان. حتـى يتعلّما الهرب على مرأى منّا فوق ظهر جواد لا تعرفانه.

وكانا يخرجـان كلّ لحظة إلـى عتبة الباب، وينظـران إلى الجهة التـي غادرت الصغيرتان منها. فجأة سـمعا وقعَ سـنابك جـوادٍ قادمٍ من الجهة المعاكسة، وهتَفَا وهما يرتجفان:

- الخال ألفريد!

كان الخال ألفريد فعلاً هو القادم إلى المزرعة، ممتطياً صهوة حصان أسـود، وحسـبما بـدا من مسـافة بعيـدة، كان وجهـه مخيفاً. أصبـح الأبـوان المسـكينان شـاحبَين وطفَقـا يهمسـان وهمـا يضمّان أيديهما:

- ضِعْنا. سيعلَم كلّ شيء. سيعرف كلّ شيء. أيّ مصيبة أصابتنا لأننـا تخلّينـا عن ذلـك الخـروف الوديع وأيّ نـدم! آه، أيهـا الخروف العزيز!

عندئذٍ، مأمأ صوت خروف قائلاً:

- ها أنذا!

وظهرَ من ركن البيت، يَتْبَعه البطّ والصغيرتان.

وسُرَّ الأبوان سروراً عظيماً وراحا يضحكان ويرقصان. وبدل أن يؤنّبا الصغيرتين، وعداهما عفوياً بخُفّين جميلين ومئزرين جديدين. ثم عقدا شريطاً وردياً على قرنَي الخروف في حضور الخال ألفريد الذي كان ينظر إليهما من أعلى جواده بشيء من الريبة. وأخيراً، على العشاء، وافقوا أن يأكل البط على المائدة بين الصغيرتين، وتصرَّف كما يليقُ بشخص حقيقي.

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

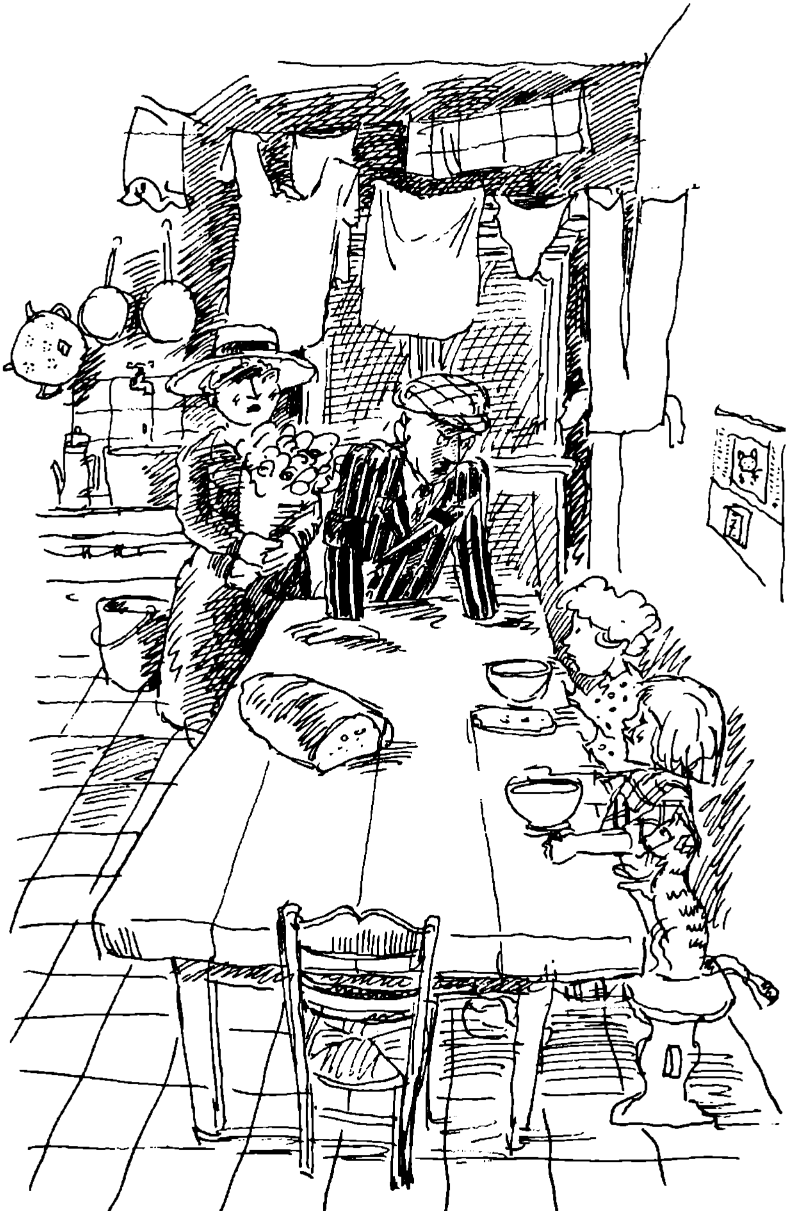

طيور البجع

مكتبة
t.me/t_pdf

انطلـق الأبوان إلى المدينة في الصبـاح الباكر وقالا للصغيرتين وهما يغادران المزرعة:

- لن نعود قبل حلول الليل، كونا عاقلتَين والأهمّ أن لا تبتعدا عـن البيـت. العَبـا فـي الفنـاء، العَبا فـي المرج، فـي الحديقـة، لكن لا تجتازا الطريق. آه! إذا اجتَزْتُما الطريق، فالويل لكما حين نعود!

قال الأبوان ذلك وحَدَجا الصغيرتين بنظراتٍ مُخيفة.

أجابَت دلفين ومارينيت:

- اطمئنّا، لن نجتاز الطريق.

تذمَّر الأبوان:

- سنرى، سنرى.

وهنـا، ابتعَـدا مسرِعَين بعـد أن رمَقـا ابنتيهمـا بنظـرة صارمـة مرتابـة. انقبـضَ قلـب الصغيرتيـن ولكنهمـا بعـد أن لعبتـا لبرهة في الفنـاء لم تعـودا تفكران فـي الأمر. ونحو السـاعة التاسـعة صباحاً، وجدَتا نفسيهما مصادَفَة على حافة الطريق ولم تكُن أياً منهما ترغب فـي اجتيـازه، حيـن لمحَت مارينيـت على الطـرف الآخر مـن الطريق سخلة بيضاء تمشي في الحقول. لم يسنح الوقت لدلفين حتى تمنع

أختها التي اجتازت الطريق بثلاث قفزات وركضت نحو السخلة. قالت مارينيت:

- صباح الخير.

ردت العنزة من دون أن تتوقف:

- صباح الخير، صباح الخير.

- ما أسرعكِ! أين تذهبين؟

- أنا ذاهبة إلى موعد الأطفال الضائعين. ليس لديّ وقت للهو.

ودخلَت السخلة في حقلِ سنابل قمح انغلقت عليها. ولبثت مارينيت وأختها التي لحقَت بها مذهولتين. ولما تأهّبتا للعودة، شاهَدَتا على بُعد خمسين متراً منهما فرخَي بط يغطّيهما زغبٌ أصفر، ويبدوان مستعجلين. قالت الصغيرتان حين وصلتا إليهما:

- صباح الخير أيها العوامان.

توقف الفرخان ووضعا بطنيهما على الأرض. لم يغضبهما أن يستريحا. قال أحدهما:

- صباح الخير أيتها الصغيرتان. نهار جميل، أليس كذلك؟ ولكن ما أشدّ الحرارة! أخي متعَب جداً.

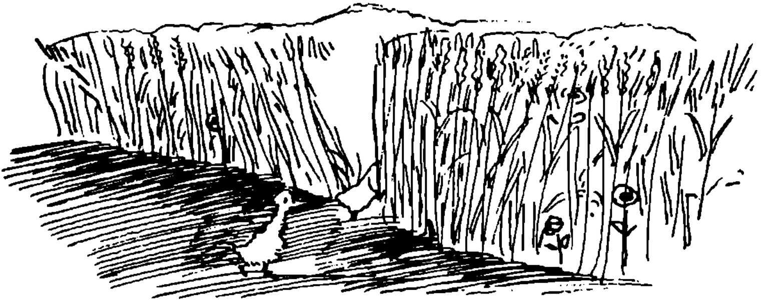

- هذا واضح. هل أتيتما من مكان بعيد؟

- أظنّ ذلك! ولم تزَل أمامنا رحلة طويلة.

- ولكن أين تذهبان؟

- نحن ذاهبان إلى موعد الأطفال الضائعين. الآن وقد استرحنا، هيّا إلى الأمام! يجب ألّا نتأخر.

أرادت دلفين ومارينيت الاستفسار أكثر، لكن العوامين انطلقا دون أن يُصغيا ودخلا في حقل القمح. اجتاحتهما رغبة جامحة في اللحاق بهما وتردَّدَتا لبرهة، لكنهما فكَّرتا في الأبوين وفي نَهيِهِما عن اجتياز الطريق. والحقّ يُقال، لقد فاتَ أوان تذكّرها، لأنّ الطريق أصبَحَت بعيدة الآن. وفيما هما تهمّان في العودة، أشارَت دلفين لأختها إلى بقعة بيضاء تتحرّك في المرج على تُخم الغابة. ألفتا نفسيهما أمام جروٍ أبيض، صغير جداً، بحجم نصف قط، ويمشي على العشب بأقصى سرعته. ولأنّ قوائمه لم تكُن قوية، كان يترنَّح مع كلّ خطوة. توقَّف وردّ على استفسار الصغيرتين:

- أنا ذاهب إلى موعد الأطفال الضائعين، ولكنني أخشى ألّا أصل في الوقت المناسب. فكرا! يجب أن أصل قبل الظهر، وأنا على هذه القوائم الصغيرة، لا أستطيع أن أجري وسرعان ما أتعَب.

- وماذا ستفعل في موعد الأطفال الضائعين؟

- سأشرح لكما. حين لا يكون للمرء أبوان، يذهب إلى موعد الأطفال الضائعين ليُحاول العثور على أسرة. حسنٌ، قيل لي بالأمس

أنّ جـرواً صغيـراً تبنّـاه ثعلـب فـي موعـد العـام الماضي. لكـن كما أخبرتكما منذ قليل، أخشى أن أتأخّر.

لمَحَ الجرو الأبيض يعسـوباً فانتصب فجأة علـى قوائمه، وأخذَ يقفز وينبح، ودار ثلاث دورات حول نفسـه، وتدحرج على العشـب، وتمدَّد أخيراً لاهثاً ولسانه متدلٍّ. وقال بعد أن استردّ أنفاسه:

- كمـا تريـان، تسـليتُ أيضـاً. هذا أقـوى منـي، ولا يَسَـعني أن أمنَعَ نفسي عنـه. كما تعرفان: أنـا صغير. لذلك ألهو مـع كلّ خطوة أخطوها، حتى من دون أن أتعمَّد ذلك. وهذا يؤخِّرني في رحلتي. آه! حقـاً، أمَلي في الوصول ضعيف. وبعبارة أخـرى لا أعوِّل عليه. لو أنّ لدي ساقان كبيرتان مثلكما، بالتأكيد...

بـدا الجرو الأبيـض في غاية الحـزن. وتبادَلَت دلفيـن ومارينيت النظـرات، ونظَرَتـا أيضـاً إلـى الطريق الـذي أصبـح الآن بعيـداً جداً وراءهما، وقالت دلفين أخيراً:

- أيها الجرو الصغير، إذا حملتُكَ إلى موعد الأطفال الضائعين، هل تعتقد أنك ستصل في الوقت المناسب؟

قال الجرو الأبيض:

- أوه! أجل، كما تفكّرين، مع ساقيكِ الكبيرتين!

- إذاً، لننطلق في الحال. إذا غَذَذنا السير، سنعود بسرعة. وأين هو موعدك؟

- لا أدري. لم أذهب إلى هناك قط. ولكن هل تريان هذا العَقعَق الذي يطير أمامكما هناك؟ هو مَن يدلّني على الطريق. يمكنكما السير وراءه بثقة. سيقودنا إلى المكان الصحيح.

انطلقت دلفين ومارينيت وتناوبتا على حمل الجرو الأبيض، وراح العقعق يطير أمامهم، ويحطّ أحياناً على مرأى منهم وسط مرج أو درب، ثم يستأنف طيرانه ليحطّ أبعدَ قليلاً. غطّ الجرو الأبيض في النوم بين ذراعَي دلفين منذ انطلاقهم. ولم يستيقظ إلّا بعد ساعتين، حين وصلوا إلى ضفة بركة كبيرة. جاء العقعق وحطّ على كتف مارينيت وقال للصغيرتين:

- امكثوا هنا قربَ القصب. وانتظروا أن يأتي أحد ليَبحث عنكم. هيا، حظاً سعيداً ووداعاً.

بعد أن طار العقعق، نظرَت الصغيرتان حولهما ولاحظَتا أنهما ليسَتا وحدهما. على الضفة، كانت مجموعات من صغار الحيوانات تجلس على العشب وأخرى تَفِدُ كلّ لحظة. كان يوجد حِمْلان وجداء

وخنانيص وهِررة وصيصان وفراخ بطّ وجراء وأرانب وأنواع أخرى كثيرة. وبما أنّ الصغيرتين تعبتا من السير الطويل، فقد جلستا بدورهما وكان النعاس يغلب دلفين، حين هتفت مارينيت:

- انظري هناك، البجع!

فتحت دلفين عينيها، ورأت من خلال القصب بجعتين كبيرتين تسبحان في البركة نحو جزيرة تقترب منها طيور بجع أخرى، وكلّ واحد منها يحمل على ظهره أرنباً. وأبعد بقليل، كانت بجعتان تسحبان طوفاً مصنوعاً من الأغصان والقصب فوقه عجل صغير يخور خوارَ رُعبٍ. وعلى صفحة البركة تحُوم طيور بيضاء كبيرة. راحَت الصغيرتان تتأمّلاهم. فجأة، خرج من قصب الدغل الذي جلستا بقربه بجع وتقدَّم نحوهما مباشرة. كانت نظرته صارمة وسألَ بصوتٍ جاف:

- أولاد ضائعون؟

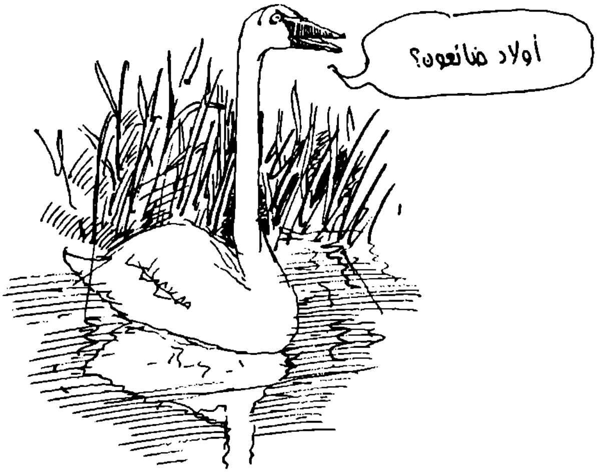

أجابت مارينيت مشيرة إلى الجرو الأبيض النائم على ركبتيها:

- أجل.

التفتَ البجع برأسه وصَفَرَ صفرة مديدة وعلى الفور تقدَّمَت بجعتان تسحبان طوفاً. وأمر البجع الذي بدا أنه يضطلع بمهمة قيادة الإبحار:

- اصعدوا.

احتجَّت دلفين:

- انتظِرْ، يجب أن أشرَح لك...

قاطعَها البجع:

- لستُ مستعداً لسماع أيِّ شروحات. ستشرحون في الجزيرة، إن شئتُم. هيا، بسرعة.

- دعوني أقول لكم...

- اسكتي!

مدَّ البجع عنقه الطويلة وهو ينظر نظرة شريرة وهدَّد بمنقاره ربلَتَي الصغيرتين. وقالت إحدى البجعتين اللتين تقطران الطوف:

- هيا بنا، كونا عاقلتَين. لم يعُد لدينا وقت لنضيِّعه هنا.

خافت الصغيرتان ولم تتجرآ على المقاومة أكثر، فصَعَدَتا إلى الطوف. وانطلقت البجعتان فوراً، وهما تتّجهان نحو وسط البركة، سبحتا نحو الجزيرة. كانت النزهة ممتعة ولم تأسَف الطفلتان على مغادرة الضفة. صادفوا طيور بجع عائدة من الجزيرة بعد أن أنزلت ركّابها بالتأكيد. وبجعات أخرى تحمِل برشاقة هرَّة أو خنوصاً رضعاً

تجاوزوا الطوف واقتربوا بسرعة من الجزيرة. كان الجرو الأبيض سعيداً بهذا الإبحار وكادَ يقفز مرات عديدة من بين ذراعَي مارينيت ليلعبَ بالماء.

استغرقت الرحلة البحرية ما ينوف على الربع ساعة. وعندما هبطوا على الجزيرة، جاء بجع وتسلَّم الأختين والجرو الأبيض وقادهم إلى ظلّ شجرة بتولا ومنعَهَم أن يبتعدوا عنها من دون إذنه. تعرَّفت دلفين ومارينيت في قطيع صغار الحيوانات من حولهما على السخلة وفرخَي البط، ناهيك عن آخرين رأتاهم منذ قليل على ضفة البركة. وأحصَت مارينيت نحو أربعين يتيماً من مختلف الأنواع، وفي كلِّ لحظة كان البجع يجلب وافداً جديداً. كانوا يحلمون في الأُسَر التي ستحتضنهم وقد جعَلهم الانفعال يَلزَمون الصمت.

في الطرف الآخر من الجزيرة تجَمْهَرَ قطيع آخر. كان صفّ من الشجيرات يَحُول دون رؤيتهم بوضوح، ولكنهم استطاعوا أن يميّزوا أنه لم يكن يوجد هناك إلّا حيوانات في سنّ النضج. بدا أنهم يثرثرون ووصلَ صخب أصواتهم إلى مسامع الصغيرتين.

بعد ربع ساعة من الانتظار، رأت دلفين بجعاً مسناً يذرَع المكان جيئة وذهاباً أمام الأيتام وكان بلا شك مكلَّفاً بمراقبتهم. راحَ يتمشى ويهزّ رأسه بهيئة تنمّ عن طيبة. شاهدَ دلفين تُناديه بإيماءة، فتقدَّم منها وقال بلُطف.

- صباح الخير يا أطفالي. إنه نهار ربيعيّ جميل، أليس كذلك؟... عذراً؟ سمَعي ضعيف بعض الشيء، كما تعرفان.

- أريد أن أقول إنني أنا وأختي نريد العودة إلى البيت.

أجابَ البجع المسنّ الضعيف السَّمع فعلاً:

- أجَل، شكراً، صحتي جيدة بالنسبة إلى عمري.

قالت دلفين وهي ترفَع صوتها:

- يجب أن نعود إلى بيتنا.

- فعلاً، بدأ الطقس يصبح حاراً.

حينئذٍ، وضعت دلفين فمها في أذن البجع المسنّ وصرخت ملء صوتها:

- لا نستطيع الانتظار! يجب أن نعود إلى المنزل!

لم تكَد تُنهي صراخها حتى ظهر من خلف الدغلة البجع نفسه الذي حملها على الطوف، وزعق:

- أيضاً هاتان الطفلتان! لم أعُد أسمع غيرهما. تباً! بدأتُ أضيق ذرعاً بهما!

قالت مارينيت:

- كانت أختي تشرح...

- اسكتي! يا قليلة التربية، أو أرميكما طعاماً لسمك البركة! هيا، عودا إلى مكانكما!

عند هذه الكلمات، ابتعدَ البجع وهو يلتفت من حين إلى آخر ليحدجهما بنظرات غاضبة. توقّفت الصغيرتان عن محاولة الشرح، وبعد أن أرهَقَهما الحرّ، نامَتا عند جذع شجرة البتولا.

ولمّا أفاقتا، دهشتا دهشة عظيمة. على بُعد خطوات منهما، جَلَست نصف دزينة من البجع على أكَمَة شكَّلَت ما يشبه المنصّة، ثلاثة على اليمين وثلاثة على اليسار، وهم يولون ظهرهم لقطيع الأيتام. وأمامهم، اصطفّت بنظام جميع الحيوانات التي كانت تُثرثر منذ قليل في الطرف الآخر من الجزيرة: خنازير وأرانب وبط وخنازير برية وأيائل وخراف وماعز وثعالب ولقلق وحتى سلحفاة. وراحوا جميعاً ينظرون نحو المنصّة وبدا أنهم ينتظرون أحداً. وسرعان ما جاء بجع سابع وأخذ مكانه وسط إخوته وقال بعد أن حيّا الجميع بانحناءة من رأسه:

- أصدقائي الأعزاء، ها قد اجتمعنا مرة أخرى في موعد الأطفال الضائعين، أشكركم لأنكم لم تَنسوه وأطلبُ منكم أن تختاروا بحسب ما تُمليه عليكم قلوبكم، وأيضاً في حدود مَوارِدكم. افتتحت الجلسة.

أوّل يتيم صعد إلى المنصة هو حملٌ تبناه على الفور كبش ضخم من الحاضرين. تلاه خنوص طالبت به أسرة خنازير برية، وتقاطَر الأيتام من دون حادث يُذكر حتى طلب ثعلب مسنّ أن يتبنى فرخَي البط اللذين صادفتهما الصغيرتان في الصباح. وأكَّد:

- لا يمكنكم أن تجدوا أباً أفضل مني. وبوسعكم أن تعتمدوا عليّ لأنني سأوفرِّ لهما أقصى عناية.

استشار البَجع الذي افتتح الجلسة إخوَته بصوتٍ هامسٍ وأجابه:

- أيها الثعلب، لا أريد أن أشكِّك في نواياك تجاه هذين اليتيمتين. بل إنني مقتنع أنك ستوليهما عناية فائقة، ولكن ما أخشاه هو أن تكون سعادتهما قصيرة الأمد. لأنّ فرخَي بط سيكونان مغريين إغراءً لا يقاوَم بالنسبة إلى ثعلب.

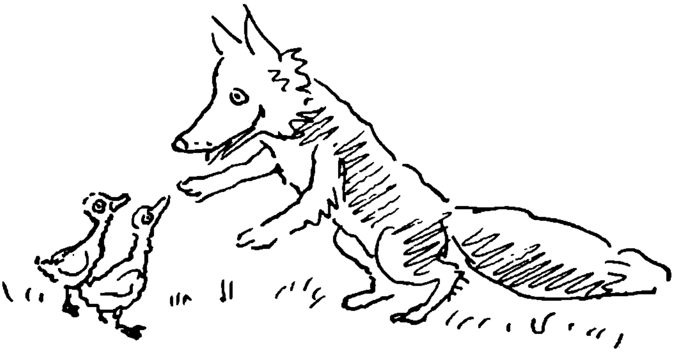

كانت دلفين ومارينيت تشعران بالارتياح، لأنه طالما لم يقرّر أحد تبنّيهما، سيُخلى سبيلهما. وفي الصف الأخير، لمَحَتا الجرو

الأبيض نائماً وسط أسرته الجديدة. وفكّرتا بأنه من حسن الحظ أنه غفا، ولولا ذلك، لما توانى عن التوسّل لأبويه الكلبين الضخمين حتى يتبنّيا صديقتيه أيضاً. وسأل البجع:

- ألم يقرّر أحد أخذَهما؟ لا يمكننا أن نترك البنيَّتين من دون أسرة. أيها الثعلب، أنتَ من كنتَ متحمّساً لأخذِ فرخَي البط، ألن يسعك فعل شيء لهاتين الطفلتين؟

قال الثعلب:

- أنا لا أطلب أكثر من هذا، ولكنني كما تعرفون طيبٌ أكثر ممّا ينبغي، طيبٌ جداً، ولستُ حازماً حزماً كافياً لتربية فتاتين شيطانتين مثلهما. لا، فعلاً لا أستطيع أخذهما. يؤسفني ذلك، لكن هذا لمصلحتهما.

وخاطب البجع بعد ذلك أيلاً تبنى لتوّه طاووساً، فأجابَه الأيل:

- محّصْت ملياً في أمر أخذهما، ولكن هذا ضرب من الجنون. فكّروا أنني أقضي حياتي تحت تهديد الناس والكلاب والبنادق. لا، لا، هذا ليس حكيماً. أنا آسف. إنهما تستحقان حياة أفضل.

وطلب البجع أيضاً من حيوانات أخرى، ولكن أياً منها لم يقبَل بتبني الصغيرتين. وبعد أن اعتذر خنزير بري بدوره، مدَّت سلحفاة واقفة في الصف الأول عنقها من درعها وقالت بهدوء:

- بما أن أحداً لا يريدهما، أنا سآخذهما.

أثار هذا العرض المفاجئ القهقهات بين الحيوانات. وحتى الصغيرتان ذاتهما لم تتمالكا نفسيهما عن الابتسام من فكرة أنهما

قد تصبحان ابنتَي سلحفاة. وبعد أن أسكت البجع الضاحكين، شكَرَ السلحفاة بلُطف، وامتدَحَ كَرَمَها، وبعد أن اتخذ الاحتياطات اللازمة لعَدم الإساءة لها، قال إنها أصغر من أن تضبط مثل هاتين الابنتين الكبيرتين وأنها تمشي ببطء شديد. لم تعترض السلحفاة على شيء، ولكنها أعادَت رأسها إلى داخل درعها بطريقة عبَّرَت فيها عن انزعاجها. وحين لم يرتفع صوت أحد من الحاضرين ليطالب بالصغيرتين، قرَّر البجع أن يشاور أخوته بصوتٍ هامس. ولمّا وجدت الصغيرتان نفسيهما حرَّتين، راحتا تسخران من مأزقه. عاد البجع إلى مكانه وأعلنَ بصوتٍ عالٍ:

- قررتُ أنا وأخوتي أن نتبنّى الفتاتين. لن نألوا جهداً ولا صرامة لضبط هاتين الطفلتين سيئي التربية والمشاغبتين. حين ستعودون العام القادم إلى موعد الأطفال الضائعين، أظن أنكم ستُدهَشون من التقدّم الذي ستُحرِزانه.

نهضت الصغيرتان وحاولتا مرة أخرى شرح مغامرتهما، ولكنهم لم يتركوا لهما وقتاً للشرح، وأنزلوهما عن المنصة وقادوهما إلى ركن الجزيرة ووضعوهما تحت حراسة البجع العجوز الأصم. ومن بعيد، شاهدتا مغادرة الحيوانات وعبورهم البركة. وقالت دلفين لأختها حتى تطمئنها:

- عندما سينتهي العبور، سيعود البجع إلى الجزيرة، ولا بد أنهم سيصغون إلينا. لا يمكنهم منعنا من الكلام إلى الأبد.

أجابت مارينيت:

- وفي انتظار ذلك، يمرّ الوقت. وسرعان ما سيقفل أبوانا راجعين، وإذا وصلا إلى المنزل قبلنا... هما مَن منعانا اجتياز الطريق! آه! أفضِّل ألّا أفكر في ذلك.

نحو الساعة الرابعة، وصلت جميع الحيوانات إلى شط البركة، ولكن البجع لم يَبدوا عازمين على العودة. ظلّوا مشغولين هناك بصيد السمك وبقيت الجزيرة مقفرة. وازداد قلق دلفين ومارينيت وبدتا قانطتين. ولما رآهما البجع المسنّ حزينتين، حاول مواساتهما، فقال:

- لا يمكنكما أن تتخيّلا مقدار سعادتي لوجودكما هنا. أشعر أنه لم يعُد بوسعي الاستغناء عنكما. هذا اليوم ليس مبهجاً. تركوكما على الجزيرة لتستريحا، لكن غداً ستتعلمان السباحة وصيد السمك. ستريان كم هي الحياة ممتعة هنا. ولكن بحسب ظني، ربما كنتما جائعتين.

فعلاً، كانت الصغيرتان جائعتين. رجاهما البجع المسنّ أن تصبرا، وبعد أن غاب بضع لحظات، عاد وفي منقاره سمكة. وقال وهو يضعها أمامهما:

- خذا، تناولاها بسرعة وهي حية وتختلج. سأذهب لأحضر لكما غيرها.

تراجعت الصغيرتان وهما تهزان رأسيهما، وأخذت مارينيت السمكة وأعادتها إلى البركة. وذهل البجع من ذلك، وقال:

- كيف لا تحبّان السمك؟ من اللذيذ أن يشعر المرء بسمكة تختلج في حلقه. على كلّ حال، يجب أن نفكر في تقديم طعام آخر لكما. أتساءل...

لكن القلق استولى على الصغيرتين ولم تعودا تفكران في جوعهما. ولم تلبثا أن شاهدتا الشمس في الطرف الآخر من البركة تغيب عند مستوى الغابة. لا بد أنها بلغت الساعة السادسة مساء على الأقل، ولعلّ الأبوان في طريق العودة. ارتعبت دلفين ومارينيت وطفقتا تبكيان. وحين رأى البجع العجوز دموعهما، فقَدَ صوابه، وأخذَ يدور أمامهما:

- ماذا دهاكما؟ ماذا يحدث؟ آه! ما أتعس أن يصبح المرء هرماً ولا يعود يسمع! طفلتان جميلتان إلى هذا الحدّ! ولكن لديّ فكرة. اتبعاني. حين أكون في الماء، أسمع كلّ ما يُقال لي.

نـزل البجع المسـنّ إلـى البركة، وحيـن غمس منقاره فـي الماء، روت له دلفين كيف اجتازت مع مارينيت الطريق رغم نَهي الأبوين، ومـا حـدث بعد ذلك. وبعد أن أخبرته بكلّ شـيء، سـبح نحو وسـط البركـة وصفـر صفيراً حـاداً بأعلى صوتـه. وعلى الفـور، أقبلت طيور البجع التي تصطاد في الجوار وتحلَّقت حوله في شـكلٍ نصف دائرة أمامه. وصرخ البجع المسن فيهم وهو يرتجف من الغضب:

- أيهـا الأوغـاد البائسـون! لا أدري مـا يمنعني عـن طردِكُم من هـذه البركة! أنتم عـار القبيلة! هاتان الفتاتـان دفعتهما طيبة قلبهما إلى حمل جرو أبيض يتيم إلى هنا فتكافئونهما باحتجازهما أسيرتين! وتمنعونهما عن فتح فميهما لتُفهِمانكم حماقتكم!

خجلت طيور البجع، ونكست رؤوسها. وقال البجع المسنّ وهو يجرّهم نحو الجزيرة:

- إذا تعرَّضت هاتان الصغيرتان لتوبيخ أبويهما، فالويل لكم!

وحين وصلوا إلى الصغيرتين، أمرهم:

- اطلبوا الصفح منهما بأعناقكم!

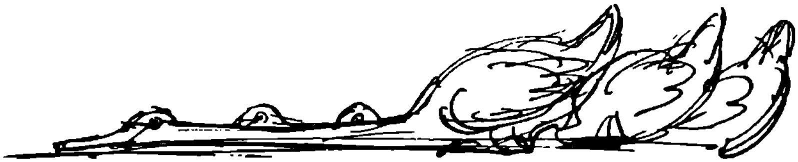

صعـدت طيـور البجـع الشـط وانبطحـوا أمـام الصغيرتيـن، وبالحركـة ذاتهـا، وضعـوا أعناقهـم الطويلـة علـى الأرض. فارتبكـت دلفين ومارينيت.

- والآن، جهّزوا لي طوفاً تجرّه خمس بجعات، ولا تضيعوا دقيقة واحدة! سنوصل الصغيرتين عبر الترعة حتى النهر، وسنرتقيه حتى أقرب نقطة من الطريق.

«طبعاً، سنرافقهما حتى بيتهما، هيا، أسرعوا، أيها الكسالى!».

راحت طيور البجع تتراكض، وسرعان ما جهَّزت الطوف. وصعدت دلفين ومارينيت طوفاً تجرّه خمس بجعات في صفّ واحد بعضها بجانب بعضٍ ويتقدّمها ستّ بجعات أخرى مكلّفة بشقّ الطريق وإزالة الأغصان التي قد تُعيق القارب. وأخذَ البجع المسنّ يسبح قرب الطوف ويشرف على كلّ شيء. وعند عبور الترعة، شعَرَ رفاقه بالقلق عليه من التعب الذي يجب أن يتحمَّله، وأرادوا أن يمنعوه عن متابعة الطريق معهم. فقالوا له إنّ مثل هذه الرحلة الطويلة خطيرة عليه وهو في هذه السنّ المتقدمة. ورَجَتْه دلفين ومارينيت أيضاً أن يعود إلى الجزيرة، فأجاب:

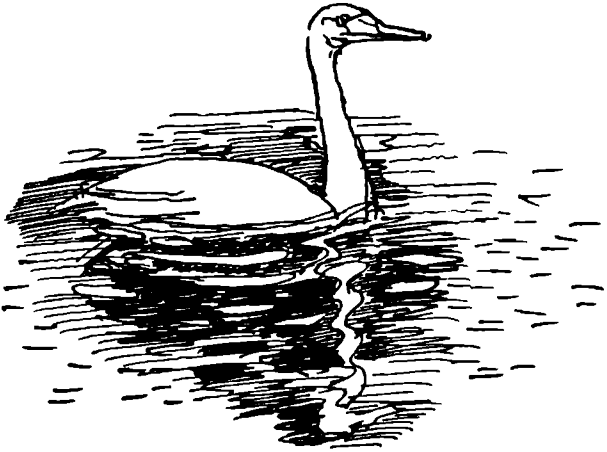

- لا تجزعوا. لا أهمية لحياة بجَع مسن حين ينبغي إنقاذ فتاتين صغيرتين من التأنيب. هيا! بسرعة، سيَدهمنا الليل!

وفعلاً، غابت الشمس وهبط المساء على البركة الكبيرة. حملَ التيار الطوف، فمضى سريعاً في الترعة. ولم تدَّخر البجعات الخمس جهداً. وطفق البجع المسنّ يلهث في إثرهم، ولكن لم يبدُ عليه التهاون، وراح يصرخ فيهم:

- أسرِعْ! يا كومة الكسالى، وإلّا ستؤنّب الصغيرتان.

حلَّ الليل حين وصل الطوف إلى النهر. اضطرّ أن يكافح ضدّ تيار قوي وراح الظلام يُزعج المسافرين. ولحسن الحظ، سرعان ما طلعَ القمر وأتاح إبحاراً أسهل. وأخيراً أمرَ البجع المسنّ بالرسو. ولمّا رأته دلفين ومارينيت متعباً، حثّتاه أن يرتاح، لكنه رفض الاستماع لأيّ شيء وقادَهما أولاً إلى الطريق. وقال:

- لا تُضِعْنَ الوقت، أخشى أن نتأخّر. آه! أجل، هذا ما أخشاه.

ولمّا بلغت الصغيرتان الطريق يرافقهما السرب الأبيض، كادتا تطلقان صيحة. على بعد مئة متر أمامهما، كان الأبوان يوليان ظهريهما لهما، ويمشيان نحو المنزل، ويتأبّط كلّ منهما سلّة.

فَهِمَ البجع العجوز. وعلى الفور، نقل الصغيرتين إلى الطرف الآخر من الطريق المحاذي للسياج وقال لهما هامساً:

- إنْ ركضتما خلف هذا السياج، ستسبقا الأبوين. وحين تصبحان بمحاذاة المنزل، ويترتب عليكما اجتياز الطريق، سنجذب انتباه الأبوين إلى مكانٍ آخر. المهم أن تصلا قبلهما بوقت.

أرادَت الصغيرتان اتّباع نصائحه، ولكن ساقيهما لم تقوَيا على حَمْلِهما، لأنهما كانتا متعبتين ولم تتناولا طعاماً منذ الصباح. واضطرّتا إلى السير بخطى وئيدة، ولأنّ سرعتهما كانت أبطأ من سرعة الأبوين، لم تنفكّ المسافة بينهما تزداد. فهمَسَ البجع المسنّ:

- هذا يعقِّد الأمور كثيراً. نحتاج إلى مزيد من الوقت. دعوني أتصرَّف.

ومضى إلى الطريق وراح يعدو خلف الأبوين صائحاً:

- أيها الطيبان! ألم تضيعا شيئاً في الطريق؟

توقف الأبوان. وفي ضوء القمر، راحا ينظران إنْ كانا قد فَقَدا شيئاً من سلَّتَيْهِما. لم يعُد البجع العجوز يركض، وراح يمشي بأبطأ ما يستطيع ليُتيح للصغيرتين أن تتقدَّما. وبدأ صبر الأبوين ينفد، فقال لهما حين وصل قربهما:

- ألَم تضيِّعا شيئاً؟ وجدتُ على الطريق ريشة بيضاء جميلة، وبما أنها ليست لي، ظننتُ أنها لكما.

تذمَّر الأبوان غاضبين وهما يبتعدان:

- هل تحسبنا أحمقين من جنسك حتى يكون لنا ريش؟

عادَ البجع المسنّ إلى الطرف الآخر للسياج. نجحت الصغيرتان في إحراز بعض التقدم، ولكن الأبوين راحا يغذّان السير، ولن يلبثا أن يُدركانهما ويسبقانها. بدا البجع المسن منهكاً. ومع ذلك، شجَّع دلفين ومارينيت بكلمات طيبة، وشحَذَ قواه ليستأنف الركض على رأس رفاقه. شاهدت الصغيرتان سرباً صامتاً من الطيور الكبيرة البيضاء يركض أمامهما ويختفي في إحدى فتحات السياج. وفي

غضـون ذلك، تابع الأبـوان طريقهما وراحا يتحدّثـان عن الصغيرتين اللتين سيلقيانهما في البيت. فقالا:

- نأمـل أنهمـا كانتا عاقلتين ولم تجتازا الطريـق. آه! الويل لهما لو أنهما اجتازتا الطريق!

سـمعت دلفيـن ومارينيـت كلّ شـيء فخـارت سـيقانهما. فجأة، توقف الأبـوان وحدَّقا بعيون جاحظة. أمامهمـا، على قارعة الطريق، اصطفّ اثنا عشر طائر بجع وراحوا يرقصون تحت ضوء القمر. كانوا يدورون اثنين اثنين، ويرقصون على قائمة واحدة، ثم على الأخرى، ويتبادلون التحيات، ويشـكِّلون دائرة، ثـم يرفعون أعناقهم الطويلة فتتلامـس رؤوسـهم الاثنـا عشـر عنـد نهايـات مناقيرهم، ويـدورون بسـرعة حتـى لا يكاد يسـع الأبـوان تمييـز بعضهـم عن الآخـر. كانوا أشبه بزوبعة ثلج. فقال الأبوان بعد لحظة:

- هذا جميل، ولكن ليس هذا وقت مشـاهَدة الرقص. لم يعُد لدينا متسع من الوقت لنضيعه.

ومضَيـا بيـن الراقصيـن وتركاهـم خلفهمـا وتابعـا طريقهما من دون أن يلتفتـا. كانـت الصغيرتان فـي الجهة الأخرى من السـياج قد اسـتأنفتا تقدّمهما، ولكنهما سـمعتا مـرة أخرى خطـوات الأبوين ترنّ علـى الطريـق، وفقَدَتـا الأمل فـي الوصـول إلى البيـت قبلَهمـا. تركَ البجـع العجوز الطريق مـع رفاقه وراح يهرول وراءهمـا، ولكنه كان مرهقـاً مـن التعب، فأخـذَ يتعثَّـر في كلّ لحظة ويوشـك أن يسـقط. لأنه بعـد أن خاض سـباقاً طويلاً، جـاءَ الرقص ليُنهِكَـه. وحين أدرك

الصغيرتين أخيراً وقد استنفَدَ كلّ قواه، لم يكن الأبوان يبعدان أكثر من مئة متر من البيت فقال لهما:

- لا تخشيا شيئاً. لن تؤنَّبا. لكنني سأفترق عنكما وأدَعكما في حراسة أصدقائي. عِداني أنكما ستطيعانهم. سيجعلوكما تجتازان الطريق عندما تحين اللحظة المناسبة.

ابتعد البجع العجوز عن السياج، ثم استجمَعَ آخر قواه، واندفع راكضاً نحو الحقول. راح جريه يتباطأ بالتدريج وشعر أن قائمتَيه تتشنجان، وحين بلغ المرج، سقط على جنبه ولم ينهض بعد ذلك أبداً. وطفقَ عندئذٍ يغني كما تغني طيور البجع حين تُشارف على الموت. كان غناؤه شجياً يجعل الدموع تطفر في العيون. وعلى الطريق أمسك الأبوان أحدهما بيد الآخر، ولم يهتما أنهما يوليان ظهريهما للمنزل، وانطلقا عبر الحقول نحو مصدر الصوت. ظلا يمشيان لفترة مديدة في الندى حتى بعد أن توقف البجع عن الغناء، ولم يفكرا بالعودة إلى البيت.

في المطبخ، راحت دلفين ومارينيت تخيطان تحت المصباح. كانت المائدة جاهزة والنار موقدة. وحين دخل الأبوان، قالا مرحباً بصوتٍ متهدِّج لم تألَفاه. كانت أعينهما مغرورقة بالدمع، ولم ينفكّا ينظران إلى السقف، وهو ما لم يحدث لهما من قبل قطّ. وقالا للصغيرتين:

- مؤسف أنكما لم تجتازا الطريق منذ قليل. لقد غنّى بجع في المروج.

مكتبة
t.me/t_pdf

النهاية

مارسيل إيميه

المؤلف

وُلد مارسيل إيميه في مقاطعة يون عام 1902، وأمضى يفاعته في منطقة الجورا، وهو إقليم غني بالغابات والمستنقعات والمراعي. التحق عام 1923 بكليّة الطبّ في باريس. مارسَ حينها مهناً مختلفة: صحافياً، موظفاً في مصرف، بائعاً جوالاً، ممثّل كومبارس في السينما، قبل أن ينشر روايته الأولى **برولبوا**. وبعد ذلك أتاح له نجاح روايته **الحصان الأخضر** (1933) أن يتفرّغ تماماً للأدب. تمزجُ أعماله بين العجيب واليومي، مسبغةً على العالم نظرة ممتعة، وتضمُّ أكثر من ثلاثين رواية ومسرحية والعديد من الحكايات والقصص. اقتبست السينما عدداً من نصوصه. توفي مارسيل إيميه عام 1967.

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

فيليب دوما

مكتبة
t.me/t_pdf

الرسّام

وُلد فيليب دوما في مدينة كان عام 1940 وهو من أشد المعجبين بمارسيل إيميه. رسّامٌ وكاتبٌ، ألّف أعمالاً عديدة لليافعين. نال عام 1987 جائزة مدينة باريس المرموقة لقاء مجموع أعماله.

«كونا عاقلتَين!».

لكن ما إن يغادر الأبوان المنزل، حتى تسارعُ دلفين ومارينيت إلى خرق توصياتهما والتشاقي مع أصدقائهما الحيوانات.

تصوِّر **حكايات القط الشقي** ببراعة وفكاهة مغامرات فتاتَين صغيرتَين مع حيوانات المزرعة، من أبقار وثيران وخرفان وبط وقطط وكلاب... تتواطآ مع الطفلتَين في مواجهة عالم الراشدين، وخاصة الأبوين.

ومن خلال حياة هذه المزرعة الغريبة التي تستطيع فيها الحيوانات أن تتكلم دون أن يدهش ذلك أحداً، يقدِّم لنا مارسيل إيميه رائعته الخالدة التي كتبها «للأطفال من أربع إلى خمس وسبعين سنة»، ويرسمُ فيها بمهارة عيوب الإنسان والمجتمع ويطرح بمكر ودهاء أفكاراً فلسفية للصغار والكبار، أفكاراً في العدالة والاختلاف والمساواة والطبيعة ومعنى الحياة...

إنها حكايات مفعمة بالدعابة والمرح والحيوية، تنضح بالحكمة والمنطق تحت مظاهر البساطة والخفّة.

اقرأوا هذه الحكايات وتوغّلوا في عالم مارسيل إيميه السحري الذي سيعيدكم إلى مرابع الطفولة ويجعلكم تموءون من المتعة!!!

t.me/t_pdf

مارسيل إيميه

المؤلف

وُلد مارسيل إيميه في مقاطعة يون عام 1902، وأمضى يفاعته في منطقة الجورا، وهو إقليم غني بالغابات والمستنقعات والمراعي. التحق عام 1923 بكليّة الطبّ في باريس. مارسَ حينها مهناً مختلفة: صحافياً، موظفاً في مصرف، بائعاً جوالاً، ممثّل كومبارس في السينما، قبل أن ينشر روايته الأولى **برولبوا**. وبعد ذلك أتاح له نجاح روايته **الحصان الأخضر** (1933) أن يتفرّغ تماماً للأدب. تمزجُ أعماله بين العجيب واليومي، مسبغةً على العالم نظرة ممتعة، وتضمُّ أكثر من ثلاثين رواية ومسرحية والعديد من الحكايات والقصص. اقتبست السينما عدداً من نصوصه. توفي مارسيل إيميه عام 1967.

فيليب دوما

الرسّام

وُلد فيليب دوما في مدينة كان عام 1940 وهو من أشد المعجبين بمارسيل إيميه. رسّامٌ وكاتبٌ، ألّف أعمالاً عديدة لليافعين. نال عام 1987 جائزة مدينة باريس المرموقة لقاء مجموع أعماله.

ISBN 978-9953-68-920-3

9 789953 689203

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)

بيروت: ص. ب. 113/5158

markaz.casablanca@gmail.com

cca_casa_bey@yahoo.com